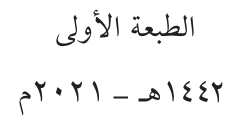


طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة




الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء الأول.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء الأول



مؤتمر الغدير العلمي العالمي

Al-Ghadir International Conference

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٣٤

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسنية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: 978-9922-655-04-8

BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد وآله الطَّيبين الطاهرين.

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).(سورة المائدة، الآية: ٦٦).

لم يكن إعلام الغدير بمحتواه الإلزامي مفاجأة للمسلمين، بل كان تأكيداً تقتضيه المرحلة الزمنيةُ لما نطق به الوحيُ في القرآن الكريم، وما صرّح به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أو كنّى عنه؛ للتعبير عن التفويض الإلهي بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا جاء إعلان العهد في غدير خم توضيحا للمنهج الإلهي؛ لتقرير الاستمرار في مسيرة النبوة وامتدادها والإبقاء على منهجها؛ بصفتها آخر الرسالات السماوية إلى البشر، إذ لا نبوّةَ بعد نبوّة محمد صلى الله عليه وآله. وفي ضوء ذلك نوّه حديث الغدير برسم مسارات بقاء منهج النبوّة وديمومته من غير تشويه أو تحريف في ضوء إرادة ربانية لا مجال لاختيارات البشر في تحديد معالمها.

وبفضل الله عز وجل قد وصلت عدد البحوث المقبولة للمشاركة (١٠٥) بحثا موزعة على أغلب محاور المؤتمر، وقد حرصت «**شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية**» على إكمال موسوعة «وقائع المؤتمر» بعد مراجعة البحوث وتدقيقها، والحصول على الترقيم الدولي للكتاب (ISBN)؛ وهي إذ تضعها بين يدي الباحثين الأكارم والقراء الأفاضل تلتمس منهم العذر عن التأخير والعفو عن الزلل والدعاء في ظهر الغيب بدوام التوفيق والسداد لخدمة المسيرة العلمية ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام.

أهداف المؤتمر:

١. إرساء مبدأ وحدة المسار بين النبوّة والإمامة.

٢. ترسيخ ثقافة الغدير في المجتمعات الإنسانية.

٣. الكشف عن فلسفة الغدير واستيعاب أهدافها ونشر مضامينها في الأوساط العلمية والأكاديمية.

٤. قراءة واقعة الغدير في ضوء المناهج الحديثة والعلوم المعاصرة.

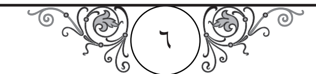
٥. بيان أثر الإمامة الإلهية في انتظام الحياة الاجتماعية وحفظها من التفرقة.

٦. توظيف المواهب والفنون والفعاليات الثقافية لنشر ثقافة الغدير.

٧. إذكاء القيم الإنسانية المستوحاة من واقعة الغدير.

٨. إبراز أثر المرأة في نشر الثقافة الغديرية.

٩. استكناه المواطن الجمالية والإبداعية للنصوص الغديرية.



لجان المؤتمر

اللجنة المشرفة

١ - السيد جعفر الموسوي

(الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة)

٢- الحاج حسن رشيد

(نائب الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة)

٣- السيد أفضل الشامي

(معاون الأمين العام للشؤون الفكرية والثقافية)

٤ - الحاج عبد الواحد محمد علي البير

(معاون الأمين العام للشؤون الإدارية والمالية)

٥- الحاج مهند محفوظ

(رئيس قسم الشؤون المالية)

٦- الشيخ علي الفتلاوي

(رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية)

٧- الحاج علي كاظم سلطان

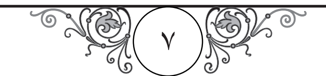
(رئيس قسم النشاطات)

٨- الحاج فاضل أبو دكة

(رئيس قسم العلاقات العامة)

٩- الحاج شاكر كلكاوي

(رئيس قسم التدقيق)



اللجنة العلمية

١- أ. د. كريم حسين الخالدي (جمعية اللسانيين العراقيين)

٢- أ. د. علي عبد الحسين المظفر (جامعة الكوفة)

٣- أ. د. عبد الكريم سلمان الشمري (جامعة بغداد)

٤- أ. د. عبد الكريم عز الدين الأعرجي (جامعة بغداد)

٥- أ. د. داوود سلمان خلف الزبيدي (جامعة بغداد)

٦- أ. د. سعد علي زاير (جامعة بغداد)

٧- أ. د. طلال خليفة سلمان (جامعة بغداد)

٨- أ. د. هادي عبد النبي التميمي (الجامعة الإسلامية)

٩- أ. د. حميد سراج جابر (جامعة البصرة)

١٠- أ. د. علي عباس الأعرجي (جامعة الكوفة)

١١- أ. د. محمد طالب مدلول الحسيني (جامعة بابل)

١٢- أ. د. علي فرحان جواد (جامعة المثنى)

اللجنة التحضيرية

١– أ. د. حيدر عبد الزهرة التميمي (جامعة بغداد)

٢– أ. د. زينب عبد الحسين بلال (جامعة بغداد)

٣– أ. د. بان صالح مهدي الخفاجي (جامعة بغداد)

٤– أ. م. د. صلاح رهيف الزاملي (كلية الإمام الكاظم عليه السلام)

٥– أ. م. د. مياس ضياء باقر القزويني (جامعة بغداد)

٦– أ. م. د. عقيل رزاق نعمان (جامعة بغداد)

٧– أ. م. د. حسام عدنان الياسري (جامعة القادسية)

٨– أ. م. د. فليح خضير شنّي (جامعة واسط)

٩– أ. م. د. شهيد كريم الكعبي (جامعة ميسان)

١٠– أ. م. د. نصير كريم الساعدي (كلية الإمام الكاظم عليه السلام)

١١– م. د. أحمد جايد بدر (جامعة كربلاء)

١٢– م. د. لواء عبد الحسن عطية (مديرية تربية كربلاء)

اللجنة الإعلامية

١- أ. م. د. ندى مطير عباس العابدي

(هيأة الرأي/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي)

٢- م. د. رائدة كاظم فياض العكيلي

(قناة العهد الفضائية/ قسم العلاقات)

٣- الأستاذ محمد مهدي عبد العامري

(قناة العراقية الفضائية/ إذاعة الفرقان)

٤- السيد ياسر كريم الغرابي

(وحدة الفضائيات/ مكتب نائب الأمين العام العتبة الحسينية المقدسة)

٥- الأستاذ محمد علي الربيعي

(مركز رعاية الشباب في العتبة الحسينية المقدسة)

محاور المؤتمر

١- محور الدراسات القرآنية

- القراءات التفسيرية لآيات الغدير.
- المناهج التفسيرية لآيات الغدير.
- أسباب نزول آيات الغدير.

٢- محور الدراسات الحديثية

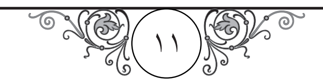
- الغدير في علم الحديث.
- منهج الشارحين لحديث الغدير.
- تصنيفات رواة حديث الغدير.
- الصلة بين الغدير والسنة النبوية.
- حديث الغدير في المصادر الروائية الحديثية.
- الغدير في الخطبة الفدكية المباركة.
- الغدير في زيارات الأئمة عليهم السلام.

٣- محور الدراسات الفقهية

- الرؤية الفقهية لسلطة الولاية.
- المضامين الفقهية في خطبة الغدير.
- أثر الغدير في تشريع الأحكام الفقهية.

٤- محور الدراسات التاريخية

- الغدير في سيرة المعصومين عليهم السلام وأصحابهم.
- الصلة بين الغدير وعاشوراء.
- الغدير عند المؤرخين.
- الغدير في المخطوطات والوثائق والمصادر.
- قراءات في موسوعة الغدير للشيخ الأميني رحمه الله.



٥- محور الدراسات الكلامية والعقدية

- الغدير عند الفرق الكلامية.
- المضامين العقائدية في خطبة الغدير.
- صلة الإمامة بالنبوة.

٦- محور الدراسات المهدوية

- الإمام المهدي عليه السلام في خطبة الغدير.
- واقعة الغدير وإمامة المهدي عليه السلام.
- الغدير وثقافة الانتظار.

٧- محور الدراسات اللغوية والأدبية

- قراءات دلالية ولسانية في خطبة الغدير.
- خطبة الغدير في ضوء المناهج اللغوية والنقدية الحديثة.
- الغدير والغديريات في الأدب العربي.
- الغدير في الأدب العالمي.

٨- محور دراسات الأديان

- السلطة والولاية في الأديان السماوية.
- واقعة الغدير في الأديان والكتب السماوية.

٩- محور الدراسات الاستشراقية

- الغدير في المدارس الاستشراقية.
- نقد مناهج المستشرقين في تحليل واقعة الغدير.



١٠- محور المرأة والغدير

- موقف السيدة الزهراء عليها السلام في حادثة الغدير وآثاره.
- راويات حادثة الغدير.
- بيعة المرأة في الغدير.
- احتجاجات النساء بحديث الغدير وأثرهن في ترسيخ ثقافته.
- الغدير في الأدب النسوي.

١١- محور الدراسات الاجتماعية

- سوسيولوجيا مجتمع الغدير.
- الغدير وإشكالية التعايش.

١٢- محور الدراسات التربوية والنفسية

- سايكولوجيا حادثة الغدير.
- الجانب التربوي والتعليمي في واقعة الغدير.
- قراءات تربوية ونفسية في آيتي الغدير.

١٣- محور الدراسات التنموية

- آليات مجتمع المعرفة في ضوء واقعة الغدير.
- التنمية المستدامة المستنبطة من واقعة الغدير.
- ملامح الشخصية الإيجابية في ضوء حديث الغدير.

١٤- محور الدراسات الإدارية والقانونية والسياسية

- نظرات قانونية في واقعة الغدير.
- التخطيط والإدارة في واقعة الغدير.
- حقوق الإنسان في واقعة الغدير.
- معايير القيادة في خطبة الغدير.

١٥- محور الدراسات الجغرافية

- الجغرافية التاريخية لموقع غدير خم.
- الخصوصية المكانية لغدير خم.

١٦- محور الدراسات الإعلامية

- الوسائل الإعلامية والتبليغية عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه في نشر ثقافة الغدير.
- أثر الإعلام المعاصر في نشر ثقافة الغدير وتوثيقها.

١٧- محور الدراسات الفنية والثقافية

- أثر الثقافة الإسلامية في نشر واقعة الغدير.
- إسهام الفنون التشكيلية والمسرحية في نشر واقعة الغدير.
- إسهام الفنون السمعية والمرئية في نشر واقعة الغدير.
- إسهام الإنشاد الإسلامي في نشر واقعة الغدير.

١ - محور الدراسات القرآنية

- القراءات التفسيرية لآيات الغدير.

- المناهج التفسيرية لآيات الغدير.

- أسباب نزول آيات الغدير.

آيات الغدير في سورة المائدة (دراسة دلاليّة في أسباب النزول)

أ. د. أمل سهيل عبد الحسيني

المقدمة:

الحمد الله ربِّ العالمين والصلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

يعدُّ القرآن الكريم النصَّ الخالد والأَوَّل من مصادر التشريع الإسلامي الذي أَسس معارف الإسلام المحمّدي الأصيل، منه أخذ المسلمون بيانات العقيدة وأصل التشريع، ومن هذه الأُصول المهمة (الإمامة)، هذا الأصل الذي كان وما زال صراط الحقِّ ومنهاج الإيمان، وهذا هو عينه ما عناه الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السَّلام إذ قال: «من لم يعرف الحقَّ من القرآن لم يتنكب الفتن»(١)، وعدّت آيات الغدير في سورة المائدة القاعدة الأساس التي بنيت عليها، بل أُسست عليها ولاية أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، وهذه الآيات التي ارتبطت بحادثة مهمّة جرت على أرض (غدير خم) قام بها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ألا وهو الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله، والذي أُمر بالصدع بهذا الأمر في يوم معيّن وزمان معيّن وأرض بعينها، لتكون شاهداً على مرِّ العصور على ما هُدد من أجله الرسول صلَّى الله

عليه وآله من أنَّه إنْ لم يبلّغ هذا الأمر فما بلَّغ الرسالة بأكملها، وقد شهد هذه الواقعة عشرات الآلاف من المسلمين في أكبر تجمع في ذلك الزمان، فقد كان غدير خم على مفترق أربعة طرق مهمّة للعبور إلى أكبر الحواضر الإسلامية، ومن هذا وذاك امتلك الغدير ونصوصه سواء أكانت قرآنيّة أَم حديثيّة - أهميّة كبيرة في مجال التعرف على أئمّة الهدى وسيدهم عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام.

المطلب الأول: سورة المائدة و خصوصيتها وجدلياتها:

هي السّورة الخامسة وآياتها مئة وعشرون عند القراء الكوفيين وعليه (فلوجل)، ومائة واثنتان وعشرون عند الحجازيين والشاميين، ومائة وثلاث وعشرون عند البصريين، فالخلاف فيها على فاصلتين فقط(٢).

أمّا وجه تسمية السُّورة بـ(سورة المائدة) فهو (لورود قصة نزول المائدة السَّماوية على حواريي المسيح عليه السَّلام في الآية (١١٤) منها(٣)، وقد نقل لنا العلماء من فضل هذه السّورة ما ملأ الخافقين منها: عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام أنَّه قال: «كان القرآن الكريم ينسخ بعضه بعضاً، وإنَّما يؤخذ من أَمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله بأخذه، وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة، فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء، ولقد تنزلت عليه وهو على بغلةٍ شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقف وتدلى بطنها، حتى رأيت سُرتها تكاد تمسّ الأرض، وأُغمي على رسول الله صلَّى الله عليه وآله حتى وضع يده على رأس شيبة بني وهب الجمحي ثمَّ رفع ذلك

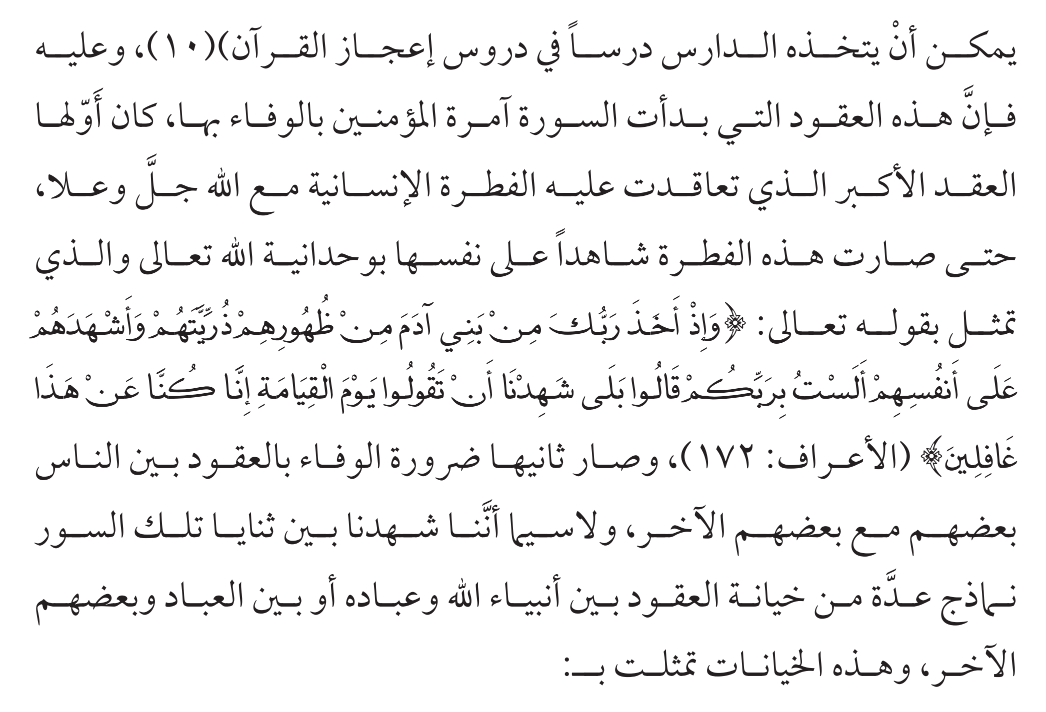
عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقرأ سورة المائدة فعمل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وعملنا»(٤).

وعن أبي جعفر عليه السَّلام أنَّه قال: «من قرأ سورة المائدة في كلِّ يوم خميس لم يُلبس إيمانه بظلم ولم يُشرك بربِّه أحداً»(٥)، وعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنَّه قال: «من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات ومُحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وبعدد كلِّ يهوديٍّ ونصرانيٍّ يتنفس»(٦)، وعنه صلَّى الله عليه وآله أنَّه قال: «المائدة من آخر القرآن تنزيلاً فأحلّوا حلالها وحرموا حرامها»(٧)، وأحاديث كثيرة بفضلها لا يتسع المقام لها.

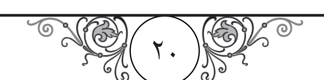
هذه السُّورة الوحيدة التي بدأت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ....﴾، (والعَقْدُ هو وصْلُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ عَلى سَبِيلِ الِاسْتِيثاقِ والإحْكامِ، والعَهْدُ إلْزامٌ، والعَقْدُ التِزامٌ عَلى سَبِيلِ الإحْكامِ)(٨)؛ لذا نرى أنَّ بعض المفسرين عدُّوا كلمة عقد مفهوماً أضيق من العهد، كون كلمة عقد تطلق على العهود المحكمة إحكاماً كافياً ولا تطلق على كلِّ العهود، من هنا فهذه الآية تعدُّ (دليلاً على وجوب الوفاء بجميع العهود التي تعقد بين أفراد البشر بعضهم مع البعض الأخر، أو تلك العهود التي تعقد مع الله سبحانه وتعالى عقداً محكماً، وبذلك تشمل هذه الآية جميع العهود والمواثيق الإلهية والإنسانية والاتفاقيات السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعيّة والتجاريّة وعقود الزواج وأمثال ذلك)(٩)، وقد تميزت هذه الآية (بترابط جدليٍّ بين عباراتها وآياتها ونصوصها ترابطاً



يمكن أنْ يتخذه الدارس درساً في دروس إعجاز القرآن)(١٠)، وعليه فإنَّ هذه العقود التي بدأت السورة آمرة المؤمنين بالوفاء بها، كان أَوّلها العقد الأكبر الذي تعاقدت عليه الفطرة الإنسانية مع الله جلَّ وعلا، حتى صارت هذه الفطرة شاهداً على نفسها بوحدانية الله تعالى والذي تمثل بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وصار ثانيها ضرورة الوفاء بالعقود بين الناس بعضهم مع بعضهم الآخر، ولاسيما أنَّنا شهدنا بين ثنايا تلك السور نماذج عدَّة من خيانة العقود بين أنبياء الله وعباده أو بين العباد وبعضهم الآخر، وهذه الخيانات تمثلت بـ:



١- التعاقد بين موسى عليه السَّلام وقومه على بنود مذكورة وأشهد عليها شهوداً ووضع شرطاً جزائياً على الناكل، وكيف أنَّ قوم موسى عليه السَّلام نقضوا العقد وحلَّ بهم الجزاء الدنيوي، وقد تمثل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا



يَصْنَعُونَ﴾ (المائـدة ١٢-١٤).

٢- كذلـك النصـارى قـد نقضـوا عقدهـم مـع عيسـى عليـه السَّـلام وحـلَّ بهـم الـشرط الجزائـي أيضـاً، وقـد تمثـل ذلـك بقولـه تعـالى: ﴿وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائـدة: ١٤).

٣- كذلـك كان هنـاك عقـد آخـر بـين موسـى عليـه السَّـلام وقومـه لدخـول الأرض المقدسـة وبـيّن نقضهـم العقـد ونـزول الـشرط الجزائـي بهـم وهـذه الخيانـة سـجلها تعـالى في السـورة نفسـها بقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائـدة: ٢٠ - ٢٦).

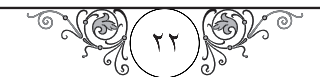
٤- العقـد الـذي حصـل بـين ابنـي آدم قابيـل وهابيـل وكيـف أنَّهـا تعاقـدا عـلى القربـان فنقـض قابيـل العقـد وقتـل أخـاه ونـزل بـه الـشرط الجزائـي وهـذا نجـده بقولـه تعـالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ



أَحدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧ – ٣١).

٥- وأخيراً فيها كثيرٌ من التعاقدات كمنح فرصة جديدة لأهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ.. كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٩)، كذلك توثيق التعاقد مع المؤمنين نحو، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(المائدة ٥٤)(١١).

وذكر هذه الخيانات المتعددة للعقود والعهد هو تحذير لهذه الأُمَّة من عواقب مغبة خيانة العقود والعهود مع خالقها ورسولها بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤)، فقد ورد في تفسير هذه الآية تأويلات عدَّة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله عندما سئل عنها منها أنَّه ضرب بيده على عاتق سلمان، فقال: «هذا وذووه»، ثمَّ قال: «لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس»(١٢)، وقيل إنَّها نازلة في (مهدي الأئمّة وأصحابه، وأوّلها خطاب لمن ظلم آل محمّد وقتلهم وغصبهم حقَّهم يمكن أنْ يكون هذا القول بأنَّ قوله تعالى:



﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ يوجب أن يكون أولئك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو تناول من يكون بعدهم بهذه الصفة إلى قيام الساعة)(١٣)، ثمَّ أردفها مباشرة بآية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، وهذا الإرداف يبيّن أهمية الوفاء بهذه العهود التي ستعاقب الأُمَّة على عدم الوفاء بها، وهي عهود وعقود الولاية الكبرى التي أُمِرَ المسلمون بالإيفاء بها يوم غدير خم وهُددوا أنْ يحلّ بهم ما حلَّ بالأُمم السابقة إنْ هم تركوا هذا الأمر ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦)، وهذا بعينه ما عناه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري حينما خاطب هذه الأُمَّة قائلاً: «أَيّتها الأُمّة المتحيرة، أَما لو قدَّمتم من قدم الله وأخّرتم من أخّر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيِّكم؛ لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولما عال ولي ولا طاش سهم بينهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلَّا وجدتم علم ذلك عنده من كتاب الله وسنة نبيِّه، فأمَّا إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم وسيعلم الذي ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون»(١٤).

أمَّا أهم المضامين التي تضمنتها السُّورة موضوع البحث والتي أثارت تساؤلات لدى المسلمين عن مدى تناسب ما قبل الآية وما بعدها، فهو مضمون الآية الثالثة من هذه السُّورة وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ

وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣)، قيل إنَّ هذه الآية نزلت لثمانٍ بقين من رمضان سنة تسعٍ للهجرة في فتح مكة، وقيل إنَّ اليوم الذي ذكر فيها هو يوم عرفة من حجّة الوداع بعد دخول العرب كلِّها في الإسلام، وذهب إليه ابن عباس والسّدي واختاره الجبائي(١٥)، وقيل إنَّه يوم الجمعة حيث نظر رسول الله صلَّى الله عليه وآله فلم يرَ إلَّا مسلماً موحداً ولم يرَ مشركاً)(١٦)، وقيل معناه: (أكملت لكم فرائضي وحدودي، حلالي وحرامي، بتنزيلي ما أنزلت وبياني ما بينت لكم، فلا زيادة فيه ولا نقصان منه، ذلك ولا تعاقب منه بالنسخ بعد هذا اليوم) (١٧)، وقيل: (إنَّ معناه اليوم أكملت حجّكم وأفردتكم بالبلد الحرام تحجّونه دون المشركين ولا يخالطكم مشرك، عن سعيد بن جبير وقتادة) (١٨)، أمَّا ما روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السَّلام: (إنَّ الآية نزلت بعد أنْ نصّب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله علياً عليه السَّلام علماً للأُمَّة يوم غدير خم، منصرفة عن حجة الوداع فأنزل الله يومئذٍ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(١٩)، وهذا القول الأخير أقرب للصحة من وجوه عدة:

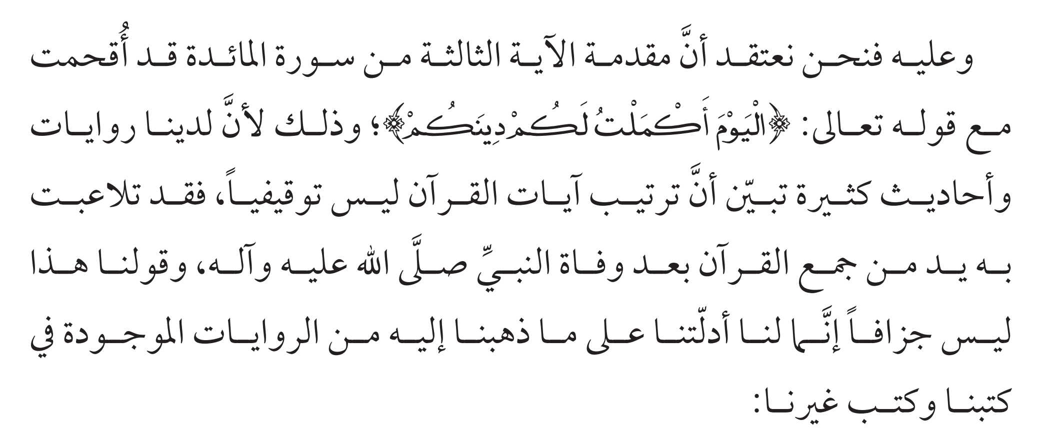
أَوّلها: ما روي عن أبي سعيد الخدري بسند طويل قال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله لَمَّا تنزلت قال: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام

النعمة ورضا الربّ برسالتي وولاية عليٍّ من بعدي»، وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره و اخذل من خذله»(٢٠).

ثانيها: إنَّ معنى إكمال الدين أنَّ هناك نقصاً يجب أنْ يكمل.

ثالثها: إنَّ هذه الآية نزل بعدها قرآن كثير، منها آية الربا، آية الكلالة، فلا دلالة على اكتمال الدين منها ولا سيما بعد نزول قرآن بعد نزولها(٢١).

ولصاحب الميزان رأي مقنع ويتقبله العقل السليم وهو حول حشر هذه المحرمات- أي الميتة والدم... - قبل إكمال الدين فهذه المحرمات قد حُرمت قبل أنْ تُحرم في هذه السُّورة يقول: (هذه الأربعة - أي المحرمات - مذكورة، فيما نزل من القرآن قبل هذه السُّورة كسورتي الأنعام والنحل وهما مكيتان، وسورة البقرة وهي أوّل سورة مفصلة نازلة بالمدينة، وقال تعالى: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل:١١٥)، والآيات جميعاً - كما ترى تحرم هذه الأربعة في صدر هذه الآية وتماثل الآية أيضاً في الاستثناء الواقع في ذيلها بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ... غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فآية المائدة بالنسبة إلى هذه المعاني المشتركة بينها وبين تلك مؤكدة لتلك الآيات)(٢٢).

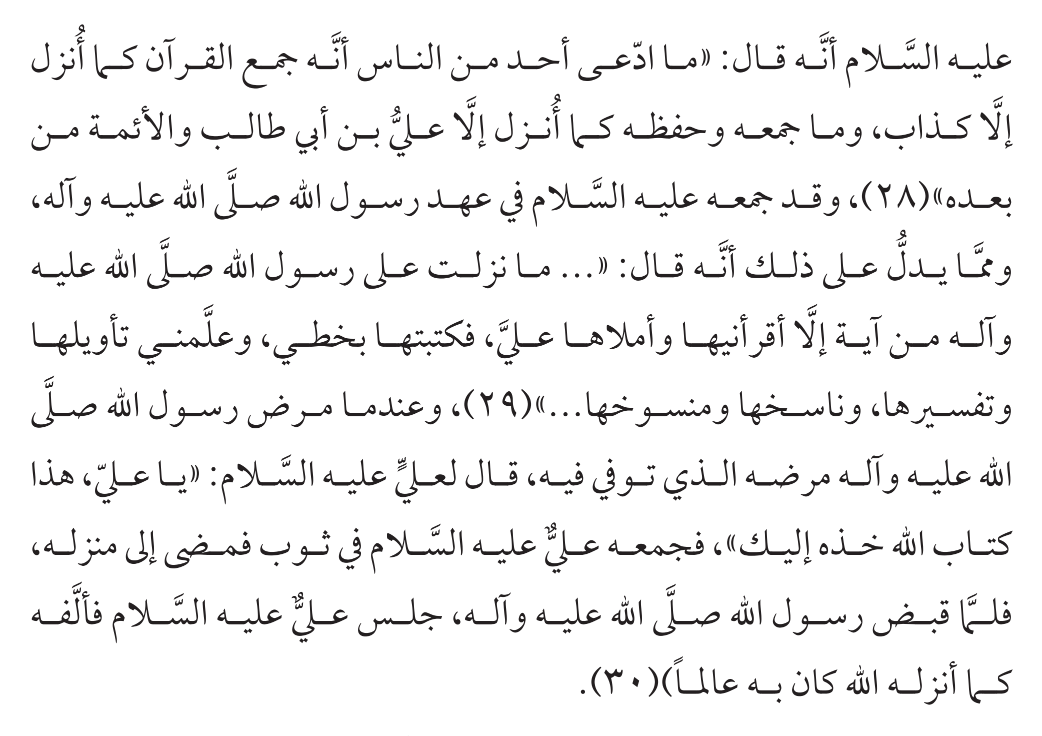

وعليه فنحن نعتقد أنَّ مقدمة الآية الثالثة من سورة المائدة قد أُقحمت مع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ وذلك لأنَّ لدينا روايات وأحاديث كثيرة تبيّن أنَّ ترتيب آيات القرآن ليس توقيفياً، فقد تلاعبت به يد من جمع القرآن بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وقولنا هذا ليس جزافاً إنَّما لنا أدلّتنا على ما ذهبنا إليه من الروايات الموجودة في كتبنا وكتب غيرنا:

- قالوا: إنَّ علياً عليه السَّلام (لمَّا رأى غدر الناس وقلّة وفائهم ونكث العهود والعقود وعدم وفائهم لمقتضيات البيعة وذهابهم في التيه وعصيان أمر الله ورسوله وعدم إطاعتهم إمامهم المنصوص عليه.... لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج حتى جمعه كلَّه، فكتبه على تنزيله وكتب الناسخ والمنسوخ والتفسير والتأويل وغيره....، فبعث إليه أبو بكر: أن اخرج فبايع، فبعث إليه: «إنِّي مشغول فقد آليت بيمين أنْ لا أرتدي برداء إلَّا للصلوات حتى أُؤلف القرآن وأجمعه»... فجمعه في ثوب واحد وختمه)(٢٣)، ثمَّ خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله فنادى عليه السَّلام بأعلى صوتِهِ: (يا أيَّها الناس، إنِّي لم أزل منذ قبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله مشغولاً بغسله ثمَّ بالقرآن حتى جمعته كلَّه في هذا الثوب الواحد، فلم يُنزل الله تعالى على رسول الله صلَّى الله عليه وآله آية إلَّا وقد جمعتها، وليست منه آية إلَّا وقد جمعتها، وليست منه آية إلَّا وقد أقرأنيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وعلَّمني تأويلها» فقالوا: لا حاجة لنا به عندنا مثله، ثمَّ دخل

بيته وهو يتلوا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٧)(٢٤)، وفي حكومة عمر (سأل علياً أنْ يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إنْ جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال عليه السلام: «هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنَّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجّة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنَّا كنَّا عن هذا غافلين أو تقولوا: ما جئتنا به إنَّ القرآن الذي عندي لا يمسُّه إلَّا المطهرون والأوصياء من ولدي» قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم؟ فقال عليه السَّلام: «نعم، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه، فتجري السنة به صلوات الله عليه»(٢٥)، فهل بالله عليكم بعد هذه الأحاديث شكٌّ في القرآن الكريم لم يرتب كما أُنزل؟ علماً أنَّنا لا نقول بالتحريف - معاذ الله - لكنْ نقول بأنَّه لم يُرتب كما أُنزل رغم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله كان عندما تنزل عليه آية ما يقول ضعوا الآية الفلانية في السورة الفلانية تحت رقم كذا، ولكنْ بحسب الروايات السابقة يظهر أنَّهم قد تلاعبوا بترتيب الآيات والقصد من وراء ذلك تضليل الناس لإبعادهم عن موضوع الإمامة والولاية العظمى، يقول ابن أبي الحديد: إنَّ عليّاً عليه السَّلام هو أوّل من جمع القرآن(٢٦)، ويقول السيوطي: إنَّ الإمام علياً عليه السَّلام كان قد جمعه على ترتيب النزول)(٢٧)، وعن أبي جعفر



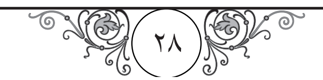
عليه السَّلام أنَّه قال: «ما ادّعى أحد من الناس أنَّه جمع القرآن كما أُنزل إلَّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أُنزل إلَّا عليٌّ بن أبي طالب والأئمة من بعده»(٢٨)، وقد جمعه عليه السَّلام في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّه قال: «... ما نزلت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله من آية إلَّا أقرأنيها وأملاها عليَّ، فكتبتها بخطي، وعلَّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها...»(٢٩)، وعندما مرض رسول الله صلَّى الله عليه وآله مرضه الذي توفي فيه، قال لعليٍّ عليه السَّلام: «يا عليّ، هذا كتاب الله خذه إليك»، فجمعه عليٌّ عليه السَّلام في ثوب فمضى إلى منزله، فلمَّا قبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله، جلس عليٌّ عليه السَّلام فألَّفه كما أنزله الله كان به عالماً)(٣٠).



وقد اعترف غير واحد من علماء العامّة أنَّ مصحف أمير المؤمنين عليه السَّلام لو عثر عليه لكان أصلح لأُمَّة الإسلام، من ذلك قال ابن جزي: (لو وجد مصحفه (عليه السَّلام) لكان فيه علم كثير)(٣١).

وقال صاحب فواتح الرحموت: (... وما روي عن أمير المؤمنين عليٍّ كرم الله وجهه ووجوه آله الكرام أنَّه قد جمع آيات القرآن على ترتيب النزول لا على هذا الترتيب، فقد روي عن الزهري قال: لو وجد لكان أنفع وأكثر علماً)(٣٢).

وقد امتاز هذا المصحف كما يراه العلماء ويراه محمَّد هادي معرفة بمميزات عدة:



١- ترتيبه على ترتيب النزول الأَوَّل فالأَوّل في دقّة فائقة.

٢- إثبات نصوص الكتاب كما هي من غير تحوير أو تغيير أو أنْ تشذ منه كلمة أو آية.

٣- إثبات قراءته كما قراه رسول الله صلَّى الله عليه وآله حرفاً بحرف.

٤- اشتماله على توضيحات - على الهامش طبعاً - وبيان المناسبة التي استدعت نزول الآية والمكان الذي نزلت فيه، والسّاعة التي نزلت فيها والأشخاص الذي نزلت فيهم.

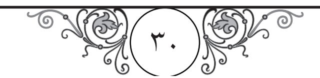
٥- اشتماله على الجوانب العامة من الآيات بحيث لا تخص زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصاً، فهي تجري كما تجري الشمس والقمر، وهذا هو المقصود من التأويل في قوله «ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل»(٣٣).

ورغم هذه المميزات إلَّا أنَّه رُفض رفضاً تاماً، فما كان من القوم إلَّا أنْ يفكروا في مهمة القيام بجمع القرآن؛ لأنَّ الناس أحسوا بضرورة جمعه، كون نبيّهم أوصاهم بجمعه لئلا يضيع كما ضيَّع اليهود توراتهم، فقد ورد عنه صلَّى الله عليه وآله أنَّه قال لعليٍّ عليه السَّلام: «يا عليُّ، القرآن خلف فراشي في الصحف والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة»(٣٤)؛ لذا انتدبوا لهذه المهمة زيد بن ثابت وهو من كتّاب الوحي - قال زيد حول المهمة: (أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعمر جالس عنده، وقال: إنَّ هذا - وأشار إلى عمر- أتاني



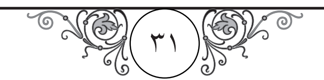
وقال: إنَّ القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وأخاف أنْ يستحر بهم القتل في سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن، وأشار عليَّ بجمع القرآن، فقلتُ لعمر: كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله صلَّى الله عليه وآله؟ فقال: هو والله خير، فلم يزل يراجعني عمر حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت الذي رأى عمر، فقال زيد: قال لي أبو بكر: إنَّك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلَّى الله عليه وآله، فتتبع القرآن واجمعه، قال زيد فو الله لو كلفوني نقل جبل من مكانه لم يكن أثقل عليَّ ممَّا كلفوني به، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلَّى الله عليه وآله؟ فلم يزل أبو بكر وعمر يلحّان عليَّ حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، وقال زيد: فقمت أتتبع القرآن وأجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال)(٣٥).

وهنا يرد سؤال مفاده: إذا كان أمير المؤمنين عليه السَّلام قد جمع القرآن وقدمه لهم فهل كان هناك من داعٍ لو لم يكن لديهم مآرب يريدون إمرارها على هذه الأُمَّة؟ ثمَّ هؤلاء ألا يعلمون أنَّ علياً عليه السَّلام ربيب الوحي وربيب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وأقرب الناس إليه، فالأَولى الأخذ بالقرآن الذي جمعه هو لا أنْ يأتوا بشخص بعيد عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله - وإنْ كان صحابياً - ليجمع القرآن، فأهل مكة أدرى بشعابها- كما يقولون - فعليٌّ عليه السَّلام أدرى بالقرآن؛ لأَنَّه دائماً يقول: «.... سلوني قبل أنْ تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لسألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيمَ نزلت، وأنبأتكم



بناسخها من منسوخها، وخاصها من عامّها ومحكمها ومتشابهها ومكيها من مدنيها...»(٣٦)، وقال أيضاً: «والله ما نزلت آية إلَّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، أ بليل أم بنهار نزلت، في سهل أو جبل، إنَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً»(٣٧)، ثمَّ أوليس رسول الله صلَّى الله عليه وآله قد قال: «إنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»(٣٨)، فهل بعد هذا يحتاج الموضوع إلى أنْ يأتوا برجل مثل زيد ليكتب القرآن ويجمعه، والذي ألَّف بدوره لجنة من خمسة وعشرين عضواً وكان عمر يشرف عليهم بنفسه كما ذكر ذلك اليعقوبي(٣٩)، وهذا كلُّه حصل ليضلوا الناس؛ لذا ترى رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «لو أنَّ الناس قرؤوا القرآن كما أُنزل ما اختلف اثنان»(٤٠)، وقال الإمام الصادق عليه السَّلام: «لو قُرِء القرآن كما أُنزل لأُلفينا -لألفيتمونا- فيه مسمين»(٤١)، وعليه لا نقول إلَّا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ منقلب ينقلبون، وهذا الاختلاف بين المصحفين - المصحف العلوي والمصحف الذي جمعه زيد بن ثابت - هو الذي سوف يسبب صعوبة تعلّمه في زمن ظهور الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف كما أخبرنا الإمام أبو جعفر عليه السَّلام بذلك فقال: «إذا قام القائم من آل محمّد ضرب فساطيط لمن يعلم الناس على ما أَنزله الله عزَّ وجلَّ فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنَّه يخالف فيه التأليف»(٤٢).

هذا ما يخصُّ أهم الأُمور الجدلية في هذه السُّورة والتي يحقُّ لنا أنْ



نسميها بسورة العقود كما سماها الآلوسي في روح المعاني(٤٣)، فالوفاء يعقد الولاية والتسليم لأمر الله لا يكون إلّا لمن فتح الله بصره وبصيرته.

المطلب الثاني: آيات الغدير، أسباب نزولها:

التمهيد:

جَرت سنة الله في خلقة، أنَّ الرسالة الربانية بَعد رحيل أيِّ نبيٍّ من أنبياء الله المرسلين أنْ لا يترك الناس سدى، بل يترك لهم أوصياء، لهم خصائص غير عادية تقترب بهم من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في كثيرٍ من مواصفاتهم، وهؤلاء هم أُمناء الله على وحيه بعد رحيل أنبيائه، وكما اختار المولى تعالى أنبياءه على وفق مواصفات خاصة، كذلك يختار هؤلاء ضمن مواصفات خاصة أيضاً، ولا يحقُّ لأحد من البشر التدخل بذلك الاختيار الربّاني، وهذه السُّنّة جرت أيضاً عند البشر العاديين، فنحن نشاهد أنَّ البشرية وعبر تاريخها عندما تريد أنْ تضع قوانين وشرائع وضعية فإنَّها تعمد إلى اختيار رجال مختصين بهذه الشرائع والقوانين بما يناسب ذوق تلك الشرائع والقوانين وروحها، هكذا هي الحكمة الإلهية تختار نماذج مختصة من هذا القبيل بمستوى طهارة الرسالة.

وهذه السُّنّة و كما جرت على الأنبياء والمرسلين السابقين لرسولنا عليه وآله وعليهم التحية والسَّلام، كذلك جرت في أُمَّة محمَّد صلَّى الله عليه وآله، هذا النبيّ الذي لا ينطق جزافاً ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣-٤)، فهو عندما يقول مثلاً: «الحقُّ مع عليٍّ وعليٌّ

مع الحقِّ لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»(٤٤)، أو يقول: «عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض»(٤٥)، أو قال: «رحم الله علياً، اللهم أدر الحقَّ معه حيث دار»(٤٦)، وقوله له: «يا عليُّ من فارقك فقد فارقني ومن فارقني فقد فارق الله عزَّ وجلَّ»(٤٧)، وغيرها من الأحاديث، فهل قالها -لا سمح الله- جزافاً؟ إنَّما قالها لكي يمهد الاختيار الإلهي الذي هُدد إنْ لم يبلغه فإنَّه ما بلَّغ الرسالة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧)، لكنَّ هذا الأمر -وعلى الرغم من التبليغ النبويِّ- إلَّا أنَّ جماعة من الصحابة شاءت تعطيل القرارات الربانية بشأن الوصي وأدارت ظهرها لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وتخطيطه لمستقبل الدعوة الإلهية الخاتمة.

مع آيات الغدير في سورة المائدة:

تواترت الأخبار أنَّ سورة المائدة قد حوت ثلاثة نصوص تأمر بولاية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام وأمرته وهي كما وردت في سورة المائدة:

الآية الأُولى: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣)، وقد نزلت في حجّة الوداع(٤٨)، وهذا ما تواترت عليه الأخبار، وقد كمل في نزولها الدين، وكانت في آخر عمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، إذ بيّن لأُمَّته كمال دينهم ووضح لهم سبيل الحقّ، وتركهم على الطريقة المثلى، إذ أقام لهم علياً إماماً

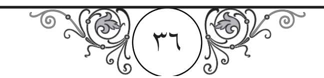
وعلماً، وهذا هو الذي تحتاجه الأُمَّة بعد رحيل نبيِّها؛ لكي لا تشكم شوكتها؛ لذا ورد عنه أنَّه فور انتهائه من مراسم التتويج قال: «الله أكبر على كمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربِّ برسالتي وولاية عليٍّ بن أبي طالب من بعدي»، ثمَّ قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله»(٤٩)، ثمَّ ضرب على منكب أمير المؤمنين عليه السَّلام قائلاً: «طوباك يا عليّ، أُنزلت عليَّ في وقتي هذا آية ذكري وإياك فيها سواء»، ثمَّ تلا الآية السابقة، ثمَّ قال: «أكملت لكم دينكم بالنبيِّ، وأتممت عليكم نعمتي بعليٍّ، ورضيت لكم الإسلام ديناً بالعرب»(٥٠)، فقال عمر بن الخطاب: (بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن)(٥١)، حصل هذا كلُّه بعد أنْ جمع الرسول صلَّى الله عليه وآله الحجاج بعد انتهاء مراسيم الحج في مكان يقال له (غدير خم)، هذا المكان الذي كان بالضبط مفترق أربعة طرق مهمّة في طريق حجّاج بيت الله الحرام، وحتى اختيار هذا المكان كان لحكمة إلهيّة نبويّة، فغدير خم من الجحفة تتشعب فيها الطرق إلى مصر والعراق والمدينة والشام واليمن؛ لكي لا يقول قائل: إنِّي لم أسمع قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فجمعهم صلَّى الله عليه وآله بهجير الحر وقت الظهيرة، وقد استعمل معهم نظرية (المنعكس الشرطي) تلك النظرية الذي سجل معرفتها باسم العالم الروسي (ايفان بافلوف ١٨٤٩-١٩٣٦م) وعُدَّ هو مخترعها أو مكتشفها الأوّل والأخير، فقد عمل على دراسة دماغ الإنسان مدّة ثلاثين عاماً، ونظريته باختصار هي (أنَّه كان

يضع حيواناً في قفص وعندما يفتح له الضوء يعطيه الطعام، فصارت عنده حالة أنَّه كلَّما شاهد الضوء قد فُتح له أخذ لعابه يسيل من فمه؛ لأنَّه كان يربط بين فتح الضوء وبين جلب الطعام له حتى وإنْ كان على شبع)(٥٢)، وهذه النظرية قد طبقها رسول الله صلَّى الله عليه وآله قبل ١٤٠٠ عام يوم غدير خم مع حجّاج بيت الله الحرام الذين حجّوا معه في السنة العاشرة من الهجرة المباركة، والتي سميت في ما بعد (بحجة الوداع أو حجة الإسلام أو حجة البلاغ أو حجة التمام أو حجة الكمال) (٥٣)، فإنَّه صلَّى الله عليه وآله قد جمعهم في مفترق هذه الطرق الأربعة بهجير الحرِّ لكي يعمل لديهم المنعكس الشرطي ليربطوا دائماً بين حرارة الشمس- أي كلَّما أصابتهم حرارة الشمس- وبين هذا العهد المعهود الذي بلَّغهم به صلَّى الله عليه وآله، وكان عددهم حوالي (مئة ألف إلى مائة وعشرين ألف حاج)، حتى لا يقول قائلهم: إنِّي لم أسمع ولم أشهد، وبهذا أكمل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله الحجّة على الأُمَّة، تلك الأُمَّة التي نسيت ذلك العهد المعهود وعملت على تزوير تاريخ هذه الواقعة، والتي كانت في الثامن عشر من ذي الحجة أي بعد ثمانية أيام من الحج، وإليك التزوير: قال ابن جرير... عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب- يعني كعب الأحبار-: لو أنَّ غير هذه الأُمَّة نزلت عليهم هذه الآية- يقصد آية كمال الدين- لنظروا اليوم الذي أُنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه: قال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أُنزلت



والمكان الذي نزلت فيه، نزلت في يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد)(٥٤)، فهذا الذي قال لأمير المؤمنين بالأمس: بخٍ بخٍ لك يا عليُّ أصبحت مولاي...، هو نفسه يحاول اليوم إضلال اليهودي رغم تأكده من تاريخ هذا العيد؟ (رغم أنَّ المحدثين رووا كثيراً عن الوداع الرسولي المهيب الذي تمَّ بإعلان ربانيٍّ مسبقٍ وإعداد نبويٍّ واسع، وإنْ كانوا ضيّعوا من أحاديثه هوية الأئمّة الاثني عشر، وضيعوا كثيراً ممَّا يتعلق بالعترة عليه السلام(٥٥)، فكان جواب عمر لليهودي غير مقنع لأنَّه إنْ قصد أنَّ نزولها صادف يوم جمعة ويوم عرفة! فيقول له اليهودي: إنْ كان ربُّكم لا يعلم أنَّه يوم عيد فيا ويلكم من عبادته! وإن يعلم فكيف أنزل عيداً وإكمال الدين على عيد أو اثنين وهو يعلم أنَّهما سيأكلانه؟ فلماذا خرَّب عليكم ربُّكم هذا العيد؟! وإنْ قصد عمر أنَّ عيد إكمال الدين أُدغم وصار مشتركاً في يوم واحد مع عيد عرفة والجمعة، فأين هو إلَّا عند الشيعة؟!)(٥٦).

اليوم الشيعة وحدهم من يحتفلون بعيد الغدير ويعدُّونه عيد الله الأكبر (لأنَّهم يعتقدون أنَّ القيادة العليا للأُمَّة الإسلاميّة وخلافة الرسول صلَّى الله عليه وآله منصبٌ ربانيٌّ ينصُّ عليه الرسول صلَّى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى ولم يتركه الله ورسوله إلى الانتخاب الشعبي بالرأي العام مادام الرسول القائد وخليفته يحكمان الشعب باسم الله تعالى وباسم دينه القويم...)(٥٧)، وقد ورد عن صاحب الرسالة ضرورة تعظيم هذا اليوم- أي الثامن عشر من ذي الحجّة المبارك-، فقد روى أبو هريرة أنَّ



النبيَّ صلَّى الله عليه وآله أمرهم أنْ يصُوموا ذلك اليوم شكراً لله تعالى، قال: «من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة، كُتب له صيام ستين شهراً»، وهو يوم غدير خم لَّما أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: «ألست وليَّ المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٥٨)، فهل يا ترى سمع عمر هذا الحديث من رسول الله صلَّى الله عليه وآله أم لا؟ أو أنَّه قصد إلى تضليل المسلمين وتضليل اليهودي الذي سأله!

روي عن الإمام الصادق عليه السَّلام قوله: «قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: يوم غدير خم أفضل أعياد أُمَّتي، هو اليوم الذي أمرني الله بنصب أخي عليٍّ بن أبي طالب فيه علماً لأُمَّتي يهتدون به بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتمَّ على أُمَّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً»(٥٩)، وعنه عليه السَّلام كذلك عندما سُئل: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ فقال عليه السَّلام: «نعم أعظمها حرمة»، فقال الراوي: وأيُّ عيد هو؟ فقال عليه السَّلام: «اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السَّلام، وقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجّة»، فقال الراوي: وما ينبغي لنا أنْ نفعل في ذلك اليوم؟ فقال

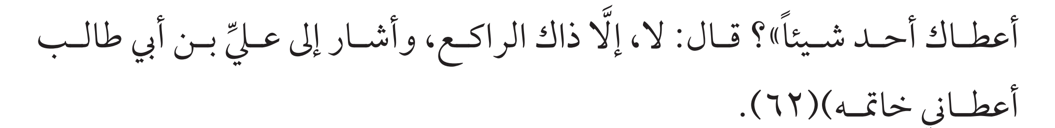
عليه السَّلام: «الصيام، والعبادة، والذكر لمحمّد وآل محمّد صلَّى الله عليه وآله والصلاة عليهم، وأوصى رسول الله صلَّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السَّلام أنْ يتخذ ذلك اليوم عيداً، كذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً»(٦٠)، وغيرها كثير من الأحاديث التي تعظم شأن ذلك اليوم المبارك، وعودة على بدأ نقول: إنَّ هذه الآية لا يوجد فيها قرينة داخلية أو خارجية تدلُّ على اتصال السِّياق هنا، وعليه فلا يمكن ربط الآية بما قبلها وما بعدها، يقول الشيخ علي الكوراني في (تفسير آيات الغدير الثلاث) (ص٣٩-٤٠): إنَّ أَوَّل ما يفاجئك غرابة مكان الآية! فقط رووا أنَّها نزلت في حجّة الوداع آية مستقلة لا جزء آية، وها هي في القرآن جزء من آية اللحوم، وكأنَّها حُشرت حشراً فيها، بحيث لو رفعتها لما نقص من معنى الآية شيء بل اتصل السّياق، ثمَّ كيف تفسر هذا التناقض حيث قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ أي أتممت الأحكام، ثمَّ يقول بعدها: فمن اضطر في مخمصة... ثمَّ يواصل تنزيل أحكام اللحوم، والصيد، وطعام أهل الكتاب، وأحكام الزواج والنساء! فكيف أكمل دينه ولم يكمله؟!!.

وهذا يدلُّ على أنَّ ما ذهبنا إليه في المطلب الأَوَّل ليس من وحي الخيال، إنَّما هو موضوع قد طرقه علماؤنا الأعلام ويؤيده ما رواه الكليني في الكافي (١/ ٢٨٩) عن الإمام الباقر عليه السَّلام أنَّه قال: «وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عزَ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾»، فكيف يحشر موضوع تحريم

اللحوم الأربعة بهكذا مكان وهو ليس بآخر الفرائض؛ لأنَّه وكما قال الطباطبائي في الميزان: إنَّ هذه اللحوم الأربعة قد سبق تحريمها في سورتي الأنعام والنحل، وهما مكيتان، وسورة البقرة وهي مدنية.

الآية الثانية: قال تعالى في سورة المائدة أيضاً: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، وهذا الآية نزلت في المدينة المنوّرة قبل حجّة الوداع، وقد نزلت بأمير المؤمنين عليه السَّلام حين تصدق بخاتمه وهو راكع، وهذا ما عليه إجماع المسلمين، على اعتبار أنَّ آية إكمال الدين وإتمام النعمة هي آخر ما نزل من القرآن الكريم.

يقول السيوطي: وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: (وقف بعليٍّ سائل وهو راكع في صلاة تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فاعلمه ذلك فنزلت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله هذهِ الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا......﴾، فقرأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله على أصحابه ثمَّ قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»(٦١)، ونقل السّيوطي أيضاً عن ابن مردويه أنَّها نزلت في عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام قال: (نزلت هذه الآية على رسول الله صلَّى الله عليه وآله في بيته ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخر الآية، فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله فدخل المسجد، فوجد الناس يصلّون بين راكعٍ وساجد وقائم يصلِّي، فإذا سائل فقال صلَّى الله عليه وآله: «يا سائل هل



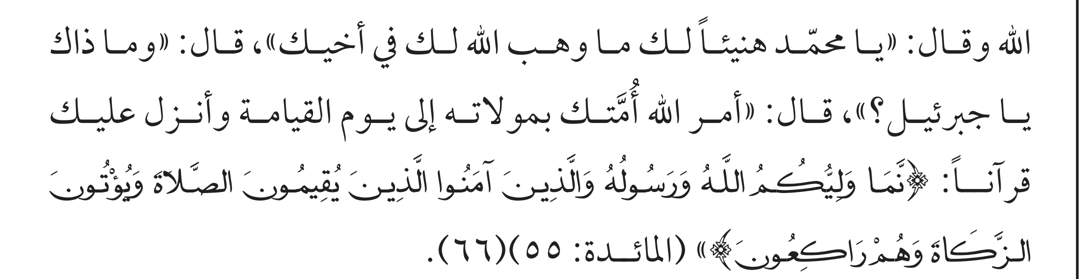
أعطاك أحد شيئاً»؟ قال: لا، إلَّا ذاك الراكع، وأشار إلى عليٍّ بن أبي طالب أعطاني خاتمه)(٦٢).

وأخرج الحسكاني بسند طويل قال: حدثنا هيثم عن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر عن قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ قال: «هم المؤمنون»، قلت: فإنَّ أُناساً يقولون: هو عليٌّ بن أبي طالب؟ قال: «فعليٌّ من الذين آمنوا»(٦٣)، أعتقد أنَّ جواب الإمام كان من باب أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أ ليس هو القائل لخيثمة: «إنَّ القرآن نزل أثلاثاً، فثلث فينا وثلث في عدونا وثلث فرائض وأحكام، ولو أنَّ آية نزلت في قوم ثمَّ مات أولئك ماتت الآية، إذاً ما بقي من القرآن شيء، إنَّ القرآن يجري في أَوّله إلى آخره وآخره إلى أَوَّله ما قامت السَّماوات والأرض، فلكلِّ قوم آية يتلونها هم منها في خير أو شر»(٦٤)، وحديث الإمام الصادق عليه السَّلام يؤيد ذلك، فقد نقل الكليني في الكافي عن عمر بن يزيد قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ...﴾(الرعد: ٢١)؟ قال: «هذهِ نزلت في رحم آل محمّد عليهم وآله السَّلام، وقد تكون في قرابته»، ثمَّ قال: «فلا تكونن ممّن يقول للشيء: إنَّه في شيء واحد»(٦٥)، وبهذا يكون جوابه عليه السَّلام من هذا الباب؛ كونَ الآية ثابت عند الطرفين نزولها في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام.

الحسكاني نقل الرواية عن عبابة بن ربعي قال: (بينما عبد الله بن عباس، جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله،

وإذا أقبل رجل معتم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا قال الرجل: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال ابن عباس: سألتك من أنت، فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري، أنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله بهاتين وإلَّا فصمّتا، ورأيته بهاتين وإلَّا فعميتا، وهو يقول: «عليٌّ قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».

أَمَا إنِّي صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إنِّي سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليٌّ راكعاً، فأومأ إليه بخنصره الأيمن – وكان يتختم فيها– ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فلمَّا فرغ النبيُّ من صلاته، رفع رأسه إلى السَّماء وقال: «اللهم إنَّ أخي موسى سألك وقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٥-٣٢)، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ...﴾ (القصص: ٣٥)، اللهم وأنا محمّد نبيُّك، وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، وأجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي أُشدَّد به أزري»، قال أبوذر: فو الله ما استتم رسول الله صلَّى الله عليه وآله الكلام حتى هبط جبرئيل من عند


الله وقال: «يا محمّد هنيئاً لك ما وهب الله لك في أخيك»، قال: «وما ذاك يا جبرئيل؟»، قال: «أمر الله أُمَّتك بموالاته إلى يوم القيامة وأنزل عليك قرآناً: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾» (المائدة: ٥٥)(٦٦).

وهذه الرواية نفسها نقلها الفخر الرازي في تفسيره الكبير(٦٧)، معلقاً على أنَّ الروايات الواردة في نزولها في الإمام هي ثلاث روايات فقط، وهذا كذب وعناد لا أساس له، فقد جمع المحدث البحراني في (غاية المرام) أربعةً وعشرين حديثاً من منابع أهل السنة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة، فتشكل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً، وعليه فإنَّ هذهِ الروايات الواردة في شأن هذهِ الآية متواترة(٦٨)، وبهذا نرى أنَّ الإجماع قد وقع بين المسلمين سُنة وشيعة على أنَّ هذهِ الآية نازلة بأمير المؤمنين، في أواخر عمر رسول الله الشريف؛ لأَنَّ الحديث عن مسألة الوصي والخليفة تُطرح بشكل طبيعي في أواخر عمر القائد، لأَنَّ الوصي تكون صلاحياته ومسؤولياته غير متحققة إلَّا بعد وفاة القائد الفعلي.

نسيت أن أخبركم أنَّ عمر بن الخطاب قال: بعد نزول هذه الآية (والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل فيَّ ما نزل في عليٍّ بن أبي طالب فما نزل)(٦٩).

الآية الثالثة: قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، هذه الآية أيضاً نزلت في حجّة الوداع

قبل الإعلان عن إكمال الدين وإتمام النعمة.

وهذه الآية الأخيرة من آيات الغدير التي نزلت في سورة المائدة والتي وللأسف الشديد تعرضت إلى هبوب عواصف التعصب، فقد أحاطها المفسرون غير الشيعة بكثير من الاحتمالات ممَّا لم يحط آيات أُخرى مشابهة لها، هذه الآية التي عنت أنَّ روح الإسلام الحقيقية تكمن في واقعة الغدير؛ لأنَّ الله تعالى قد جعل مقابل جهاد النبيِّ وجهوده على مدى ثلاث وعشرين سنة، هذا التبليغ وإنْ لم يفعل فإنَّه لم يبلّغ؛ وهذا دليلٌ آخر على أنَّ في الغدير ومضمونه ما يمثّل روح الإسلام وحقيقته ورسالته؛ وعليه فهو لا يختص بالشيعة وحدهم، إنَّما هو يخصُّ العالم الإسلامي جمعاء.

هذه الآية تبيّن أنَّ جوهر مفهوم عيد الغدير هو أنَّ الأنبياء لم يُبعثوا لوعظ الناس فقط، وإنَّما بُعثوا لإقامة مجتمع أساسه القيم الإلهيّة وسلطة العدل الإلهي، مفعمة بالفضيلة، يعني التأثير في واقع حياة الناس، وهذا لا يتم إلَّا من خلال حاكميّة الولاية الإلهيّة عليهم المتمثلة بوجود النبيِّ الكريم، ولا بُدَّ لهذا الوجود وهذه الزعامة أنْ تستمر حتى تستمر حاكميّة الولاية والاقتدار الإلهي ويبقى الدين الذي لا يختص بفترة زمنيّة معينة، فكان لا بُدَّ للسماء أنْ تختار من يكون استمراراً لوجود النبيِّ، وهذا الاختيار ليس من اختصاص أحدٍ ولا يحقُّ لأحد التدخل فيه، فالسّماء كما اختارت بالأمس النبيَّ تختار اليوم الوصيّ، فكان الإمام عليٌّ عليه السَّلام هو الاختيار الإلهي الذي يجب على الجميع الرضوخ له ومعرفته

لا الشيعة فقط، بل كلُّ المسلمين مدعوون لمعرفته والاهتمام به ويعرفوه بجوهره ثمَّ ليبثوه إلى العالم أجمع.

هذه الآية نزلت بعد أنْ أبلغ الرسول صلَّى الله عليه وآله الجموع الغفيرة التي كانت معه في حجّة الوداع بولاية أمير المؤمنين، لكنَّه صلَّى الله عليه وآله كان يخشى بعد أنْ صدع بالأمر من ردود الأفعال فكان صلَّى الله عليه وآله (ينتظر من ربِّه سنداً إلهيًا ووعداً صريحاً وضماناً لإزالة هذا التخوف والطمأنينة من جهة هذا الاحتمال، وقد جاء السّند الإلهي المتين قبل أنْ يتفرق الناس وفي آخر ساعة لوجود ذلك التجمع الهائل، حيث نزل الروح الأمين على الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧)، والواقع أنَّ كلَّ ما قيل وادُّعي في تفسير هذه الآية ليصرفها عن هذا التفسير لا يقاوم تفسيرها هذا، إلَّا من حيث انسجامها مع سياقها ولهجتها ولا من حيث الروايات)(٧٠).

الفخر الرازي احتمل لتفسيرها عشرة وجوه، جعل الوجه العاشر والأخير هو سبب نزولها في أمير المؤمنين عليه السَّلام فقال: (نزلت في فضل عليٍّ بن أبي طالب -عليه السلام-، ولمَّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن علي)

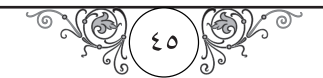
(٧١).

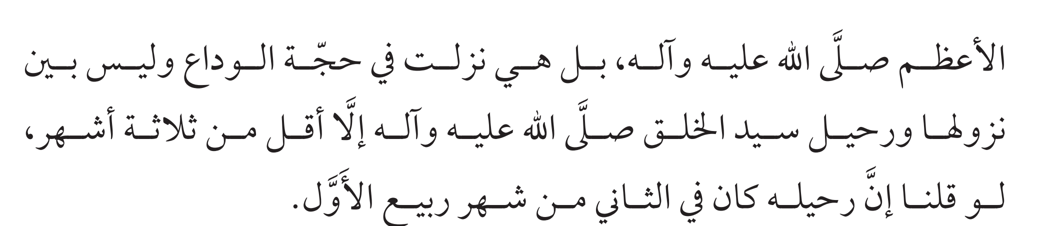
الواحدي في أسباب النزول نقل عن أبي سعيد الخدري قوله: (نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يوم غدير خم في عليٍّ بن أبي طالب – عليه السَّلام –)(٧٢)، وعنه نقل ابن الصباغ في فصولهِ المهمة أنَّها نزلت يوم غدير خم في عليٍّ بن أبي طالب(٧٣).

وقد نقل العلامة الأميني صاحب كتاب الغدير (حديث الغدير عن (١١٠) من صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله بالإسناد والوثائق الحيّة، وكذلك عن (٨٤) من التابعين و(٣٦٠) من مشاهير علماء المسلمين ومؤلفيهم)(٧٤)، ونحن لا نعيد ما أثبته ودوَّنه علماؤنا الأعلام وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على سعة خبر الغدير وشموليته وصحّة تواتر هذهِ الآيات الثلاث من سورة المائدة وأنَّها نازلة فيه.

نأتي الآن للحديث عن مضمون هذهِ الآية المباركة من السورة والتي سميت بآية البلاغ وهي واضحة في مدلولها، لكنَّ بعض من سولت له نفسه وعمي عن الحقِّ أبى إلَّا القول: إنَّ الآية دالة على وجوب التبليغ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، أي تبليغ الدين مطلقاً، وقد ردَّ على تخرصاتهم جمع من علمائنا الأعلام منهم حيدر الوكيل الذي قال: إنَّ هذا غريب لا يمكن المصير إليه وذلك لأمرين:

الأَوّل: إنَّ الآية من سورة المائدة وهي من أواخر ما نزل على الرسول





الأعظم صلَّى الله عليه وآله، بل هي نزلت في حجّة الوداع وليس بين نزولها ورحيل سيد الخلق صلَّى الله عليه وآله إلَّا أقل من ثلاثة أشهر، لو قلنا إنَّ رحيله كان في الثاني من شهر ربيع الأَوَّل.

الثاني: إنَّ هناك آيات سابقة في سور قبل المائدة أمرته صلَّى الله عليه وآله بالتبليغ وكفته شرَّ المعاندين مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٤-٩٥) على أنَّ لسان الآية يأتي ذلك التوجيه لما فيها من المبالغة في شأن الأمر الذي يريد الحقُّ عزَّ وجلَّ تبليغه للناس، بحيث جعل عدم تبليغه مساوياً لعدم تبليغ الرسالة بأكملها(٧٥).

وهذه التخرصات التي تذرَّع بها هؤلاء القصد منها نصرة ساداتهم الأوائل الذين نكثوا بيعة الغدير، وتظاهروا ضدَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام لأسباب يمكن الوقوف عليها والتي أشار إليها عبد الأمير السيد علي خان وهي:

١- إنَّ العرب بصورة عامة كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وأنَّ الدين كان ثقيلاً عليهم، وكان كثيرٌ منهم قد دخل الإسلام كرهاً، وكانت الولاية بصورة خاصة أثقل عليهم من جوانب الدين الأُخرى.

٢- إنَّ العرب بصورة عامة وقريش بصورة خاصة كانت تستثقل عليَّ بن أبي طالب عليهما السَّلام ودوره في تثبيت دعائم الإسلام؛ لأنَّه جدَّل أبطالهم وناوش ذؤبانهم.

٣- إنَّ بعض الصحابة كانوا يتوقون ويتطلعون دائماً بل يتحسرون أنْ يشاركوا الإمام ببعض منازله وخصائصهِ وأدواره.

٤- يبدو أنَّ أبا بكر وعمر كانا حريصين جداً على أنْ تكون لهما بعض الأدوار الخطيرة التي للإمام سواء في حياة الرسول صلَّى الله عليه وآله أَم بعد مماتهِ.

٥- كان الإمام يتفوق على الصحابة جميعاً في جميع المواقف والخصائص ومن جميع الوجوه.

٦- كذلك لم يسلم وسط الأنصار من تمني بعض ما للإمام من خصائص ومواقف(٧٦).

وكان من إرهاصات ذلك كلِّه أنْ يقف أحد المسلمين بعد نزول هذهِ الآيات الثلاث في سورة المائدة، ليتهم الرسول الله صلَّى الله عليه وآله وبدون حياء أو خجل، أنَّ ما حدث في غدير خم ليس من الله إنَّما منه صلَّى الله عليه وآله، وهذا ما استدعى نزول نصٍّ قرآنيٍّ بهذا الغرض.

فقد نقل العلماء من الفريقين أنَّ قوله تعالى من سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (المعارج: ١-٣)، قد نزل بعد الإعلان الرسمي بولاية سيد الأوصياء يوم الغدير.

والخبر كما نقله العلماء وإن اختُلف في تسمية السائل بالعذاب فمنهم من قال: (إنَّه النضر بن الحارث، وقال آخر إنَّه أبو جهل، وقال آخرون إنَّه النعمان الفهري، ويبدو أنَّ القول بالاسمين الأولين هما لإبعاد الواقعة

عن حادثة الغدير، حيث قتل كلا الرجلين لعنهما الله تعالى يوم بدر، وأمَّا الثالث وهو النعمان فهو متفق مشترك بين رواياتنا وأخبار المخالفين) (٧٧).

ومن تلك الروايات ما نقله الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره أنَّ سفيان بن عيينة سأل عن قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾ فيمن نزلت؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك، حدثني أبي، عن جعفر بن محمّد عن آبائه قال: «لمَّا كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليٍّ عليه السَّلام فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه...، فشاع وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله على ناقة لهُ حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثمَّ أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وهو في ملأ من الصحابة فقال: يا محمَّد أمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله فقبلناهُ منك، وأمرتنا أنْ نُصلي خمساً فقبلناهُ منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا منك، وأمرتنا بالحج فقبلنا، وأمرتنا أنْ نصوم شهراً فقبلنا، ثمَّ لم ترضَ بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمِّك ففضلتهُ علينا وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فهذا الشيء منك أَم من الله تعالى؟ فقال صلَّى الله عليه وآله: والذي لا إله إلَّا هو إنَّ هذا من الله، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فلما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره

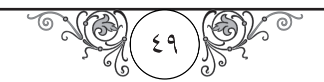
فقتلهُ، وأنزل الله سبحانه ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾ الآية(٧٨)، وقد نقل هذا الخبر غيره من العلماء، وهذا مصداقٌ لما قلنا من أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام كان في موضع حسد من قبل أكثر الصحابة الذين وصفهم القرآن بالكافرين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم وأحلّوا قومهم دار البوار، هؤلاء الذين جحدوا ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام بعد إقرارهم بها يوم غدير خم، الذين لم يعرفوا قدره ولا منزلته، تلك المنزلة التي قال عنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**يا عليُّ ما عرفك إلَّا الله وأنا**»(٧٩).

وأخيراً نقول إنَّ الناظر لسورة المائدة ولآياتها الثلاث التي نزلت في أمير المؤمنين عليه السَّلام يجدها مترابطة ترابطاً وثيقاً حتى ليحقَّ له أنْ يقول إنَّها ثلاث آيات متتالية في وجودها القرآني، آية الولاية، ثمَّ آية التبليغ ثمَّ آية إكمال الدين وإتمام النعمة، لكنْ وحسرتاه لقد فرقها الظالمون بين ثنايا سورة المائدة ليضلوا الناس عن سواء السبيل.

الخاتمة

بعد أن غصنا في أعماق سورة المائدة بحثاً عن آيات الغدير وآيات الولاية توصلنا إلى نتائج عدّة كان منها:

١- القرآن نصٌّ خالد وشهد بخلوده العدو والصديق لم يُحرَّف ولم



يُدل، لكنَّ الصحابة تلاعبوا بترتيب بعض آياته لأغراض سياسيّة كترتيب آيات سورة المائدة فيها.

٢- ثبتَ أنَّ الإمام علياً عليه السَّلام قد أتى للأُمَّة بالقرآن المرتّب حسب الترتيب النزولي له، لكنَّ الصحابة رفضوه بذرائع ليست مقنعة، فما كان من الإمام إلَّا السكوت حفاظاً على بيضة الدين.

٣- ثبت أنَّ بعض علماء الشيعة يقرون بهذا التقديم والتأخير ولديهم أدلّة حديثية تثبت ذلك نقلها العلماء الأعلام في تفاسيرهم وكتبهم.

٤- دلَّت الأدلّة النقلية نصاً وبالقرائن على أنَّ آية إكمال الدين أُنزلت بعد أن اكتملت عملية تشريع جميع الفرائض الفقهية وغير الفقهية، بحيث يصدق بأنَّه قد كمل الدين وتمت النعمة، والآية نفسها في مدلولها اللفظي وصريح نصها وعمومه، دليل على أنَّها آخر ما أُنزل من القرآن من فرائض وغير فرائض.

٥- إنَّ نصَّ إكمال الدين وإتمام النعمة يرتبط ارتباطاً موضوعياً وثيقاً بآيتي الولاية والتبليغ، فشكَّلا بمجموعهما أرضيّة صلبة لعقد ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام.

٦- ثبت أنَّ حديث الغدير قد احتل موقعاً متميزاً بين النصوص المثيلة له، لأسباب زمنية ومكانية كونه قد اتصل اتصالاً وثيقاً بمستقبل الرسالة الإلهيّة الخاتمة، فمهمّة الإمامة مكمّلة لمهمّة الرسالة، ولو لا هذا لما خاطب نبيَّه الكريم بهذهِ اللهجة الشديدة فيقول له: ﴿... وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾.

الهوامش

١- بحار الأنوار، المجلسي ٢/ ٢٤٢.

٢- تفسير المنار، محمّد رشيد رضا ٦/ ١١٦.

٣- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي٣، ٥٠٤.

٤- مجمع البيان، الطبرسي ٣/ ٢٣١.

٥- الفرقان في فضائل سور القرآن، حسن عبد الحسين الصالحي، ٦٧.

٦- المصدر نفسه، ٦٨.

٧- فضائل القرآن، القاسم بن سلام، ١٢٨.

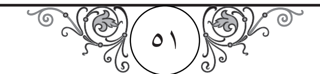
٨- حقوق الأُمَّة وواجباتها في سورة المائدة، يوسف كمال محمد ٤/ ١٥.

٩- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي ٣، ٥٠٨-٥٠٩.

١٠- البنية الخطابية الفنية في مقدمة سورة المائدة، الدكتورة ابتسام المدني، بحث منشور في مجلة الفتح العدد (١٦) الصادر عام (٢٠٠٣م)، كلية التربية الأساسيّة جامعة ديالى.

١١- ينظر جدلية الولاية في سياق سورة المائدة، دكتورة ابتسام المدني ٤، ١٤٠-١٤١ من الانسكلوبيديا العلوية.

١٢- مجمع البيان، الطبرسي٣/ ٣٢١.





١٣- المصدر نفسه ٣، ٣٢٢.

١٤- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي ٢/ ١٧٢.

١٥- مجمع البيان، الطبرسي ٣/ ٢٤٤.

١٦- التبيان، الطوسي ٣، ٤٣٥.

١٧- مجمع البيان، الطبرسي ٣، ٢٤٥.

١٨- المصدر نفسه ٣/ ٢٤٦.

١٩- التبيان، الطوسي ٣/ ٤٣٦.

٢٠- مجمع البيان، الطبرسي ٣، ٢٣٦.

٢١- محاضرات في تفسير آيات الأحكام، عبد الأمير زاهد، ١٨٠.

٢٢- الميزان، الطباطبائي، ٥، ١٧٣-١٧٤.

٢٣- نور الثقلين، الحويزي ٣، ١٩٩-٢٠٠.

٢٤- الاحتجاج، الطبرسي ١، ٢٠٧- ٢٠٨.

٢٥- المصدر نفسه ١، ٢٠٧- ٢٠٨.

٢٦- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد١، ٢٧.

٢٧- الإتقان، السيوطي ١، ٧٢.

٢٨- الكافي، الكليني ١، ٢٢٨.

٢٩- المصدر نفسه ١/ ٦٤.



٣٠- بحار الأنوار، المجلسي ٤٠، ١٥٥.

٣١- التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ١، ٢٩٤.

٣٢- فواتح الرحموت، عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري، ١٢.

٣٣- التمهيد في علوم القرآن، معرفة ١/ ٢٩٥-٢٩٦.

٣٤- بحار الأنوار، المجلسي ٩٢/ ٤٨.

٣٥- البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١، ٢٣٣-٢٣٤.

٣٦- موجز علوم القرآن، داوود العطار، ٢٨.

٣٧- بحار الأنوار، المجلسي ٤٠، ١٥٧.

٣٨- موجز علوم القرآن، داوود العطار، ١٦١.

٣٩- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي ٢، ١٢٥.

٤٠- تفسير نور الثقلين، الحويزي ٥، ٧٢٦-٧٢٧.

٤١- المصدر نفسه ٤، ١٢.

٤٢- المصدر نفسه ٥، ٢٧.

٤٣- روح المعاني، الآلوسي ٦، ٤٨.

٤٤- بحار الأنوار، المجلسي ٣٨، ٣٨.

٤٥- المصدر نفسه ٣٨، ٣٨.

٤٦- المصدر نفسه ٣٨، ٣٩.

٤٧- المصدر نفسه ٣٨، ٤٠.

٤٨- البرهان، البحراني ٦، ٤٣٦.

٤٩- شواهد التنزيل، الحسكاني ١، ٢٤٠.

٥٠- المصدر نفسه ١، ٢٤٦.

٥١- المصدر نفسه ١، ٢٤١.

٥٢- ينظر طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف، ترجمة الدكتور نوري جعفر ص٨١- ٣٠٨.

٥٣- حديث الغدير، عبد الزهراء عثمان محمد، ١٧- ١٨.

٥٤- صحيح البخاري، البخاري ص٨١٤، باب تفسير سورة المائدة.

٥٥- المصدر نفسه / ٤٨.

٥٦- المصدر نفسه، ٤٩- ٥٠.

٥٧- الغدير، أيوب الحائري، ١٢.

٥٨- تاريخ دمشق، ابن عساكر ٤٢، ٢٣٣.

٥٩- بحار الأنوار، المجلسي ٩٤، ١١٠.

٦٠- كشف المهم في خبر غدير خم، هاشم البحراني، ٦٩.

٦١- الدر المنثور، السيوطي ٢، ٥١٩.

٦٢- المصدر نفسه، ٢، ٥١٩- ٥٢٠.



٦٣- شواهد التنزيل، الحسكاني ١، ٢٦٢.

٦٤- تفسير فرات الكوفي، الكوفي ١٣٨ حديث ١٦٦.

٦٥- أصول الكافي الكليني ٥، ١٥٦.

٦٦- شواهد التنزيل، الحسكاني ١، ٢٧١- ٢٧٣.

٦٧- التفسير الكبير، الفخر الرازي١٢، ٢٦.

٦٨- آيات الولاية في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ٥٧.

٦٩- بحار الأنوار ٣٥، ١٨٣.

٧٠- الغدير والولاية، عبد الأمير السيد علي خان، ٧٨.

٧١- التفسير الكبير، الفخر الرازي١٢، ٤٩- ٥٠.

٧٢- أسباب النزول، الواحدي، ١٥٠.

٧٣- الفصول المهمة لابن الصباغ، ٤٢.

٧٤- آيات الولاية في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ٢١.

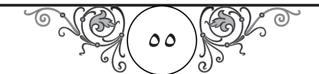
٧٥- آية الغدير، حيدر الوكيل، ١٤.

٧٦- الغدير والولاية، عبد الأمير السيد علي خان ٥٩- ٦٠.

٧٧- آية الغدير، حيدر الوكيل، ٤٩.

٧٨- الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي٦/ ٢٧٥.

٧٩- مستدرك سفينة البحار، علي النمازي ٧، ١٨٢.





المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن(ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات الشريف الرضي، بيدار عزيزي.

٢- الاحتجاج، الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت: ٥٤٨هـ)، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، ط١، ١٤٢٥هـ.

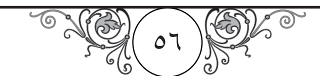
٣- أسباب النزول: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، مطبعة هندية في غيط النوبي بمصر، سنة ١٣١٥هـ.

٤- الأُصول من الكافي، الكليني، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت: ٣٢٨هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، مطبعة حيدري، طهران، ط٧، ١٣٨٣هـ.

٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦- الإنسكلوبيديا العلوية/ محمد الطريحي، أكاديمية الكوفة، هولندا، ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٧- آيات الولاية في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زاده، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٥هـ.



٨- آيـة الغديـر، حيـدر الوكيـل، باقيـات للطباعـة والنـشر، قـم المقدسـة، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٩- بحـار الأنـوار الجامعـة لـدرر أخبـار الأئمـة الأطهـار، المجلسي: محمـد باقـر (ت: ١١١١هــ)، دار إحيـاء الـتراث العربي بـيروت لبنـان، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠- البرهـان في تفسـير القـرآن، هاشـم البحـراني، مؤسسـة دار التفسـير مطبعـة إسـماعيليان، قـم المقدسـة، ط١، ١٤١٧هــ.

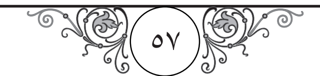
١١- البرهـان في علـوم القـرآن، الزركـشي: بـدر الديـن محمّـد بـن عبـد الله (ت: ٧٩٤هــ)، تحقيـق: محمّـد أبـو الفضـل إبراهيـم، دار المعرفـة، بـيروت- لبنـان.

١٢- تاريـخ اليعقـوبي، اليعقـوبي: أحمـد بـن أبي يعقـوب بـن جعفـر بـن وهـب الكاتـب المعـروف (بابـن واضـح)، الإخبـاري (ت: بعـد عـام ٢٩٢هـ)، منشـورات المكتبـة الحيدريـة، النجـف الأشرف، ١٣٨٤هــ - ١٩٦٤م.

١٣- تاريـخ اليعقـوبي، اليعقـوبي: أحمـد بـن أبي يعقـوب (ت: ٢٨٤هــ)، دار صـادر، بـيروت- لبنـان، (ب. د).

١٤- تاريـخ دمشـق: ابـن عسـاكر، عـليّ بـن الحسـن بـن هبـة الله الشـافعي، دار الميـسرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هــ - ١٩٧٩م.

١٥- التبيـان في تفسـير القـرآن، الطـوسي: أبـو جعفـر محمّـد بن الحسـن (ت: ٤٦٠هــ)، دار إحيـاء الـتراث العـربي، تحقيـق: أحمـد حبيـب قصـير العامـلي، بـيروت- لبنـان.



١٦- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.

١٧- تفسير المنار محمّد رشيد رضا، مطبعة المنار في مصر، ط١، ١٣٤٦هـ.

١٨- تفسير آيات الغدير الثلاث، علي الكوراني العاملي، دار الهدى، قم، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٩- تفسير فرات الكوفي، ابن فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم، من أعلام الغيبة الصغرى، تحقيق: محمّد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٠- التمهيد في علوم القرآن، محمّد هادي معرفة، منشورات ذوي القربى، قم المقدسة، مطبعة ستارة، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

٢١- حديث الغدير- ظروفه- مداليله- مضمونه الحضاري، عبد الزهراء عثمان محمد، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢- حقوق الأُمَّة وواجباتها في سورة المائدة، يوسف كمال محمّد، دار القلم، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت: ١٢٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (د- ت).

٢٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢٥- شـواهد التنزيـل لقواعـد التفضيـل في الآيـات النازلـة في أهـل البيـت عليهـم السَّـلام، الحسـكاني، عبيـد الله بـن عبـد الله بـن أحمد، (مـن أعـلام القرن الخامـس)، تحقيـق: محمّـد باقـر المحمـودي، مجمـع إحيـاء الثقافـة الإسـلامية، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٢٦- صحيـح البخـاري، البخـاري، أبـو عبـد الله محمّـد بـن إسـماعيل (ت: ٢٥٦هــ)، دار إحيـاء التراث، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤٢٢هــ- ٢٠٠١م.

٢٧- طبيعـة الإنسـان في ضـوء فسـلجة بافلـوف، ترجمـة: الدكتـور نـوري جعفـر، مكتبـة التحريـر، بغـداد، ط٢، ١٩٧٨م.

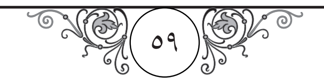
٢٨- الغديـر والولايـة، عبـد الأمـير السيد عـلي خـان، الغديـر للطباعـة والنـشر، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤٢٣هــ- ٢٠٠٢م.

٢٩- الفرقـان في فضائـل سـور القـرآن، حسـن عبـد الحسـين الصالحـي، مؤسسـة البـلاغ، بـيروت لبنـان، ط١، ١٤٢٢هــ- ٢٠٠١م.

٣٠- الفصـول المهمـة في معرفـة أحـوال الأئمـة عليهـم السَّـلام، ابـن الصبـاغ المالكـي: عـليّ بـن محمّـد بـن أحمـد المالكـي (٨٥٥هــ)، دار الأضـواء، بـيروت- لبنـان، ط٢، ١٤٠٩هــ- ١٩٨٨م.

٣١- فضائـل القـرآن، أبـو عبـد الله القاسـم بـن سـلام (ت: ٢٢٤هــ)، تحقيـق: وهبـي سـليمان تمادجـي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت لبنـان، ط١، ١٤٢٦هــ- ٢٠٠٥م.

٣٢- في رحـاب أهـل البيـت (الغديـر)، الشـيخ أيـوب الحائـري- لجنـة البحـوث مركـز الطباعـة والنـشر للمجمـع العامـلي لأهـل البيـت عليهـم



السَّـلام، مطبعـة ليـلى، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٣٣- كتـاب فواتـح الرحمـوت عبـد العـلي محمّد بـن نظـام الديـن الأنصاري، بهامـش كتـاب المستصفى لأبي حامـد محمّـد بـن محمـد بـن محمّـد الغـزالي، المطبعـة الأميريـة، ببـولاق- مـصر المحمية، سـنة ١٣٢٤هـ.

٣٤- كشـف المهـم في طريـق خـبر غديـر خـم، هاشـم البحـراني (ت: ١١٠٧هـ)، مؤسسـة إحيـاء تـراث السـيد هاشـم البحـراني.

٣٥- الكشـف والبيـان في تفسـير القـرآن المعـروف بـ(تفسـير الثعلبـي)، الثعلبـي، أبـو إسـحاق أحمـد بـن محمّـد بـن إبراهيـم (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيـق: سـيد كـسروي حسـن، منشـورات محمـد عـلي بيضـون، دار الكتـب العلميـة، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

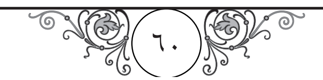
٣٦- مجمـع البيـان في تفسـير القـرآن، الطـبرسي، أبـو عـليّ الفضـل بـن الحسـن (ت: ٥٤٨هـ)، دار المعرفـة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٧- محـاضرات في تفسـير آيـات الأحـكام، الدكتـور عبـد الأمـير كاظـم زاهـد، دار العـارف للمطبوعـات، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣٨- موجـز علـوم القـرآن، داود العطـار، انتشـارات ذوي القربـى، مطبعـة شريعـت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٩- الميـزان في تفسـير القـرآن، محمـد حسـين الطباطبائـي، دار الكتـب الإسـلامية، طهـران، ١٣٦١-١٣٦٢.

٤٠- نـور الثقلـين، الحويـزي: عبـد علي بن جمعـة العـروسي (ت: ١١١٢هـ)، تحقيق: هاشـم المحلاتي، مؤسسـة إسـماعيليان، قـم - إيـران، ط٤، ١٤١٥هـ.



الغدير في القرآن الكريم ـ قراءة في آراء المفسرين

أ. م. د. خليل خلف بشير

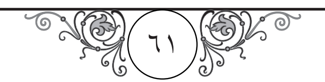
المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الصادق الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، وبعد فهذا بحث تناولتُ فيه قضية الغدير من رؤية القرآن مستنطقاً آراء المفسرين من الفريقين مركزاً على ثلاث آيات اختصت بهذه القضية هي (آية التبليغ، وآية إكمال الدين، وآية السائل) مناقشاً آراءهم على أنها محاولة متواضعة بذلتُ فيها جهدي، وأعملتُ فكري لتكون زاداً لنا ومعيناً في الدنيا والآخرة، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1].

آيات الغدير:

في القرآن الكريم ثلاث آيات تتعلق ببيعة الغدير، وهذه الآيات تحيط بالبيعة وموضوعها إحاطة شاملة وتنبئ عن الأهمية العظمى ليوم الغدير وما جرى فيه، وتضع المسؤولية في أعناق المسلمين لحفظ هذا اليوم وما جرى فيه ليس لأجل الأشخاص المعنيين في تلك البيعة بقدر ما هي لأجل المسلمين أنفسهم. إنّ المولى سبحانه شاء ((أن يبقى حديث الغدير

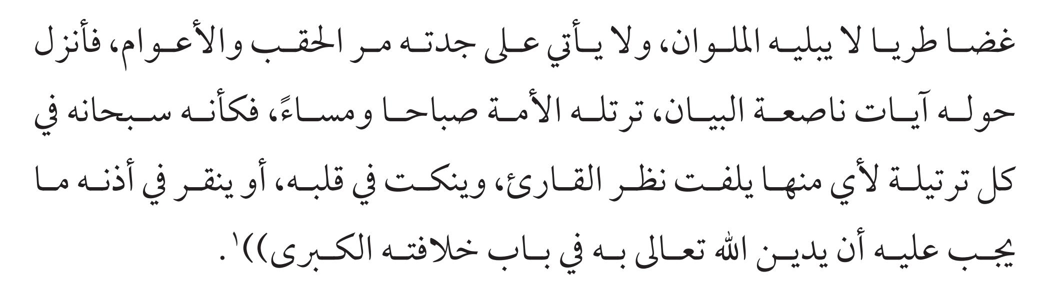
(١) سورة هود، الآية: ٨٨.



غضا طريا لا يبليه الملوان، ولا يأتي على جدته مر الحقب والأعوام، فأنزل حوله آيات ناصعة البيان، ترتله الأمة صباحا ومساءً، فكأنه سبحانه في كل ترتيلة لأي منها يلفت نظر القارئ، وينكت في قلبه، أو ينقر في أذنه ما يجب عليه أن يدين الله تعالى به في باب خلافته الكبرى))[1].

وسأتناول الآيات الثلاث نصاً وتفسيراً، وربطاً بالحادثة التاريخية بما يثبت علاقتها بيوم الغدير.

١- آية التبليغ:



قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين﴾[2]

أورد السيوطي روايات عدّة في تفسير هذه الآية من ذلك قوله ((... عن أبي سعيد الخدري قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم... عن أبي هريرة قال لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة قال النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه فأنزل الله اليوم أكملت لكم دينكم...))[3].

وكذا قوله ((... عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله

(١) الغدير، الشيخ الأميني: ٢١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية:٦٧.

(٣) الدر المنثور، السيوطي: ٢/ ٢٥٩.

صلى الله عليه وسلم يا أيها لرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن عليا مولى المؤمنين وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...))[1].

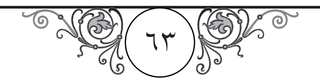
ولو نظرنا إلى الآية من وجهة لغوية لوجدنا أن الآية مبدوءة بقوله (يا أيها الرسول) التي لم ترد إلا مرتين هما قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[2]، وقوله (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[3]، ولعل هذا الخطاب يختلف عن خطابه النبي بقوله (يا أيها النبي) التي تكررت كثيراً في القرآن الكريم فالخطاب الأول أهم إذ يدل على الأهمية الفائقة الذي استلزم أن يقع الرسول الأكرم مورداً للخطاب الإلهي مباشرة ثمّ إن كلمة (بلغ) التي لم ترد إلا في هذا الموضع تدل على خصوصية المضمون الذي تحمله الآية فقد أُمر الرسول صلى الله عليه وآله بتبليغ أمر على درجة من الأهمية بحيث لو قصّر في تبليغه للناس

---

(١) م.ن: ٢/ ٢٩٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) سورة المائدة، الآية:٦٧.



لذهبت أتعاب ثلاث وعشرين سنة، وذلك مصداقه قوله (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)[1] فتبليغه كان ثقيلاً على النبي صلى الله عليه وآله لخوفه من استنكاف الناس عن قبوله وإيذائهم له إذ توعده الله وهدّده على ترك تبليغه فإنه لا يقال مثل هذا التعبير إلا إذا كان الأمر ثقيلاً على من يُراد خطابه لذا عصمه تعالى من الناس بقوله (والله يعصمك من الناس[2] على أن مجيء الفعل مشدداً (بلّغ) أبلغ من تعديته بالهمزة (أبلغ)، وقد خاطبه بالرسالة لكونه أنسب الصفات إلى ما تتضمنه الآية من الأمر بالتبليغ لحكم الله النازل فهو كالبرهان على وجوب التبليغ هذا الأمر الإلهي فتحمل الرسالة يفرض عليه القيام بالتبليغ، ولم يصرح باسم الذي أُنزل إليه من ربه، وإنما عبر عنه بالنعت، وإنه شيء أُنزل إليه إشعاراً بتعظيمه ودلالة على أنه أمر ليس فيه لرسول الله صلى الله عليه وآله صنع، ولا له من أمره شيء ليكون برهاناً آخر على عدم خيرة منه في كتمانه وتأخير تبليغه، ويكون معذوراً في إظهاره على الناس، وتلويحاً إلى أنه مصيبٌ في تفرسه منهم، وتخوفه عليه، وإيماءً إلى أنه مما يجب أن يظهر من ناحيته وبلسانه وبيانه[3].

فإذا دققنا النظر قليلاً في أية التبليغ نجد ما يأتي:

أ- الآية تطلب من الرسول صلى الله عليه وآله أن يبلّغ ما أنزل إليه

---

(١) ينظر: آيات الولاية في القرآن، مكارم الشيرازي: ١٢-١٣.

(٢) آيات العقائد، إبراهيم الحجازي: ٣١٨.

(٣) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ٦/ ٤٩.

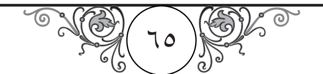
من ربّه. هذا مع أنه بديهي جداً أن الرسول صلى الله عليه وآله قام بواجبه في التبليغ منذ اليوم الأول للدعوة. فمنذ أن سمع قوله تعالى ﴿قم فأنذر﴾[1] قام يدعو إليه تعالى ليله ونهاره ولاقى في سبيل ذلك ما لاقى حتى قال - بأبي هو وأمي -: «**ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت**»[2]، وذلك من الأقارب والأباعد، قريش وثقيف وهوازن وغطفان وقريظة وقينقاع وغيرها من القبائل، وكان المسارع للتبليغ في كل حين. إذاً ما هذا الأمر المجدّد في التبليغ؟ هل يحتاج الرسول صلى الله عليه وآله، خاتم الرسل وسيدهم، أن يؤمر بالتبليغ مجدداً؟ ومتى ذلك؟ بعد أن بلّغ جميع الأحكام طوال ثلاثة وعشرين عاماً من الدعوة ولاسيما في الأعوام العشرة من الهجرة المباركة، والتي لخّصها في خطبته العظيمة في حجة الوداع قبل أيام قلائل فقط من يوم الغدير؟ لا بد أن الخطاب موجّه للرسول صلى الله عليه وآله ظاهراً إلا أنه يعني الذين سيستمعون موضوع التبليغ حقيقة. فكأن الآية تقول بأنكم على الرغم من معرفتكم بأن محمدَ بنَ عبد الله صلى الله عليه وآله هو الرسول المبلغ عن ربه، وأنه بلّغكم ما أنزل إليه طوال السنين الماضية، إلا أنكم ربما لا ترضون بما سيبلغكم به بعد قليل بحيث ستتهمونه بأنه ليس من عند الله، ولذلك أؤكد لكم أنه أمر من عند الله شأنه شأن ما نزل من آلاف الآيات قبله.

ب- الشطر الثاني من الآية: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ كلام

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٩/ ٥٦.



عجيب حقاً، فهذا الشطر يقول للرسول صلى الله عليه وآله: يا محمد، وإن كنتَ قد بلّغتَ كل ما نزل إليك من ربك فيما مضى، فإنه يعدّ لاغياً إن لم تبلغ هذا الأمر الواحد فحسب! هل يعقل أن هناك احتمالاً بأن الرسول صلى الله عليه وآله الأمين الذي دعا إلى الله سرّاً منذ أن أمره ﴿قم فأنذر﴾ ثم صدع بالدعوة جهراً بمجرد أن أمره ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1]، سينكص عن تبليغ هذا الأمر؟ قلنا إنَّه صلى الله عليه وآله من المستحيل أن يتوقف عن التبليغ عن ربه، وهل كانت حياته كلها إلا وقفاً على الدعوة والتبليغ. إذاً، أحد معاني هذا الشطر من الآية هو كما سبق: تنبيه للناس بأن الأمر من الله تعالى وإلا لما تضمنه هذا الكلام. ثم ما هو هذا الأمر العظيم الذي تقوم عليه كفّة التبليغ كلّه؟ هنا احتمالان: الأول، يخص قبول الناس أيضاً، أي إنّ هذا الشطر يقول لهم: يجب أن تقبلوا ما سيبلغكم به الرسول صلى الله عليه وآله لأنكم إن لم تقبلوا فكأنما لم تقبلوا الإسلام كله؛ الثاني، فهو للفكرة ذاتها، أي إنّ الأمر الآتي هو ليس فقط من الإسلام في الصميم، وإنما هو الضمان لبقاء الرسالة، وبعكسه فإن الرسالة سيّان بلّغت أم لم تبلّغ. ولكن لم لا يكون الاحتمالان واردين؟

ت- الشطر الثالث: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يؤكد ما ذهبنا إليه في شأن الشطرين الأولين من أن حالة الناس النفسية، أو بعضهم من الأكابر على الأقل، ممن يخشى منهم الانقلاب على الأمر وممن لهم القدرة والمكانة في الإسلام على تحقيق هذا الانقلاب المحتمل، حالة هؤلاء معروفة، كما

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

يبدو للنبي صلى الله عليه وآله، وبالطبع عند العليم الخبير، بحيث يقول في هذا الشطر ما يأتي:

١- ينبئ الناس، في يومها وبعد ذلك، بأن الرسول صلى الله عليه وآله كان محتاجاً لحماية الله تعالى وعصمته من أعدائه الذين هم في أوساط المسلمين.

٢- يقول له صلى الله عليه وآله إنّه قد عصمه من كيد هؤلاء ومن اتهاماتهم المتوقعة، بأنه إنما نصّب علياً لأنه ابن عمه ليس إلا، وأن تبليغه سيصل للناس مهما فعل الرافضون له.

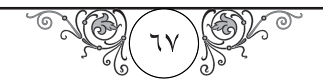
٣- يقول للناس إنّه قد عصم رسوله صلى الله عليه وآله بمعنى أنكم لن تستطيعوا كتم التبليغ، ولن تستطيعوا أن تطفئوا نور الله.

علماء السنّة وآية التبليغ:

على الرغم من أن غالبية علماء السنة، ولاسيما المعاصرين، يكتمون ما أنزل الله في شأن أمير المؤمنين في يوم الغدير، إلا أن بعض القدماء منهم اعترفوا بنزول الآية في ذلك اليوم السعيد. ونستدل بما ذكره الأميني في موسوعته الكبرى[1]:

الحُفّاظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ)، والحافظ ابن أبي حاتم الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، والحافظ أبو عبد الله المحاملي (٣٣٠هـ)، والحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي (ت ٤٠٧هـ، ٤١١هـ)

(١) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الأميني: ١/ ٤٢٤-٤٣٨.



والحافظ ابن مردويه (٤١٠هـ)، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، وأبو الحسن الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، والحافظ أبو سعيد السجستاني (٤٧٧هـ)، والحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي (ت ٥٧١هـ)، وأبو الفتح النطنزي، وأبو عبد الله فخر الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ)، وأبو سالم النصيبي الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، والحافظ عز الدين الرسعني الموصلي الحنبلي (٦٦١هـ)، وأبو إسحاق الحموئي (ت ٧٢٢هـ)، والسيد علي الهمداني (ت ٧٨٦هـ)، وبدر الدين العيني الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، ونور الدين بن الصباغ المالكي المكي (ت٨٥٥هـ)، ونظام الدين القمي النيسابوري، وكمال الدين الميبدي (ت٩٠٨هـ)، وجلال الدين السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ)، والسيد عبد الوهاب البخاري (ت٩٣٢هـ)، والسيد جمال الدين الشيرازي (ت ١٠٠٠هـ)، ومحمد محبوب العالم، وميرزا محمد البدخشاني، والقاضي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، والسيد شهاب الدين الآلوسي الشافعي البغدادي (١٢٧٠هـ)، والشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت١٢٩٣هـ)، والشيخ محمد عبده المصري (ت ١٣٢٣هـ)، وغيرهم.

٢- آية إكمال الدين

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1].

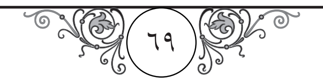
(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

أجمع الشيعة الإمامية على نزول هذه الآية في غدير خمّ فقد ورد أنه ((لما أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال: يا أيها الناس، ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال له عمر: بخ بخ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله عز وجل: (اليوم أكملت لكم دينكم))[1]، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: بني الإسلام على خمس خصال: على الشهادتين والقرينتين. قيل له: أما الشهادتان فقد عرفناهما، فما القرينتان؟ قال: الصلاة والزكاة، فإنه لا يقبل أحدهما إلا بالأخرى، والصيام، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، وختم ذلك بالولاية، فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾)[2].

ويروى عن أبي سعيد الخدري قوله: ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس بغدير خم، فأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم، وكان ذلك يوم الخميس. ثم دعا الناس إليه وأخذ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعها حتى نظرت إلى بياض إبط رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله). قال أبو سعيد: فلم ينزل

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٠.

(٢) م.ن: ٥١٨.





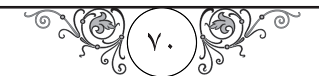
عن المنبر حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وبولاية علي من بعدي))[1].

والسؤال هو: لماذا يئس وقد آثر التعبير القرآني تقديم كلمة (اليوم) مرتين في سياق الآيتين للدلالة على تعظيم أمر اليوم لاشتماله على خبر عظيم الجدوى، وهو يأس الكافرين من دين المؤمنين، وإكمال الدين وإتمام النعمة فالآيتان مسوقتان لغرض واحد[2] يتفرع إلى فرعين الأول: هو تقرير بأن الكفار قد يئسوا من أن يستطيعوا تدمير الإسلام ومن ثَمَّ فلم يعد هناك مبرر لخشيتهم على الإسلام من هذه الجهة. على أن الأمر الإلهي بخشيته هو سبحانه هو الضمانة الأكيدة لاستمرار النصر الإلهي على الكافرين، والثاني هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله سبحانه بالإسلام لنا ديناً. وهنا أيضاً ليس هناك شيء جديد، غير إمامة علي وأولاده (عليهم السلام)، يستدعي أن يبشرنا الله تعالى أنه به قد أكمل دينه وأتم نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، بل إن قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ ليس يعني سوى أن الإسلام لا يتم إلا بإمامة الاثني عشر (عليهم السلام)، وإلا لكان الله تعالى قد رضي لنا الإسلام قبل ذلك،

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٥٥. وينظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي: ١/ ١١٩.

(٢) ينظر: الميزان، السيد الطباطبائي: ٦/ ١٨١-١٨٢.



وهـذا يؤكـد مـا تذهـب إليـه الشـيعة الإماميـة الاثنـي عشريـة مـن أن الإمامـة أصـل مـن أصـول الديـن لأنـه بهـذه الإمامـة رضي الله الإسـلام دينـاً كامـلاً، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فـكأن الديـن كان ناقصـاً فتـم بإعـلان إمامـة الاثنـي عـشر (عليهـم السـلام) في يـوم الغديـر السـعيد.

الكفـار مـن هـذا الحلـم الـذي كان يراودهـم؟ والجـواب هـو أنهـم لما فشـلوا في حربهـم نبـي الله صـلى الله عليـه وآلـه في حـروب وغـزوات متتاليـة انقطـع أملهـم مـن هزيمتـه إلا بعـد موتـه، فباتـوا يمنّـون نفوسـهم بموتـه للانقضـاض عـلى دينـه بعـد أن يفقـد المسـلمون الوحـي الـذي كان يحفـظ النبـي ودينـه، كـما ظنـوا. إلا أن الله تعـالى عندمـا نصّـب عليـاً وأولاده المعصومـين خلفـاء لخاتـم رسـله فـإن المسـلمين ضمنـوا الاسـتمرارية بعـد النبـي صـلى الله عليـه وآلـه، اسـتمرارية تطبيـق الشريعـة وإظهـار مـا لم يكـن موضـع ابتـلاء عـلى عهـده، ومراقبـة تطبيقهـا وعـدم الانحـراف عنهـا، لا سـيما وهـي الشريعـة الخاتمـة فـلا نبـي آخـر سـيأتي ليصحـح أي انحـراف في أمـة الإسـلام. بغـير هـذا التفسـير ليـس هنـاك إلا التخبـط والتحكّـم؛ لأنَّـه لا يمكـن أن ييـأس الكافـرون مـن المسـلمين إلا إذا كان للمسـلمين حـكام عندهـم العلـم الكافي وعندهـم العصمة اللازمـة للأمـن مـن الخطـأ أو اتبـاع الهـوى، وهـذا لم يتوفـر إلا في أئمـة الهـدى (عليهـم السـلام) الذيـن عيّنهـم الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه يـوم الغديـر.

وللمفسريـن رأي في كلمـة (اليـوم) المتقدمـة عـلى عاملهـا (يئـس) و (أكمـل) فالـرازي يذكـر رأيـين لهـذه الكلمـة الأول اسـتعمال مجـازي كـما تقول:(كنـتُ بالأمـس شـاباً واليـوم أصبحـتُ شـيخاً) والثـاني: اسـتعمال حقيقـي خـاص،



وهو يوم عرفة من ذي القعدة في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة. قال الرازي: ((قوله (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) فيه قولان:

الأول: إنَّه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يقال إنهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين، وإنما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار لأنكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمركم، ونظيره قوله: كنت بالأمس شابا واليوم قد صرت شيخا، ولا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الذي أنت فيه. فيه.

والقول الثاني: إنَّ المراد به يوم نزول هذه الآية، وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء))[1].

والزمخشري يرى أنه ((لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك: كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك...))[2].

فإذا علمنا أنّ (أل) في اليوم عهدية التي معهودها حاضر ذهنياً أو عقلياً أو مكانياً أو زمانياً فلابد أن يكون هذا اليوم معهوداً ومشهوداً مشاراً

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١١/ ١٣٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري: ١/ ٥٩٣. وينظر: تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٩٣.

إليه بالبنان، وهو يوم الغدير؛ لذا سمي بتسميات عدّة منها: يوم العهد المعهود ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود، ويوم البيان عن حقائق الايمان، ويوم دحر الشيطان، ويوم البرهان، ويوم الفصل الذي كنتم توعدون، يوم الملأ الأعلى الذي أنتم عنه معرضون، ويوم الإرشاد، ويوم محنة العباد، ويوم الدليل على الذواد، ويوم إبداء أحقاد الصدور ومضمرات الأمور، وغير ذلك[1].

وكذا كان للمفسرين رأي في إكمال الدين نوجزه على النحو الآتي[2]:

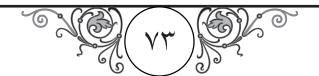
١- المراد من الدين القوانين أي قوانين الإسلام، ولعل هذا يؤيد أن اكتمال رسالة السماء موكول بهذا اليوم المعهود - يوم الغدير -.

٢- المراد من الدين الحج أي إن الله تعالى قد أكمل حج المسلمين في ذلك اليوم العظيم بيد أن هذا المعنى يتعارض مع المعنى اللغوي والاصطلاحي للدين الذي يعني مجموعة من العقائد والأعمال والعبادات التي يشكل الحج إحداها، وهذا تفسير غير مقبول.

٣- إن إكمال الدين وإتمام النعمة متحقق باليوم الذي نصر الله فيه المسلمين على أعدائهم وخلّصهم من شر هؤلاء الأعداء، وهو رأي غير مقبول؛ لأن جميع أعداء الإسلام من المشركين واليهود والنصارى قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة إلا المنافقين ولكن كيف انهزموا

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٣٧/ ١٦٤.

(٢) ينظر: آيات الولاية في القرآن: ٣٧-٣٩.



وأصابهم اليأس؟ لذا يبقى السؤال بلا جواب مقنع.

٤- إنّ تفسير علماء الشيعة يجيب على جميع الأسئلة المطروحة، ويلقي بظلاله على مفهوم الآية وأجوائها إذ إن تفسير واقعة غدير خم ومسألة الولاية وخلافة أمير المؤمنين تعد أفضل تفسير بل هو التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة؛ لأن آمال المنافقين وأعداء الإسلام قد تبددت وتبدلت إلى اليأس مع وقوع هذه الحادثة المهمة.

وقد ذكر العلامة الأميني مجموعة من علماء المسلمين ألمعوا إلى أن آية إكمال الدين من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين (عليهم السلام)، ومنهم الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، والحافظ ابن مردويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ)، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، والحافظ أبو سعيد السجستاني (ت ٤٧٧هـ)، وأبو الحسن بن المغازلي الشافعي (ت ٤٨٣هـ)، والحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، وأخطب الخطباء الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، وأبو الفتح النطنزي، وأبو حامد سعد الدين الصالحاني (ت ٦١٢هـ)، وغيرهم[1].

الآية الثالثة: آية السائل

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللهِ ذِي

(١) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١/ ٤٤٧-٤٥٩.

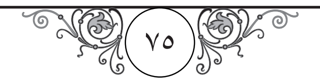
الْمَعَارِجِ﴾[1].

أجمعت الشيعة، في هذه الآية أيضاً، ومعهم عدد من علماء السنة نحو الذين ذكرناهم في ما تقدم فضلاً عن أبي عبيد الهروي (ت ٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ)، وأبي بكر النقاش الموصلي البغدادي (ت ٣٥١هـ)، وأبي بكر يحيى القرطبي (٥٦٧هـ)، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، وشهاب الدين أحمد الدولت آبادي (ت ٨٤٩هـ)، والسيد نور الدين السمهودي الشافعي (ت ٩١١هـ)، وشمس الدين الشربيني القاهري الشافعي (ت٩٧٧هـ)، وأبي عبد الله الزرقاني المالكي (١١٢٢هـ)، والسيد محمد بن اسماعيل اليماني (ت ١١٨٢هـ)، وغيرهم[2] أنّ هذه الآية من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين (ع)، وقد ارتبطت بحادثة وقعت في هذا اليوم العظيم مفادها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير خم، ((نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه).

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان القهري فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك،

(١) سورة المعارج، الآيتان: ١-٣.

(٢) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١/ ٤٦٠-٤٧١.



وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال: (والذي لا إله إلا هو هذا من الله) فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقا فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[1].

واختلف المفسرون في شخصية الرجل ما بين جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة القرشي والحارث بن النعمان الفهري أو النعمان بن الحارث الفهري ولكنهم أجمعوا على مساءلته الرسول صلى الله عليه وآله وعلى تحدّيه إياه بقوله «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر.. الخ» وبأنه لم يصل دابته حتى رُمي بحجر فسقط على رأسه فقتله[2].

ويرى الطباطبائي أن سياق سورة المعارج سياق يوم القيامة إذ وصفت السورة ما أعد الله تعالى فيه من أليم العذاب للكافرين ثم يعرّج على سبب نزول الآيات الثلاث الأولى في قول القائل «اللهم إن كان هذا

---

(١) تفسير الثعلبي، الثعلبي: ١٠/ ٣٥.

(٢) تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٩٧. وجامع البيان، الطبري: ٩/ ٣٠٧. وتفسير نور الثقلين، الحويزي: ٥/ ٤١١. والميزان، السيد الطباطبائي: ٢٠/ ١٢. والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٩/ ٧.

هو الحق من عندك فأمطر.. الخ» ثم يضيف إلى أن السؤال هنا بمعنى الطلب والدعاء، ولذا عديّ بالباء[1] كما في قوله تعالى ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾[2].

على أنّ فكرة اليوم الآخر التي تحوم حولها السورة المباركة فضلاً عن غيرها من السور المباركة لكنها في هذه السورة تستهدف ربط هذه الفكرة بحادثة مهمة في التاريخ هي حادثة الغدير التي حصل فيها العذاب للمكذّب لولاية أمير المؤمنين التي بلّغ بها النبي الكريم صلى الله عليه وآله بطلب وأمر شديدين من الباري عزّ وجل، وهو طرح ثانوي يرتبط بقضية عروج الملائكة ونشاطاتهم التي أُوكلوا إليها[3].

الخاتمة

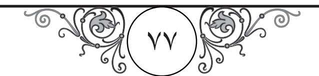
في آية التبليغ جاء الخطاب مختلفاً عن خطابه النبي بقوله (يا أيها النبي) التي تكررت كثيراً في القرآن الكريم فالخطاب الأول أهم إذ يدل على الأهمية الفائقة الذي استلزم أن يقع الرسول الأكرم مورداً للخطاب الإلهي مباشرة ثمّ إنّ كلمة (بلغ) التي لم ترد إلا في هذا الموضع تدل على خصوصية المضمون الذي تحمله الآية فقد أُمر الرسول بتبليغ أمر على درجة من الأهمية بحيث لو قصّر في تبليغه للناس لذهبت أتعاب ثلاث

---

(١) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٠/ ٥-٧.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٥٥.

(٣) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني: ٥/ ١١٦.



وعشرين سنة، وذلك مصداقه قوله ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فتبليغه كان ثقيلاً على النبي صلى الله عليه وآله لخوفه من استنكاف الناس عن قبوله وإيذائهم له إذ توعده الله وهدّده على ترك تبليغه فإنه لا يقال مثل هذا التعبير إلا إذا كان الأمر ثقيلاً على من يُراد خطابه؛ لذا عصمه تعالى من الناس بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ على أن مجيء الفعل مشدداً (بلّغ) أبلغ من تعديته بالهمزة (أبلغ)، وقد خاطبه بالرسالة لكونه أنسب الصفات إلى ما تتضمنه الآية من الأمر بالتبليغ لحكم الله النازل فهو كالبرهان على وجوب التبليغ هذا الأمر الإلهي فتحمل الرسالة يفرض عليه القيام بالتبليغ، ولم يصرح باسم الذي أُنزل إليه من ربه، وإنما عبر عنه بالنعت، وإنه شيء أُنزل إليه إشعاراً بتعظيمه ودلالة على أنه أمر ليس فيه لرسول الله صلى الله عليه وآله صنع، ولا له من أمره شيء ليكون برهاناً آخر على عدم خيرة منه في كتمانه وتأخير تبليغه، ويكون معذوراً في إظهاره على الناس، وتلويحاً إلى أنه مصيبٌ في تفرسه منهم، وتخوفه عليه، وإيماءً إلى أنه مما يجب أن يظهر من ناحيته وبلسانه وبيانه.

وفي آية إكمال الدين يؤثر التعبير القرآني تقديم كلمة (اليوم) مرتين في سياق الآيتين للدلالة على تعظيم أمر اليوم لاشتماله على خبر عظيم الجدوى، وهو يأس الكافرين من دين المؤمنين، وإكمال الدين وإتمام النعمة فالآيتان مسوقتان لغرض واحد يتفرع إلى فرعين الأول: هو تقرير بأن الكفار قد يئسوا من أن يستطيعوا تدمير الإسلام ومِنْ ثَمَّ فلم يعد هناك مبرر لخشيتهم على الإسلام من هذه الجهة. على أن الأمر

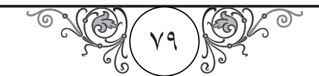
الإلهي بخشيته هو سبحانه هو الضمانة الأكيدة لاستمرار النصر الإلهي على الكافرين، والثاني هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله سبحانه بالإسلام لنا ديناً. وهنا أيضاً ليس هناك شيء جديد، غير إمامة علي وأولاده (عليهم السلام)، يستدعي أن يبشرنا الله تعالى أنه به قد أكمل دينه وأتم نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، بل إن قوله: ﴿ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ ليس يعني سوى أن الإسلام لا يتم إلا بإمامة الاثني عشر (عليهم السلام)، وإلا لكان الله تعالى قد رضي لنا الإسلام قبل ذلك، وهذا يؤكد ما تذهب إليه الشيعة الإمامية الاثني عشرية من أن الإمامة أصل من أصول الدين لأنه بهذه الإمامة رضي الله الإسلام ديناً كاملاً، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾. فكأن الدين كان ناقصاً فتم بإعلان إمامة الاثني عشر (عليهم السلام) في يوم الغدير السعيد.

وفي آية السائل لم يبقَ شك في بعض النفوس من خطورة الأمر وإطلاقه للجميع ووجوب عدم معارضته ولزوم الخضوع له، جاء جابر بن النضر أو الحارث بن النعمان أو النعمان بن الحارث الفهري وقال ما قال، وأجابه النبي صلى الله عليه وآله بما أجاب، فاستكبر المرتد، فدعا وتحدّى، فقتله الله في الحال فالحمد لله رب العالمين على إكمال الدين وإتمام النعمة..

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- الأمالي، الشيخ الصدوق، ط١، تح / قسم الدراسات الإسلامية -



مؤسسة البعثة - قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ.

- الأمالي، الشيخ الطوسي، ط١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ١٤١٤هـ.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة أهل البيت، (د. ت).

- آيات العقائد، آية الله السيد إبراهيم الحجازي، تح / رامين الكلمكاني، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٤ق - ١٣٨٢ش.

- آيات الولاية في القرآن، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليما نزادة، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ١٤٢٥ق -١٣٨٣ش.

- بحار الأنوار، العلامة المجلسي تح/ يحيى العابدي الزنجاني، السيد كاظم الموسوي الياموي، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٤ق - ١٣٨٢ش.

- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د. ت).

- تفسير الثعلبي، الثعلبي، تح / الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة



وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تح/ أحمد فريد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣م.

- تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تح / السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ ش.

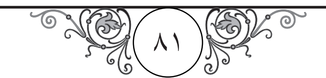
- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تح / الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ - ١٩٩٥م.

- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، (د. ت).

- الغدير، الشيخ الأميني، ط٤، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، ١٣٩٧ - ١٩٧٧م.

- كتاب سليم بن قيس، تح/ محمد باقر الأنصاري، مكتبة أهل البيت، (د. ت).

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي، ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.



- مفاتيح الغيب، الرازي، مكتبة أهل البيت (د. ت).

- مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)، محمد بن سليمان الكوفي، تح / الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، مطبعة: النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم المقدسة، محرم الحرام ١٤١٢هـ.

- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تح / مركز الغدير للدراسات الإسلامية، إشراف السيد محمود الهاشمي الشاهرودي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ١٤٢٦ق - ٢٠٠٦م -١٣٨٥ش.

- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- آيات العقائد، آية الله السيد إبراهيم الحجازي، تح / رامين الكلمكاني، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية ١٤٢٤ق - ١٣٧٧ش.

- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تح / مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٤، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٩م.

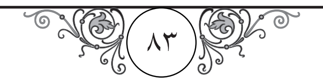
حادثة الغدير بين الرواية التاريخية والتفسير القرآني (المفسرون الأندلسيون أنموذجاً)

أ. م. د. قاسم عبد سعدون حسن الحسيني

المقدمة

أفرز الواقع المعاصر في فهمهِ للحوادث التاريخية كثيرًا من الإشكالات التي تحتاج الإجابة عليها بأسلوب يتناسب مع التطورات السياسية التي عصفت بالأمة الإسلامية، ومن هنا انبثقت أهمية هذهِ الدراسة؛ لتسلط الضوء على حادثة مهمة - (الغدير) - في التاريخ الإسلامي اختلف فيها جمهور المسلمين، بحيث عُدت دراستها من الدراسات التي يتوجب على الباحث أنَّ يتعامل معها بمهنية عالية؛ لأجل الوصول للحقيقة التاريخية، فهي حادثة ليست لقراءة نص مختلف اختلف المسلمون في فهمهِ وتأسست على أثره حكومة إسلامية بعد رحيل النبي محمد صلى الله عليهِ وآله، أو هي حادثة عابرة احتوت البساطة والسطحية فيما ترتب عليها، بل هي حادثة كبيرة أحدثت تغييراً في مجرى الرسالة الإسلامية كان لها شأن كبير في تاريخها الطويل ترتب عليها تأسيس لبناء حكومة، تمخض عنها اختلاف كبير في تاريخ الدعوة الإسلامية حتى قيل: ((ما سُل سيفٌ بالإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُل على الإمامة عبر العصور))[1]، وعلى الرغم

(١) الملل والنحل، الشهرستاني: ١/ ٢٠.



من أهمية هذهِ الحادثة إلا أنها غُيبت تفاصيلها عن بعض كتب التفاسير الأندلسية، ولا سيما التفاسير موضع الدراسة[1]، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة بوصفها دراسة مُغيبة في تاريخ الأندلس. ولضرورة تقتضيها طبيعة البحث فقد انتظمت الدراسة بمقدمة ومبحثين وخاتمة، إذ تطرق المبحث الأول على ذكر حادثة الغدير في الرواية التاريخية، وانتظم المبحث الثاني لتجسيد حادثة الغدير في التفسير القرآني ولا سيما عند المفسرين الأندلسيين، وجاءت الخاتمة لتجسد النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي القائم على ربط الأحداث التاريخية مع بعضها ببعض لغرض الوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها، بالاعتماد على تحليل الروايات التاريخية، وقراءة تفسير الآيات القرآنية التي تخص حادثة الغدير على وفق تتسم بالدقة والموضوعية لقراءة الأحداث والوقائع التاريخية.

المبحث الأول

حادثة الغدير في الرواية التاريخية

تعدّ حادثة الغدير من أهم القضايا الخلافية التي اختلفت فيها الأمة الإسلامية؛ إذ ترتب على هذا الاختلاف نتائج حددت مسير هذهِ الأمة

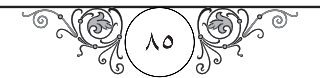
(١) ستقتصر دراستنا في تفسير الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي تخص آيات الخلافة وبيعة الغدير حصراً، والتي فُسرت من قبل كبار المفسرون الأندلسيون أمثال: ابن عطية الأندلسي، القرطبي، ابن جُزي والمفسر ابن حيان.

ومستقبلها، فهي ليست حادثة عابرة، بل أنها حادثة مهمة مثلت نقطة انطلاق لحقبة زمنية بعد وفاة النبي الأكرم محمد صلى الله عليهِ وآله وسلم، التي أرادها أنّ تكون امتدادًا حقيقيًا لتجربتهِ الإسلامية، فمن الطبيعي إذا ما أُريد تحقيق ذلك أنّ تكون هناك شخصية فذة نشأت ونهلت من فيوضات النبوة وتربت بين يدي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لتكون قادرة على تسنم منصب الخلافة وتحمل مسؤوليتها الكبيرة. فالخلافة بهذا اللحاظ تشكّل ركناً رئيساً من أركان العقيدة والكيان الفكري والاجتماعي للمسلمين[1]. ومن هنا يمكننا تفسير اهتمام الله سبحانه وتعالى ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله في بيان هذا المنصب، وتشخيص المستحق للإمامة من بعدهِ. ونظراً لحرص النبي الأكرم على مسيرة الإسلام ومستقبل الأمة، إذ لم يترك الناس تتخبط وتدور في فلك الفوضى والخلاف، من بعده رغم أنّ الفترة التي عاشها النبي لم تكن كافية للتخلص من كل العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام؛ ذلك لأنَّ هذهِ العادات كانت قد تأصلت واستحكمت في كثيرٍ من نفوس الناس رغم أنّ الإسلام قد عالج وتخلص من الكثير منها، لكنه بلا شك لم يقض عليها جميعاً[2].

ولعلَّ مسألة السلطة وتحديداً قيادة الأمة الإسلامية من بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، كانت واحدة من أهم هذهِ العادات حيث

(١) الغدير والتأسيس، الحساني: ٩١-٩٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٢/ ٦٩، ١٧٥.



أنـفَّ البعـض ورفـضَّ أن تكـون القيـادة خارجـة عـن قريـش، أو أن تجتمـع النبـوة والإمامـة في بيـت واحـد حتـى وإنْ توفـرت الكفـاءة العاليـة التـي تؤهـل الشـخص للقيـادة بجميـع امتيازاتهـا، فـكان يعيـش حالـة الرفـض في باطنـه، ولـو مـن ناحيـة ظاهريـة كان يبـدي قبـولاً لهـا[1].

ومـن هنـا بـدأ الخـلاف يـدب في جسـد الأمـة الإسـلامية، وتفرق المسـلمون إلى طـرقٍ عـدةٍ، لـذا فـلا بـد أن نعـرف تفاصيـل هـذهِ الحادثـة، وكيـف تعامـل معهـا المفسرون ولاسيما الأندلسـيون، وكيـف غُيبـت هـذهِ الحادثـة عـن الفكر الأندلسي؟

مكانة الإمام علي عليه السلام عند النبي محمد صلى الله عليه وآله

كان للإمـام عـلي عليـه السـلام دورٌ كبـيرٌ في أحـداث التاريـخ الإسـلامي بشـكل عـام والسـيرة النبويـة بشـكل خـاص، ولعـلَّ هـذا الـدور انبثـق مـن المكانـة المتميـزة التـي شـغلها في نفس النبـي محمـد صلى الله عليـهِ وآلـه وسـلم، الأمـر الـذي أغـاض بعضهـم وشـكل نقطـة انطـلاق لكـره الإمـام وتهميـش دورهِ في مسـيرة الإسـلام[2].

عمـل النبـي محمـد صلى الله عليـهِ وآلـه وسـلم عـلى زيـادة الأواصر وتحقيـق المـودة بـين المسـلمين فآخـى بـين المهاجريـن في مكـة، ثـم آخـى بـين المهاجريـن والأنصـار بالمدينـة، وكان في كل واحـدة منهـا يقـول: ((يـا عـلي أنـت أخـي في

(١) حادثة الغدير، القزويني: ٤٣.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم: ٤/ ٢٠٠-٢١٠.

الدنيا والآخرة))، وآخى بينه وبين نفسه. وفي رواية أخرى قال: ((أَنْتَ أخي وَصَاحِبِي))، وقول الإمام عليهِ السلام في هذا الشأن أيضاً: ((أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقولها أحدٌ إلا كذّاب))[1].

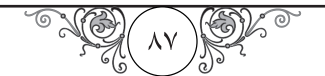
ولم يكن أحدٌ في الخلق أشبه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليهِ السلام، ولا أولى بمؤاخاة النبي منه، فانفرد الإمام بمؤاخاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وظفر بها لتقدمه على القوم وكانت مؤاخاة الإمام أفضل من مؤاخاة غيره لفضله على سائر الخلق[2].

لم تكن هذه المؤاخاة بعيدة عن أقلام المؤرخين فقد عمل بعضهم على إغفال ذكر هذهِ المؤاخاة في مكة، وعمِدَ بعضهم على تشويه صورة مؤاخاتهم في المدينة عبر تشويه صورتها من خلال التدليس وتزوير الحقائق بغية تشويه صورة الإمام علي عليهِ السلام ومنها الرواية التي نقلت حسب سندهم عن ابن عباس وهي: ((لما آخا النبي بين أصحابه وبين المهاجرين والأنصار فلم يؤاخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم خرج علي مغضبا حتى أتى جدولا من الأرض فتوسد ذراعه فتسفي عليه الريح فطلب النبي حتى وجده فوكزه برجله فقال له قم فما صلحت إلا أن تكون أبا تراب أغضبت علي حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أؤاخ بينك وبين أحد منهم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي ألا من أحبك حف بالأمن والإيمان ومن

---

(١) ابن عبد البر: ٣/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) المعتزلي المعيار والموازنة: ٢٠٨.



أبغضـك أماتـه الله ميتـة جاهليـة))[1].

ولعـلَّ في هـذهِ الروايـة تجـاوز واضـح وصريـح عـلى مقـام النبـي الأكـرم، وهـو الـذي بُعـث ليتمـم مـكارم الأخـلاق إذ ليـس مـن أخـلاق النبـي الأكـرم أن يسـتخدم رجلـه لتحريـك أمـير المؤمنـين عليـه السـلام. لم يتوقـف بعـض المؤرخـين عنـد هـذا الحـد بـل عملـوا عـلى تشـويه صـورة المؤاخـاة وقالـوا أن أمـير المؤمنـين عليـهِ السـلام دخـل عـلى السـيدة فاطمـة الزهـراء عليهـا السـلام باكيـاً، شـاكياً لمـا فعلـه النبـي الأكـرم وأنَّ رد السـيدة فاطمـة كان هـو أنهـا كانـت تعلـم أنَّ الإمـام عـلي عليـهِ السـلام لم يـؤاخ الرسـول بينـه وبـين غـيره لأنـه أراده أن يكـون أخـاً لـه فكيـف أن فاطمـة تعلـم بـما يحـدث وعـلي لا يعلـم بذلـك[2].

وجـاء في الروايـة التاريخيـة أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وآلـه آخـى بـين المهاجريـن والأنصـار، وكان عـلي واقـف يـراه ويعـرف مكانـه، لم يـؤاخ بينـه وبـين أحـد، فانـصرف عـلي باكـي العـين، فافتقـده النبـي فقـال: مـا فعـل أبـو الحسـن؟ فقالـوا: انـصرف باكـي العـين يـا رسـول الله قـال: يـا بـلال اذهـب، فأتنـي بـه فمـضى بـلال إلى عـلي، وقـد دخـل منزلـه باكـي العـين، فقالـت فاطمـة: مـا يبكيـك؟ ! لا أبكـى الله عينيـك قـال: يـا فاطمـة آخـى النبـي بـين

(١) الطبراني المعجم الأوسط ٨/ ص ٣٩-٤٠؛ ابن شهر أشوب مناقب آل أبي طالب / ٢ ص٣٠٦؛ الخوارزمي، المناقب، ص٣٩؛ الأربلي، كشف الغمة ١/ ٦٧؛ الهيثمي مجمع الزوائد، ٩/ ١١١؛ المجلسي، بحار الأنوار ٣٥/ ٦١.

(٢)- الكعبي، شخصية الإمام علي، ص١٣٣-١٣٤.

المهاجريـن والأنصـار، وأنـا واقـف يـراني، ويعـرف مـكاني ولم يـؤاخ بينـي وبـين أحـد قالـت لا يحزنـك الله لعلـه إنـما أدخـرك لنفسـه فقـال بـلال: يـا عـلي أجـب النبـي فأتـى عـلي النبـي، فقـال النبـي مـا يبكيـك يـا أبـا الحسـن؟ ! قـال: آخيـت بـين المهاجريـن والأنصـار يـا رسـول الله، وأنـا واقـف تـراني وتعـرف مـكاني ولم تـؤاخ بينـي وبـين أحـد قـال: إنـما ادخرتـك لنفسـي، أمـا يـسرك أن تكـون أخ نبيـك قـال: بـلى يـا رسـول الله أنـى لي بذلـك؟ فأخـذ بيـد، وأرقـاه المنـبر فقـال: اللهـم، أن هـذا منـي وأنـا منـه، إلا وانـه منـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى، إلا مـن كنـت مـولاة فهـذا عـلي مـولاه، قـال: فانـصرف عـلي قريـر العـين، فاتبعـه عمـر بـن الخطـاب، فقـال: بـخ بـخ يـا أبـا الحسـن، أصبحـت مـولاي ومـولى كل مسـلم[1]، وفي مـورد آخـر ذكـر أنـه قـال لعـلي: ((هنيئـاً لـك يـا أبـن أبي طالـب أصبحـت وأمسـيت مـولى كل مؤمـن ومؤمنـة))[2]. إذن فقـد تعـددت الروايـات حـول حديـث المؤاخـاة لإبعـاد هـذه المنزلـة والفضيلـة عـن الإمـام عـلي عليـهِ السـلام.

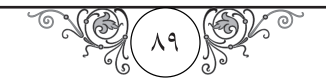
وذكـر أنَّ آيـة التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3] نزلـت بحـق الإمـام عـلي والسـيدة فاطمـة الزهـراء وسـبطيها الإمامـين الهمامـين الحسـن والحسـين (عليهـم السـلام)، إذ دعـا

---

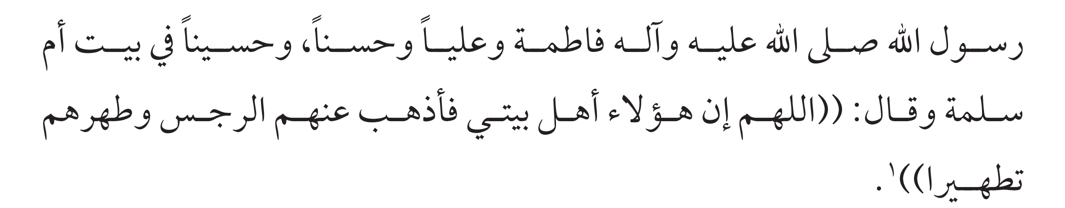
(١)- ابن البطريق عمدة عيون صحاح الإخبار ص ١٦٩- ١٧٠؛ ابن طاووس الطرائف ص ١٤٨- ١٤٩.

(٢)- ابن عساكر، تاريخ، ٢٤/ ٢٢٠؛ ابن كثير، البداية، ١١/ ٧٣.

(٣)- سورة الأحزاب الآية، ٣٣.







رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه فاطمـة وعليـاً وحسـناً، وحسـيناً في بيـت أم سـلمة وقـال: ((اللهـم إن هـؤلاء أهـل بيتـي فأذهـب عنهـم الرجـس وطهرهـم تطهـيرا))[1].

وجـاء في تفسـير حديـث وقـول النبـي الأكـرم: ((يـا عـلي أَنْـتَ مِّنـي بِمْنزِلَـةِ هَـاُرونَ مِـنْ مُوسَـى إِلَّا أَنَّـهُ لَا نَبِـيّ بَعْـدي))، أو ((أَنْـتَ مِّنـي بِمْنزِلَـةِ هَـاُرونَ مِـنْ مُوسَـى)) [2]، أن الحديـث كان إكرامـاً لأمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام ومكانتـه العليـا عنـد الله سـبحانه وتعـالى ونبيـه الأكـرم.

حادثة الغدير (المضمون ودلالة الإمامة).

في السـنة العـاشرة للهجـرة خـرج النبـي محمـد صـلى الله عليـهِ وآلـهِ وسـلم وبأمـر مـن الله سـبحانه وتعـالى، معلنـاً عـن قصـدهِ الحـج في هـذه السـنة، مؤذنـاً للنـاس في ذلـك، فجـاء المدينـة خلـق كثـير يأتمّـون بـه في حجّتـه تلـك، التـي أطلـق عليهـا حجّـة الـوداع، أو حجّـة الإسـلام، أو حجّـة البـلاغ، أو حجّـة الكـمال[3]، حيـث كانـت حجتـهِ الأخـيرة ولم يحـجّ غيرهـا منـذ أنّ هاجـر إلى أنْ توفـاه الله تعـالى [4].

خـرج النبـي محمـد صـلى الله عليـهِ وآلـه وسـلم قاصـداً الحـج، وكان برفقتـهِ أهـل بيتـهِ وعـدد كبـير مـن المهاجريـن والأنصـار يرافقهـم خلـقُ كثـير مـن

(١)- الاستيعاب ٣/ ٢٠٤.

(٢)- الاستيعاب، ٣/ ٢٠١-٢٠٣.

(٣)- الأميني، الغدير، ١/ ٩.

(٤)- أبن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ١٧٢-١٧٣.

عامة الناس بلغ عددهم تسعون ألفاً، وقيل مائة ألف وقيل مائة وأربعة وعشرون ألفاً[1]، وفي هذهِ الأثناء كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام في اليمن، يعمل على تبليغ تعاليم الدين الإسلامي، وبعد أنَّ وصلت إليهِ إنباء حج النبي الأكرم، قصد مكة مع جمع غفير من أهل اليمن ليلتحقوا بالنبي الأكرم قبل بدء مناسك الحج[2].

لبسَّ الرسول لباس الإحرام مع أصحابه في ذي الحليفة وهو ميقات الشجرة ومن ثمّ بدأ بمناسك الحجّ، وعقِبَ الانتهاء منه رجع النبي الأكرم إلى المدينة ووصل منطقة غدير خُم[3]. وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة نزل جبرائيل وبلغَ النبي الأكرم بالآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[4]، وقد كان المسلمون جميعا بالقرب من الجحفة، فأمر النبي الأكرم أنَّ يرد من تقدم ويحبس من تأخر، وأن يهيئ له أصحابهِ مكاناً تحت الأشجار ويزيلوا الأشواك، ويجمعوا الأحجار من تحتها[5].

ولعلَّ هذهِ الآية حملت أمر عظيم بالغ الخطورة، واجب التبليغ، واقع

---

(١)- ابن حزم، حجة الوداع، ١/ ١١٦.

(٢)- الحلبي، السيرة الحلبية، ٣/ ٢٢٥.

(٣)- ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٤١١ ومابعدها.

(٤)- المائدة، ٦٧.

(٥)- الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١١٠.



التنفيذ لا يحمل وجهاً للمسامحة والمحاباة والإبعاد، أو التأخير والتعطيل لا محال، وإلا لما قورن هذا الأمر بإبلاغ الرسالة في مستوى واحد، ولضاع جهد ومشقة سنين طوال قضاها النبي الأكرم تبليغاً بدعوتهِ الإسلامية. يضاف على ذلك هو التوقيت والجمع الغفير اللذان اختيرا للبت بهذا الأمر وهي فرصة قد لا تتكرر ثانية، لذا فأنَّ منع الأمر وعدم القيام بهِ يعني حرمان المسلمين من نبع الهداية والرعاية الآلهية ولعطل الدين وحينها لايوجد جريمة أكبر وأشنع من ذلك[1].

أجتمع المسلمون في منطقة غدير خم ذات الحرارة الشديدة، ونودي إلى فريضة الظهر، فأتم المسلمون صلاة الظهر بجموع غفيرة، ظلل بعضهم للنبي الأكرم بوضع ثياب على شجرة من أشجار تلك المنطقة[2]، وأخذ النبي صلى الله عليهِ وآله وسلم يخطب بالناس قائلاً: ((الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه... وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعدُ أيها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير أني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسئول وأنتم مسئولون، فماذا أنتم قائلون؟ قال الحاضرون: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. ثم قال لهم:ألستم تشهدون أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق وناره حق وأن الموت حق؟ قالوا:نشهد بذلك، قال: اللهمّ اشهد على ما يقولون، ألا وإنّي أشهدكم أنّي أشهد أن الله مولاي، وأنا مولى كلّ

(١)- عبد الرضا، كتاب الإمام علي، ص ١١٢.

(٢)- احمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٣٧٢.

مسلم، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقرّون لي بذلك، وتشهدون لي به؟ فقالوا: نعم نشهد لك بذلك، فقال: ألا من كنت مولاه فإن علياً مولاه وهو هذا، ثم أخذ بيد علي فرفعها مع يده حتّى بدت آباطهما. ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله))[1].

بعدها هبط جبريل الأمين وابلغ النبي الأكرم بالآية المباركة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2]، فلمّا نزلت هذه الآية قال النبيّ ﷺ: ((الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الله برسالتي ولولاية علي من بعدي))[3]، بعدها بدأت الناس تهنئ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام، وممن هنّأه في مقدّم الصحابة أبو بكر وعمر، وقال عمر: ((بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة))[4].

المبحث الثاني

حادثة الغدير في التفسير القرآني (المفسرون الأندلسيون نموذجاً)

أكدت الروايات التاريخية المأثورة التي وردت في كثير من كتب التفاسير

---

(١)- احمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٣٧٢.

(٢)- المائدة، ٣.

(٣)- الكوفي، المناقب، ٦٦/ ١١٩.

(٤)- ابن البطريق، عمدة عيون صحاح، ص ١٦٩- ١٧٠.



على نزول عشرات الآيات في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيتهِ عليهم السلام، والتي تُبين رفعة شأنهم وسمو مكانتهم، إذ أراد الله سبحانه وتعالى بيان أحقيتهم وأهميتهم عند الخلق، فمن هذهِ الآيات ما وردت بحق آل البيت جميعاً، ومنها ماورد بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام حصراً وتعضد هذا الحديث وتؤكدها عدة أحاديث، منها ما ورد عن ابن عباس حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم: ((ما انزل الله آية فيها يأيها الذين آمنوا)) إلا وعلي على رأسها وأميرها[1].

من هذا المنطلق يمكننا القول أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما أفضل وثيقة دالة على عظمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام ناطقة بجلالتهِ وسمو شأنهِ، ومن هنا يسعى الباحث إلى ذكر الآيات القرآنية التي خص بها الله سبحانهُ وتعالى خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام وإثباتها للقارئ، وكيف تعامل كبار المفسرون الأندلسيون مع هذهِ الآيات حيث أنَّ البعض أخذ على عاتقهِ تغييب الأثر القرآني لخلافة أمير المؤمنين، وإيهام الأمة الإسلامية عن القصد الإلهي الهادف بحصر الإمامة والخلافة بأمير المؤمنين وآل بيتهِ عليهم السلام، آخذين بنظر الاعتبار أهمية هؤلاء المفسرين، وأثرهم الفكري في المجتمع الأندلسي. ومن هذهِ الآيات هي:-

(١)- الرازي، تفسير، ١/ ١٩٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ٤٢/ ٣٦٣؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ١/ ٦٨؛ السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٠٤.

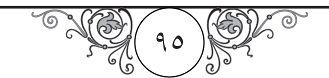
١- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]

ذكر المفسر ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ه)[2] أن هذهِ الآية ما هي إلا إشارة إلى أبي بكر وعمر خاصة، وقيل أنها نزلت في أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما جاء رجل إلى معسكر خالد بن الوليد، فدخل إلى عمار بن ياسر فقال: يا أبا اليقظان، إن قومي قد فروا، وإني قد أسلمت، فإن كان ينفعني إسلامي بقيت، وإلا فررت، فقال له عمار: هو ينفعك، فأقم، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد سوى الرجل المذكور فأخذهُ وأخذ ماله، فجاء عمار فقال: خل عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني، فقال خالد: وأنت تجير؟ فاستبّا وارتفعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاز أمان عمار، ونهاه أن يجير الثانية على أمير، واستبّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال خالد: يا رسول الله أتترك هذا العبد الأجدع يسبني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((يا خالد لا تسب عماراً، فإنه من سب عماراً سبه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله،

---

(١)- النساء، ٥٩.

(٢)- ابن عطية الاندلسي:عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس الغرناطي، مفسر فقيه أندلسي، من أهل غرناطة عارف بالإحكام والحديث، وبارع في الشعر، ولد سنة ٤٨١ه، بغرناطة مع بداية عهد دولة المرابطين في الأندلس، ينتمي لأسرة مهاجرة من المشرق، عرفت بالعلم والمعرفة ونهل منها الشيء الكثير، مكنه من أن يكون عالماً بارعاً في مختلف الميادين، توفي سنة ٥٤٦ه. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨٩-٣٩١.



ومـن لعـن عـماراً لعنـه الله)) فغضـب عـمار، فقـام فذهـب، فتبعـه خالـد حتـى اعتـذر إليـه فتراضيـا، فكانـت سـبباً في نـزول هـذهِ الآيـة[1].

ويتضـح مـن كلام المفسر ابـن عطيـة الاندلـسي، أنَّـهُ غيـب مكانـة أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام، واسـتبعد نـزول هـذهِ الآيـة بحقـهِ، لا بـل رجـح أنهـا نزلـت في طاعـة أولي الأمـر مـن المسـلمين، ولا سـيما أبـا بكـر وعمـر دون أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام.

أمـا القرطبـي (ت٦٧١هـ)[2] فقـد فـسرَ هـذهِ الآيـة عـلى أنهـا جـاءت في عبـد الله بـن حذافـة بـن قيـس بـن عـدي السـهمي إذ بعثـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـهِ وسـلم في سريـة وكان في عبـد الله دعابـة معروفـة ومـن دعابتـه أن رسـول الله، أمـره عـلى سريـة فأمرهـم أن يجمعـوا حطبـا ويوقـدوا نـارا فلـما أوقدوهـا أمرهـم بالتقحـم فيهـا فقـال لهـم: ألم يأمركـم رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم بطاعتـي؟ وقـال: مـن أطـاع أمـيري فقـد أطاعنـي فقالـوا: مـا آمنـا بـالله واتبعنا

---

(١)– ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢/ ٦٩– ٧٠.

(٢)– القرطبي: هو الإمام أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي المفسر، وعلى الأرجح أنَّ ولادته كانت سنة ٥٩٥هـ، في عهد الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، نشأ في رعاية أبيه الذي كان يعمل مزارعاً، وقُتل والده على يد النصارى وتلقى القرطبي تعليمه للقرآن الكريم واللغة العربية والشعر في قرطبة، ثم واصل تعليمه وترقى فيه وتنقل بين حلقات العلم في قرطبة إلى أن غادرها، حيث كانت حلقات العلم منتشرة في جميع المدن الأندلسية، وكانت المساجد هي المناطق التي تعقد فيها، توفي سنة ٦٧١ه. ينظر:: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢/ ١٢٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٣١٥.

رسوله إلا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلم فعلهم وقال ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))[1].

أما ابن جُزي الكلبي (ت٧٤١ه)[2] فقد فسرَّ هذهِ الآية أنها نزلت بحق الولاة والعلماء وأنها نزلت في عبد الله بن حذافة[3]. ويتضح أنّ ابن جزي عمل على تغييب الأثر القرآني في نزول هذهِ الآية بحق أمير المؤمنين عليهِ السلام، مستبعداً أنّ تكون هذهِ الآية قد نزلت بحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

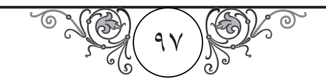
وقال أبو حيان (ت٧٤٥ه)[4] في تفسير هذهِ الآية أنها نزلت في أمراء

(١)- القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ٦/ ٤٣٠-٤٣١.

(٢)- أبن جُزي الكلبي: محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن جزي الكلبي، ولد سنة ٦٩٣ه، في مدينة غرناطة، ونهل من علومها وبرع في مجال الفقه والشعر والخطابة، كتب عن السلطان أبي الحجاج يوسف ثم ارتحل ولحق بجناب السلطان أبي عنان، وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطة ورتبها. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/ ٢٥٦-٢٥٧؛ المقري، نفح الطيب، ٢/ ١٧٠.

(٣)- ابن جزي الكلبي، التسهيل، ١/ ١٩٦.

(٤)- أبو حيان: أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيان، ولد في غرناطة في آخر شوال سنة ٦٥٤هـ، وبها نشأ بدأ أبو حيان حياته بدراسة القرآن الكريم وحفظه، حتى ألمَّ رحمه الله بالقراءات صحيحها وشاذها. وجال في بلاد المغرب، ورحل إلى مالقا، ثم قدم إلى مصر قبل سنة ثمانين وستمائة، وقد أخذ العلم بالتلقي؛ فقال: «وعدّة من أخذت عنهم أربعمائة وخمسون شخصاً، وأما من أجازني فكثير جداً»، توفي سنة ٧٤٥ه. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٠٧؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٩/ ٢٧٧.



رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وذكـر قصـةً طويلـة مضمونهـا: أنَّ عـماراً أجـار رجـلاً قـد أسـلم، وفـر أصحابـه حـين أنـذروا بالـسرة فهربـوا، وأقـام الرجـل وإنّ أميرهـا خالـداً أخـذ الرجـل ومالـه، فأخـبره عـمار بإسـلامه وإجارتـه إيـاه فقـال خالـد: وأنـت تجيـز؟ فاسـتبا وارتفعـا إلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، فأجـاز أمـان عـمار، ونهـاه أن يجـير عـلى أمـير[1]. ولعـلّ أبـو حيـان قـد تأثـر بتفسـير ابـن عطيـة الأندلـسي في تفسـير هـذهِ الآيـة.

وفي هـذهِ الآيـة يتضـح أنّ الله اوجـب طاعـة أولي الأمـر بإطاعـة النبـي الأكرم محمـد صـلى الله عليـهِ وآلـه وسـلم، إذ لم يفـرق الله بـين النبـي الأكـرم وأولي الأمـر، مـن حيـث وجـوب الطاعـة وكلاهمـا يتمتعـان بالعصمـة واقتـصرت العصمـة بالنبـي الأكـرم وآل بيتـهِ الأطهـار، ونؤكـد عـلى أنَّ أولي الأمـر الـذي ورد في سـياق الآيـة يقصـد بـه الإمـام عـلي بـن أبي طالـب، وأولادهِ الأطهـار. ومـا يدعـم صحـة قولنـا هـو مـا ذهـب إليـه أحـد المفسريـن في تفسـير هـذهِ الآيـة وبـينَّ أنَّ المـراد بـأولي الأمـر هـو الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام، خصـهُ الله بولايـة هـذهِ الأمـة بعـد وفـاة النبـي الأكـرم صـلى الله عليـهِ وآلـه وسـلم، فأمـر الله العبـاد بطاعتـهِ وتـرك خلافـهِ[2]. عـلاوة عـلى ذلـك أن النبـي الأكـرم قـال: ((إنَّ الله قـد فـرض عليكـم طاعتـي ونهاكـم عـن معصيتـي وفـرض عليكـم طاعـة عـلي بعـدي ونهاكـم عـن معصيتـهِ، وهـو وصيـي

(١)- أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٤/ ١٧٣.

(٢)- البحراني، غاية المرام، ٢/ ٧-٨.

ووارثـي، وهـو مني وأنـا منـه...))[1].

ولعـلَّ المـراد بكلمـة أولي الأمـر التـي وردت في سـياق الآيـة المباركـة، أنَّ النبـي أولى بتدبـير المسـلمين، والقيـام بأمورهـم مـن حيـث وجبـت طاعتـه عليهـم، ونحـنُ نعلـم أنَّـهُ لا يكـون أولى بتدبـير الخلـق وأمرهـم ونهيهـم إلا مـن كان إمامـاً لهـم مفـترض الطاعـة عليهـم والمقصـود بـهِ أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام.

٢- قـال الله تعـالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2]. تتفـق كتـب التفسـير أنَّ نـزول هـذهِ الآيـة في الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام بعـد أن تصـدق بخاتمـه وهـو راكعـاً في الصـلاة[3]، وبعدهـا قـال النبـي الأكـرم صـلى الله عليـهِ وآلـه وسـلم: ((عـلي قائـد الـبررة، وقاتـل الكفـرة، منصـور مـن نـصره، مخـذول مـن خذلـه))[4]. ويمكـن إدراج جملـة مـن الحقائـق المهمـة التـي تخـص هـذهِ الآيـة:-

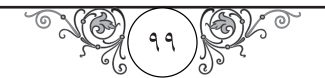
أ- اتفقـت روايـات جمـع كثـير مـن علـماء التفسـير والحديـث، عـلى اختصـاص الآيـة الكريمـة بشـان الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عليـهِ السـلام، فالأخبـار مسـتفيضة في ذلـك وبلغـت الأحاديـث حـد التواتـر عنـد الشـيعة

(١)- ينابيع المودة، ١/ ١٢٣.

(٢)- المائدة، ٥٥.

(٣)- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ٢/ ٢٠٨؛ القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ٨/ ٥٤-٥٥؛ ابن جزي، التسهيل، ١/ ٢٤٢؛ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٤/ ٤٦١.

(٤)- البامياني، خلافة علي، ص٨٢.



ودون ذلك عند السنة، وقد وردت روايات عديدة وبطرق وأسانيد مختلفة تصب في ذات المعنى، وكلها تشهد على أنْ الآية الكريمة تدل على إمامة أمير المؤمنين بعكس الأقوال الأخرى التي تعد شاذة وتحتاج إلى أدلة وإلى ما يسندها[1].

ب- وصف الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيهِ، ويتحقق ذلك بقوله: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[2]، فيبين أنَّ المعنى من الآية على أنَّهُ لم يؤتِ الزكاة في حالة الركوع غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام الأمر الذي يتفق عليهِ أغلب المفسرون.

ج- يستدل من سياق الآية أنَّ الولاية مختصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام، وذلك بالقول (إنما وليكم الله) فخاطب جميع المؤمنين، ودخل الخطاب النبي الأكرم، ثم قال: (ورسوله)، فاخرج النبي لكونهم مضافين إلى ولايته، ثم قال (والذين آمنوا) فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية، وإلا أدى المعنى إلى أنَّ يكون المضاف إليهِ بعينه، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال، ولما تحقق أنَّ المعني بالآية هو أمير المؤمنين تحققت إمامتهِ بالنص الصريح[3].

---

(١)- البحراني، البرهان، ص٣١٥-٣٢٨.

(٢)- المائدة، ٥٥.

(٣)- الطوسي، الرسائل العشر، ص١٣١.؛ وينظر أيضا السنافي، الإمام علي، ص٣٢٢-٣٢٣.

د- وردت كلمة (إنما)، والتي تدل على الحصر، وعليهِ فإن وليكم أيها المؤمنون هم الثلاثة المذكورين في ألآية القرآنية لا غير[1].

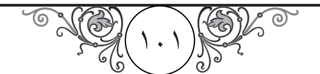
٣- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

ذكر أبن عطية الأندلسي في تفسير هذهِ الآية، أنَّ الله أمر رسوله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال. لأَنَّهُ قد بلغ، فإنما أمر في هذه الآية بأنْ لا يتوقف عن شيء مخافة أحد، وذلك أن رسالته صلى الله عليه وسلم تضمنت الطعن على أنواع الكفرة، وبيان فساد حالهم فكان يلقى منهم عنتاً وربما خافهم أحياناً قبل نزول هذه الآية، فقال الله له ﴿ بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ أي كاملاً متمماً، ثم توعده تعالى بقوله: ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته ﴾، أي إنك إن تركت شيئاً فكأنما قد تركت الكل، وصار ما بلغت غير معتدّ به، فقوله تعالى: ﴿ وإن لم تفعل ﴾ معناه وإن لم تستوف. وهنا يتضح أنَّ المفسر ابن عطية الأندلسي أبتعد عن المقصد الآلهي، والتفسير الحقيقي للآية المباركة ولم يشر إلى حادثة الغدير وأحقية الإمام علي عليهِ السلام في خلافة الأمة الإسلامية.

أما القرطبي فسر هذهِ الآية على أنها إظهار لتبليغ الرسالة الإسلامية لأنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أخفى إسلامه في بداية الدعوة

(١)- السنافي، الإمام علي، ص٣٢٣.

(٢)- المائدة، ٦٧.



الإسلامية خوفا من المشركين ثم جاء الأمر بإظهارهِ في هذه الآية واخبره الله أنه سيعصمهُ من الناس وكان عمر أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سرا وفي ذلك نزلت: ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾[1]، فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبي صلى الله عليه وآله كتم شيئا من أمر الدين تقية وعلى بطلانه وهم الرافضة (حسب قول القرطبي). ولعلَّ القرطبي ابتعد كل البعد عن القصد الآلهي في تفسير هذهِ الآية المباركة وارد أن يضيف منقبة للخليفة الثاني، مع تغييب الأثر القرآني الدال على مكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام.

كذلك قيل أنَّ هذهِ الآية نزلت في أمر زينب بنت جحش[2]، وقيل غير هذا والصحيح القول بالعموم قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك فإن كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته.

وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم وتأديب لحملة لعلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه وفي صحيح من أمر شريعته وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه[3].

(١)- الانفال، ٦٤.

(٢)- زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة، وتوفيت سنة عشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٩٧.

(٣)- القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ٦/ ٢٢٨، ولعلَّ ما أورده القرطبي في تفسير هذهِ الآية

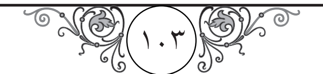
ويتضح أنَّ القرطبي تجاهل أهمية حادثة الغدير، مستبعدا أن تكون هذهِ الآية قد نزلت بحق أمير المؤمنين عليهِ السلام، ولم يكتفِ بذلك بل أنَّهُ تطاول على مقام النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآله وسلم، حينما يفسر هذهِ الآية على أنها تأديب للنبي ولحملة العلم من المسلمين. فأي جرأة يمتلكها هذا المفسر تمكنه من التطاول على مقام نبي هذهِ الأمة؟

أما المفسر ابن جزي الكلبي فقد قال: ((أنَّ الله أمر النبي محمد بتبليغ جميع ما أوحي إليه على الاستيفاء والكمال وأمرهُ إلا يتوقف عن شيء مخافة أحد، وإن لم يفعل فما بلغ رسالته. وهذا وعيد على تقدير عدم التبليغ وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا فكأنك لم تبلغ شيئا وصار ما بلغت لا يعتد به فمعنى إن لم تفعل، فأنك لم تستوف التبليغ على الكمال والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها ووضع السبب موضع المسبب والله يعصمك من الناس وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلم يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها فلما نزلت هذه الآية قال: يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني وترك الاحتراس[1]، ولعلَّ هذا التفسير بعيد كل البعد عن القصد الآلهي الذي نزلت لأجلهِ هذهِ الآية المباركة.

أما المفسر أبو حيان فقد فسر الآية الكريمة على أنها نداء بالصفة

جرأة وتجاوزاً على مقام النبي الأكرم صلى الله عليهِ وسلم.

(١)- ابن جزي الكلبي، التسهيل، ١/ ٢٤٤.





الشريفة التي هي أشرف أوصاف الجنس الإنساني، وأمر بتبليغ ما أنزل إليه وهو صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل إليه، فهو أمر بالديمومة. ولعلَّ أبو حيان استند في تفسير هذهِ الآية على قول ابن عباس أنّ النبي قال: ((لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعاً وعرفت أن من الناس من يكذبني فأنزل الله هذه الآية)). وقيل: هو أمر بتبليغ خاص أي: ما أنزل إليك من الرجم والقصاص الذي غيره اليهود في التوراة والنصارى في الإنجيل. وقيل: أمر بتبليغ قضية زينب بنت جحش ونكاحها، وقيل أمر بتبليغ معائب آلهتهم، وقيل بتبليغ الجهاد والحث عليه، وأن لا يتركه لأجل أحد، وكل واحد من هذا التبليغ الخاص قيل أنها نزلت بسببه، والذي يظهر أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بتبليغ ما أنزل إليه في أمرهم وغيره من غير مبالاة بأحد، لأن الكلام قبل هذه الآية وبعدها هو معهم، فيبعد أن تكون هذه الآية بعيدة عما قبلها وعما بعدها. ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ أي وإن لم تفعل بتبليغ ما أنزل إليك، وظاهر هذا الجواب لا ينافي الشرط، إذ صار المعنى: وإن لم تفعل لم تفعل، والجواب لا بد أن يغاير الشرط حتى يترتب عليه أثراً ما[1].

وتبعاً لما تقدم لم يبين هؤلاء المفسرون المقصد الشريف لهذهِ الآية المباركة، وما أراده الله سبحانه وتعالى من نبيهِ الأكرم أنّ يبلغه للناس، بحيث يساوي به جميع الرسالة الإسلامية، لذا فأنهم ابتعدوا عن الحقيقة التاريخية، وتجاهلوا حادثة الغدير بكل أحداثها وما حملتهُ هذهِ الحادثة من

(١)- أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ١/ ٤٨٩-٤٩٠.



معانٍ وقيم فكرية، نتج عنها اختلاف كبير في المواقف والروئ فتمخض عنها انشقاق كبير عصفَ جسد الأمة الإسلامية فاختلفت أيدلوجية المسلمين وعقيدتهم في فهم مسألة الإمامة والخلافة.

ومن الجدير بالذكر القول على الرغم من اختلاف هؤلاء المفسرون وتجاهلهم لحادثة الغدير وما دار بها من حديث مُعتبر، إلا أنهم أوردوا مايؤيد هذا الحديث حينما فسروا سورة المعارج ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾[1].

وقد فسرَ البعض أنَّ سورة المائدة وتحديداً الآية ٦٧، نزلت في أمر زينب بنت جحش، وهذا من المستبعد، لأن هل يستحق أمر زينب بنت جحش أن يساوى بجميع الرسالة الإسلامية، وهل يستحق لهجة الوعيد والتهديد التي وردت في سياق الآية. علماً بأنَّ زواج النبي الأكرم من زينب كان قد تم في السنة الخامسة من الهجرة[2]، كما أنَّ الآية ٦٧، هي من أواخر السور التي نزلت على النبي الأكرم، أي أنها نزلت في السنة العاشرة من البعثة وهي آخر سنة من حياة النبي الأكرم. أي أنّ بين أمر الزواج وبين نزول الآية خمس سنوات فهل يعقل أنّ النبي الأكرم لم يبلغ بأمرها مدة خمس سنوات، وهل يستحق هذا أن يساوى بجميع الرسالة الإسلامية؟

ولعلَّ مجيء هذهِ الآية في سياق آيات تتحدث عن أهل الكتاب،

(١)- المعارج، ١.

(٢)- ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ٢١١.



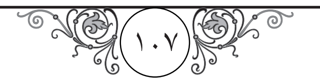


دفعت بعض المفسرون من أهل السنة يعتقدون أن المقصود من هذهِ الآية هو تبليغ الإسلام لأهل الكتاب لا تبليغ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام، ولعلَّ هؤلاء المفسرون أرادوا إبعاد الآية عن مقصدها الشريف وحاولوا تغطية الحق، في الوقت الذي أشارت فيه الآية إلى الخطر الذي يحيط بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآلهِ وسلم، ومن البديهي أنَّ الخطر لم يتوجه للنبي من أهل الكتاب حتى يستدعي وعد الله بالعصمة (والله يعصمك من الناس)، بل المعلوم من حال النبي أنَّهُ قد بلغ ما أمر بهِ لأهل الكتاب، حتى في أوائل هجرتهِ إلى المدينة، في وقت كان فيهِ اليهود يتمتعون بالقوة والحدة، حتى انتهى إلى وقائع خيبر، وقد قام النبي بتبليغ ما هو أشد من ذلك، وهو تبليغ التوحيد ونفي الوثنية إلى كفار ومشركي قريش، وهم أغلظ جانباً، واسفك للدماء، وأشد بطشاً، وأفتك من اليهود وسائر أهل الكتاب، ناهيك عن إن اليهود حينما نزلت سورة المائدة وآياتها قد كسرت شوكتهم، وأفلت قوتهم فلا معنى لخوف النبي الأكرم منهم في دين الله، بل دخلوا في السلم وقبلوا الجزية، فلا معنى لإقرار الله تعالى لنبيه وخوفه منهم، ولا معنى أيضاً لاضطراب النبي في تبليغ أمر الله إليهم، وهنا على القارئ أنَّ لا يشك في مقصد الآية الشريفة وسبب نزولها هو لتبليغ أمر الخلافة، وهي ظاهرة في أن هناك أمراً هاماً، قد أمر الله نبيهِ بتبليغه إلى الناس، وكان النبي يخافهم لأنه ثقيل على أنفسهم فتأخر، وأخذ ينتظر الظرف المناسب تجنباً للاصطدام بالمنحرفين، لكن الله تعالى حث النبي على التبليغ وعصمهُ عن كل مكروه،

وهدده على الترك بقوله (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)، فولاية علي بن أبي طالب عليهِ السلام هو الأمر المهم الذي أُمر النبي بتبليغه[1]. ولعلَّ النبي الأكرم كان يدرك إذا نص على خلافة أمير المؤمنين سيُتهم بالمحاباة والتحيز لأمير المؤمنين كما وقع هذا الاتهام من قبل الحارث بن النعمان الفهري، ويخشى النبي أن يتخذ المنافقون من هذا النص مادة للدعاية الإعلامية ضده والتشكيك في نبوته وعصمته، ومن البديهي أنَّ هذهِ الدعاية يتقبلها بعض البسطاء والسذج والمنافقين، وهم اشد خلق الله فتكاً بالإسلام والمسلمين، والتاريخ الإسلامي حافل بمكرهم وحيلهم، ولا سيما ما فعله الحارث بن النعمان، حيث كان معادياً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام، وحاقداً على آل بيت النبوة، وقد ازداد حقده، وارتفعت نيرانه حينما بلغه حديث الغدير، واختيار الإمام خليفة من بعد النبي الأكرم، فأتى إلى النبي لكي ينتقد هذهِ الخطوة ويقلل من شأنها معبراً عن حقده قائلاً: ((يا محمد أمرتنا أنّ نشهد أن لا آله إلا الله فقبلنا، وأمرتنا أنّ نشهد أنك رسول الله فقبلنا، وأمرتنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج فقبلنا، ثم ترض حتى أخذت بعضد ابن عمك وفضلته علينا، فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله))؟، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ((والذي لا إله إلا هو، أنَّ هذا من الله عز وجل، فولى الحارث إلى راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم، فلما وصل إلى

---

(١)- البامياني، خلافة علي، ص٩٦.



راحلته حتى رماه الله عز وجل بحجر سقط على رأسه فخرج من دبره، فقتله فانزل الله عز وجل هذهِ الآية ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾[1].

قال الإمام الباقر عليه السلام: ((أنَّ جبرائيل هبط على رسول الله صلى الله عليهِ وآله وسلم...، فقال إنَّ الله تبارك وتعالى يأمرك أن تدل أمتك من وليهم، على مثل ما دللتهم عليهِ في صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم، قال: فقال رسول الله صلى الله عليهِ وآله وسلم رب أمتي حديثو عهد بالجاهلية، فأنزل الله هذهِ الآية المباركة، قام رسول الله فأخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه))[2].

٤- قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3]، ذكر أبن عطية في تفسير هذهِ الآية أنها نزلت في يوم الحج الأكبر وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى عمر بن الخطاب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟ فقال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت، وروي أن عمر بن الخطاب قال له يهودي: آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال له عمر أية آية هي فقال له: ﴿

(١)- المعارج، ١.

(٢)- الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٦١؛ تفسير العياشي، ١/ ٣٣٣؛ المجلسي، بحار النوار، ٣٧/ ١٤١.

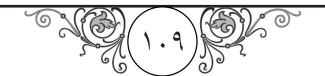
(٣)- المائدة / ٣.

اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فقال له عمر قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله وهو واقف بعرفة يوم الجمعة.

وكذلك ذكر ابن عطية في تفسير هذهِ الآية أنَّ في ذلك اليوم عيدان لأهل الإسلام إلى يوم القيامة، مبيناً إن اليهود تقول كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذي كمل الله لها دينها فيه، موضحاً أنَّ سورة المائدة نزلت بالمدينة يوم الاثنين، وقيل أنها نزلت في مسير النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآله وسلم إلى حجة الوداع، وهذا كله يقتضي أن السورة مدنية بعد الهجرة وإتمام النعمة هو في ظهور الإسلام ونور العقائد وإكمال الدين وسعة الأحوال وغير ذلك مما أنتضمته هذه الملة الحنيفية إلى دخول الجنة والخلود في رحمة الله هذه كلها نعم الله المتممة قبلنا، وقوله تعالى: ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ يحتمل الرضا في هذا الموضع أنَ يكون بمعنى الإرادة ويحتمل أنّ يكون صفة فعل عبارة عن إظهار الله إياه لأن الرضا من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الأفعال والله تعالى قد أراد لنا الإسلام ورضيه لنا، وثم أشياء يريد الله تعالى وقوعها ولا يرضاها[1].

والملاحظ في تفسير هذهِ الآية عند ابن عطية، نجده يغيب حقيقة نزولها في تنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام كخليفة للمسلمين بعد النبي الأكرم. لا بل أنَّهُ لم يشر إلى حادثة الغدير لا من قريب ولا من بعيد، إلا أنَّهُ يعترف أنَّ الله سبحانه وتعالى أكمل دين

(١)- ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢/ ١٥٤ -١٥٥.



الإسـلام في هـذا اليـوم.

كذلـك عمـل القرطبـي عـلى تفسـير هـذهِ الآيـة فنجـده يقـول: أن النبـي صلى الله عليـه وآلـه حـين كان بمكـة لم تكـن إلا فريضـة الصلاة وحدهـا فلـما قـدم المدينـة أنـزلَ الله الحـلال والحـرام إلى أن حـج فلـما حـج وكمـل الديـن وأنهـا نزلـت في يـوم جمعـة وكان يـوم عرفـة بعـد العـصر في حجـة الوداع السـنة العـاشرة للهجـرة، ورسـول الله صلى الله عليـه وسـلم واقـف بعرفـة عـلى ناقتـه فـكاد عضـد الناقـة ينقـد مـن ثقلهـا فبركـت واليـوم قـد يعـبر بجـزء منـه عـن جميعـه وكذلـك عـن الشـهر ببعضـه تقـول فعلنـا في شـهر كـذا كـذا وفي سـنة كـذا كـذا ومعلـوم أنـك لم تسـتوعب الشـهر ولا السـنة وذلـك مسـتعمل في لسـان العـرب والعجـم والديـن عبـارة عـن الشرائـع التـي شرف وفتـح لنـا فإنهـا نزلـت نجومـا وآخـر مانـزل منهـا هـذه الآيـة ولم ينـزل بعدهـا حكـم قالـه ابـن عبـاس و السـدي وقـال الجمهـور: المـراد معظـم الفرائـض والتحليـل والتحريـم قالـوا: وقـد نـزل بعـد ذلـك قـرآن كثـير ونزلـت آيـة الربـا ونزلـت آيـة الكلالـة إلى غـير ذلـك وإنـما كمـل معظـم الديـن وأمـر الحـج إذ لم يطـف معهـم في هـذه السـنة مـشرك ولا طـاف بالبيـت عريـان ووقـف النـاس كلهـم بعرفـة وقيـل: ﴿ أكملـت لكـم دينكـم ﴾ بـأن أهلكـت لكـم عدوكـم وأظهـرت دينـك عـلى الديـن كلـه كـما تقـول: قـد تـم لنـا مـا نريـد إذا كفيـت عـدوك، أمـا قولـه تعـالى ﴿ وأتممـت عليكـم نعمتـي ﴾ أي بإكـمال الشرائـع والأحـكام وإزهـار ديـن الإسـلام كـما وعدتكـم. وكذلـك قـال في تفسـير هـذهِ الآيـة ﴿ اليـوم أكملـت لكـم دينكـم ﴾ أنهـا تـدل عـلى أن الديـن كان يمـر في وقـت

عصيب، وأنَّ جميع من مات من المهاجرين والأنصار والذين شهدوا بدرا والحديبية وبايعوا رسول الله البيعتين جميعا وبذلوا أنفسهم لله مع عظيم ما حل بهم من أنواع المحن ماتوا على دين ناقص وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كان يدعو الناس إلى دين ناقص، ومعلوم أن النقص عيب ودين الله تعالى قيم وكامل على وجهين:

١- أن يكون المراد بلغته أقصى الحد الذي كان له عندي فيما قضيته وقدرته وذلك لا يوجب أن يكون ما قبل ذلك ناقصا نقصان عيب.

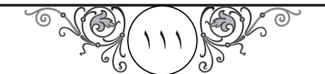
٢- أراد الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ أنه وفقهم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره فحجوا فاستجمع لهم الدين أداء لأركانه وقيامه[١].

أما المفسر ابن جزي الكلبي فقد فسر قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ هذا الإكمال يحتمل أنَّ يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام[٢]، مستبعدا أن تكون هذهِ الآية قد نزلت لأجل حادثة الغدير.

أما أبو حيان فقد فسر هذهِ الآية على أنها نزلت لإكمال الدين الإسلامي وإظهاره، واستيعاب عظيم فرائضه، وتحليله وتحريمه. وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير كآيات الربا، وآية الكلالة، وغير ذلك، وإنما

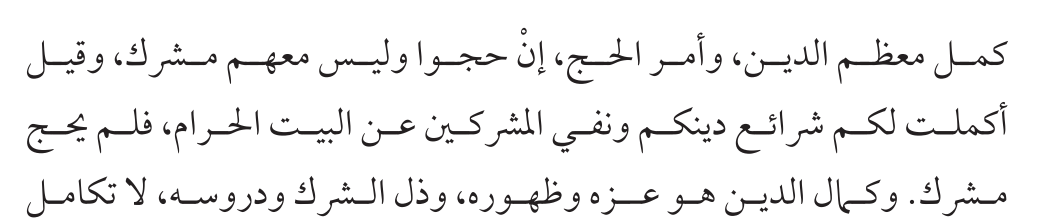
(١)- القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ٧/ ٢٩٢- ٢٩٥

(٢)- ابن جزي الكلبي، التسهيل، ١/ ٢٢٥.



كمل معظم الدين، وأمر الحج، إنْ حجوا وليس معهم مشرك، وقيل أكملت لكم شرائع دينكم ونفي المشركين عن البيت الحرام، فلم يحج مشرك. وكمال الدين هو عزه وظهوره، وذل الشرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن. وروي أن هذه الآية نزلت يوم الحج الأكبر[1].

لعلَّ أبو حيان لم يختلف عن من سبقه بالتفسير فقد دأب على تغييب الأثر القرآني الدال على حادثة الغدير في القرآن، إذ لم يشر إلى هذهِ الحادثة، ولم يلمح لها أبداً، وكأن هذهِ الآية لم يكن سبب نزولها تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام خليفة للمسلمين بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.



وقد اتفقت الأمامية على نزول هذهِ الآية المباركة في يوم الغدير بعد إبلاغ النبي محمد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام وقد وافق على ذلك كثير من علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنة[2].

جاء في الروايات التاريخية أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآله وسلم دعا الناس إلى علي بن أبي طالب عليهِ السلام، في يوم غدير خم، وأمر

---

(١)- أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٤/ ٣٥٧.

(٢)- أبو داود، المسند، ص٢٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/ ٢٤؛ ابن حنبل، المسند، ١/ ص١٧٣-١٨٥؛ الترمذي، السنن، ٥/ ٣٠١-٣٠٢؛ النسائي، السنن الكبرى، ٥/ ١٢٣-١٢٤؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٣٣؛ الطبري، بشارة المصطفى، ص٣١٦؛ ابن عساكر، تاريخ، ٤٢/ ١٤٢-١٤٣.

بها تحت الشجرة من الشوك، فدعا علياً فأخذ بضبعيهِ فرفعها، حتى نظر الناس إلى بياض أبطيها ولم تتفرق الناس حتى نزلت الآية المباركة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1]، فقال النبي الأكرم: ((الله اكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي))، ثم قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وأل من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله))[2].

ويتضح أنَّ المفسرين آنفي الذكر، يذكرون بأنَّ الآية المباركة نزلت يوم عرفة وهذا لا ينافي نزولها يوم الغدير، بعد تأخر النبي عن تبليغ أمر الخلافة إلى يوم غدير خم، ولعلَّ قولهم أنّ الآية نزلت يوم عرفة ليس إلا تغطية للحق، وتظليل الناس بغضاً بعلي، وإنكاراً لحقهِ في خلافة المسلمين.

الخاتمة

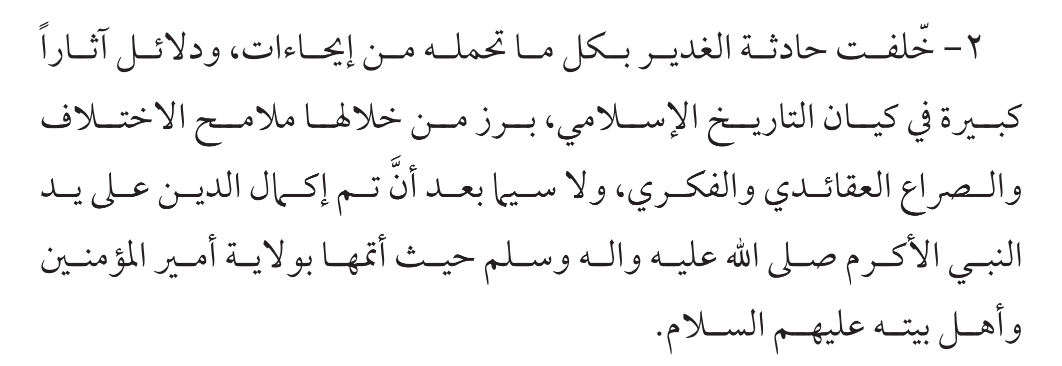
١- لم تكن حادثة الغدير حدثاً استثنائياً بالنسبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ السلام، بل كان ذلك هو الحق الطبيعي له، لأنهُ هو المؤهل الوحيد بين المسلمين جميعاً لان يكمل الرسالة الإسلامية في عمقها وامتدادها الصحيح.

(١)- المائدة، ٣.

(٢)- البامياني، خلافة علي، ص٩٩.



٢- خّلفت حادثة الغدير بكل ما تحمله من إيحاءات، ودلائل آثاراً كبيرة في كيان التاريخ الإسلامي، برز من خلالها ملامح الاختلاف والصراع العقائدي والفكري، ولا سيما بعد أنَّ تم إكمال الدين على يد النبي الأكرم صلى الله عليه واله وسلم حيث أتمها بولاية أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام.



٣- تمخض عن حادثة الغدير، اختلاف كبير عصف بالأمة الإسلامية، نتجَّ عنه اختلاف في كتابة التاريخ، والفكر، الأدب، الفلسفة والمنطق.

٤- يُعد نزول الآيات القرآنية الدالة على خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام، وتهنئة الخليفة الأول والثاني وجمع غفير من الصحابة له، دليل واضح على بيعة الغدير وتنصيب الإمام علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين بعد النبي الأكرم محمد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم.

٥- انطوت حادثة الغدير بعنوانها ومفهومها كميثاق للأمة وطريق لمستقبلها الواعد من خلال ظرفها الزماني الدال على حقيقة مفادها أن لا دين بلا ولاية.

٦- على الرغم من دخول التشيع إلى الأندلس منذُ بدايات الفتح الإسلامي لمنطقة شبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، وظهور دولة بني حمود الشيعية إلا أنَّ الأندلس ظلت أموية الهوى، الأمر الذي أنعكس سلباً على آراء وفكر المفسرين الأندلسيون الذين غيبوا حادثة الغدير في تفسيرهم للآيات القرآنية، ولا سيما تلك التي تؤكد على أحقية

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في منصب الخلافة بعد النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآله وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د. ت.

ابن البطريق يحيى بن الحسن الأسدي (ت٦٠٠ه/ ١٢٠٤م)

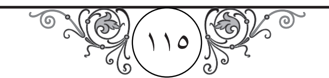
عمدة عيون صحاح الإخبار في مناقب إمام الإبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٨٦.

البحراني، هاشم التوبلي البحراني، (ت١١٠٧ه/ ١٦٩٥م).

البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، د. ت.

-، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تحقيق السيد علي عاشور، الناشر مؤسسة التاريخ العربي، د. ت.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت٢٧٩ه/ ٨٩٢م).



سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ه.

ابن جُزي الكلبي، أبي القاسم محمد بن أحمد، (٧٤١ه/ ١٣٤٠م).

التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

حجة الوداع، تحقيق أبو صهيب الكرمي، الناشر بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨.

-، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (٤٠٥ه/ ١٠١٤م).

المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ه.

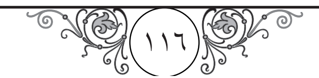
أبن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد، (ت٢٤١ه/ ٨٥٥م).

المسند، دار صادر، بيروت، د. ت.

الحلبي، علي بن برهان الدين، (ت١٠٤٤ه/ ١٦٣٤م)

السيرة الحلبية، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠ه.

ابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب السلماني،



(ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

الإحاطـة في أخبـار غرناطـة، تحقيـق محمـد عبـد الله عنـان، ط٢، النـاشر مكتبـة الخانجـي للطبـع والنـشر والتوزيـع، القاهـرة، ١٩٧٣.

الخوارزمي الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)،

المناقب تحقيق مالـك المحمـودي، ط٢، مؤسسـة النـشر الإسـلامي، قـم، ١٩٩٣.

أبو دواد، سليمان بن داود الطيالسي، (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م).

مسند الطيالسي، دار الحديث، بيروت، د. ت.

الـرازي، عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن إدريـس بـن أبي حاتـم، (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م).

تفسـير القـرآن العظيـم، تحقيـق أسـعد محمـد الطيـب، دار الفكـر، بـيروت، ١٤٢٤هـ.

الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م).

كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥.

السبكي، عبد الوهاب بن علي، (ت٧٧٦هـ / ١٣٧٤مـ).

طبقـات الشـافعية الكـبرى، تحقيـق: محمـود محمـد الطناجـي، ط١، مطبعـة عيسـى الحلبـي وشركاه: القاهـرة، ١٩٦٤.

أبن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)



الطبقات الكبرى، الناشر دار صادر، بيروت، د. ت.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، بغداد، ١٣٧٧هـ.

ابن شهر أشوب أبي عبد الله محمد بن علي ابن أبي نصر بن أبي حبيش المازندراني (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

مناقب آل أبي طالب قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، (٥٤٨هـ / ١١٥٣م).

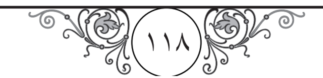
الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢١هـ.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م).

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.



الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن القاسم، (ت بعد ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م).

بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق جواد القيومي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢هـ

الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

المعجم الأوسط، تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، ١٩٩٥.

ابن طاووس أبي القاسم علي بن موسى الحلي (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ط١، مطبعة الخيام قم ١٩٨٠.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

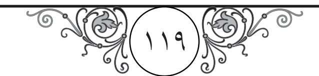
الرسائل العشر، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت.

أبن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب، (٥٤٦هـ/ ١١٥١م).

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة أيا صوفيا المحفوظة صورتها في مكتبة



مرعشي نجفي قم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي، (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).

التفسير، تحقيق السيد هاشم الرسولي، د. ط، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د. ت.

ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين، (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م).

الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م).

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦.

المجلسي محمد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار



صادر، بيروت، ١٩٨٨.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

السنن الكبرى، تحقيق عبدد الغفار سليمان و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

الهيثمي علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)،

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

المراجع

الأميني، عبد الحسين بن أحمد بن نجف قلي.

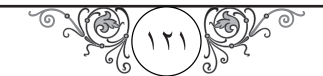
الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧ هـ.

الحساني، كريم جهاد

الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي عليهِ السلام في فكر المستشرقين، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد ٨، ٢٠١٦.

السنافي، سارة أحمد عبد الرزاق.

الإمام علي في تفسير القرطبي دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٦.



عبد الرضا، قصي جواد.

كتاب الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٩.

القزويني، محمد الحسيني.

واقعة الغدير، مؤسسة ولي العصر (عج) للدراسات الإسلامية، ٢٠١٣.

الكوفي، محمد بن سليمان.

المناقب، تحقيق محمد باقر المحمودي، الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، د. ت.

الكعبي، إيلاف شاكر زبيل

شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليهِ السلام في كتاب الاستيعاب لأبن عبد البر الأندلسي ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠١٧.

محمد بن عبد الله المعتزلي.

المعيار والموازنة في فضائل المؤمنين علي بن أبي طالب تحقيق محمد باقر المحمودي ط١ ١٩٨١.

(آية إكمال الدين وإتمام النعمة) دراسة في التفسير الترابطي لسورة المائدة

أ. م. د. إقبال وافي نجم

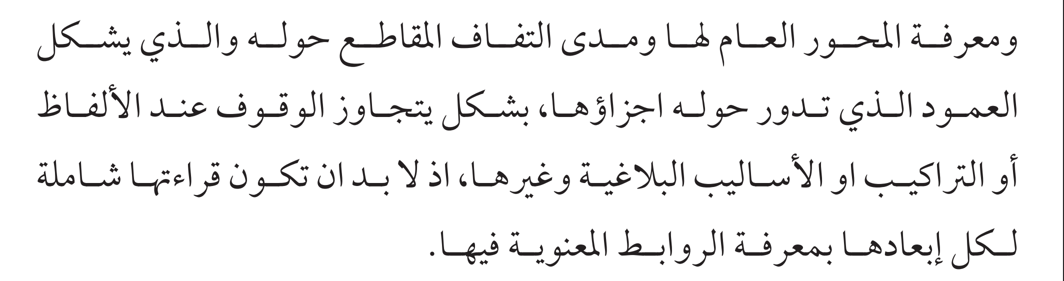
المقدمة

تناول المفسرون هذا المقطع من الآية الثالثة من سورة المائدة: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) بالبحث والتحليل وتعددت اراؤهم في بيان المراد منها، فمنهم من فسرها وفقاً لموضعها من السورة واتصالها بالسياق الذي وردت فيه، وآخرون فسروها وفق الروايات الواردة في أسباب النزول والقرائن المقامية التي رافقت نزولها.

هذا البحث دراسة في هذه الآية ضمن اطار السورة الكاملة، لمعرفة مدى ارتباطها مع بقية آيات السورة ومقاطعها وفقاً للأسلوب الترابطي في تفسير القرآن الكريم القائم على العلاقات والروابط بينها بالإضافة الى الإفادة من أسباب النزول ومعرفة القرائن الزمانية والمكانية والأحداث التي رافقت النزول وتوظيفها في التفسير.

ان دراسة الآية منفصلة عن بقية آيات السورة لا يعطي فهماً دقيقاً وتفسيراً صحيحاً لها، اذ لا بد من دراسة الآية ضمن السورة بكل أبعادها



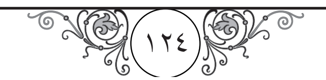

ومعرفـة المحـور العـام لهـا ومـدى التفـاف المقاطـع حولـه والـذي يشـكل العمـود الـذي تـدور حولـه اجزاؤهـا، بشـكل يتجـاوز الوقـوف عنـد الألفـاظ أو التراكيـب او الأسـاليب البلاغيـة وغيرهـا، اذ لا بـد ان تكـون قراءتهـا شـاملة لـكل إبعادهـا بمعرفـة الروابـط المعنويـة فيهـا.

فالتفسـير القائـم عـلى الروابـط يكشـف توقيفيـة ترتيـب اجـزاء السـورة وفـق نظـام متآلـف محكـم لا تنفصـم اجزاؤهـا بعضهـا عـن بعـض، فـكل جـزء آخـذ بحجـزة الآخـر وتتعاضـد المقاطـع بشـكل مثـير للدهشـة بـما يكشـف عن وجـه إعجـازي في هـذا الترتيـب، ويـرد عـلى ادعـاء القائلـين بـأن القـرآن عبارة عـن مقاطـع متفرقـة أُلّفـت بشـكل لا يجمعهـا جامـع ولا يربطهـا رابـط.

توطئة:

الأسـلوب الترابطـي لتفسـير القـرآن الكريـم أحـد الأسـاليب التفسـيرية الـذي يعتمـد عـلى دراسـة السـورة القرآنيـة كونهـا نصـاً متكامـلاً ووحـدة فكريـة قائمـة تترابـط أجزاؤهـا مـع بعضهـا بروابـط دقيقـة وأواصر تشـد بعضهـا الى بعـض، إذ تلتحـم مقاطعهـا بشـكل محكـم حـول محـور السـورة العـام الـذي يمثـل العمـود الـذي تلتـف حولـه موضوعاتهـا مهـما تعـددت وتنوعـت واختلفـت في زمـان أو مـكان نـزول آياتهـا.

ولا يختلـف هـذا الأمـر في طـوال السـور أو قصارهـا فللسـورة بنـاء محكـم متـين يقـوم عـلى أسـس عـدة منهـا لفظيـة وتركيبيـة وروابـط معنويـة بالإضافـة الى عنـاصر فنيـة تسـهم في ربـط الأجـزاء مـع بعضهـا.



ان دراسة السورة القرآنية – طويلة كانت أم قصيرة – ومحاولة فهم وتفسير آياتها لا يتأتى إلَّا من خلال معرفة علاقة الجزء بالكل؛ أي علاقة الآيات بمحور السورة ومقاصدها وأهدافها والعكس صحيح، إذ لا تفهم السورة كاملة إلَّا من خلال فهم آياتها ومقاطعها ومدى اتصالها مع بعضها تحقيقاً للغرض المقصود.

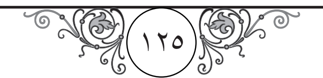
وسورة المائدة احدى السور الطوال ذات الموضوعات المتنوعة التي ترتبط آياتها برباط وثيق يوحد بين أجزائها ويخضعها لبناء فني محكم تتلاحم موضوعاتها لتصب في رافد فكري واحد يحقق غرضها وهدفها.

يتناول البحث مقطع من الآية الثالثة من سورة المائدة، المتضمنة ثلاثة مقاطع اختلفت آراء المفسرين في بيانها ابتداءً من تاريخ نزولها ووضعه في موضعه من هذه الآية والسورة، وهو قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[1] وعلاقة هذه الآية بمقاطعها مع موضوعات سورة المائدة.

إذ بدراسة موضوعات السورة ومحورها العام ومقاصدها تتضح الروابط بين المقطع وآيات ومقاطع سورة المائدة كاملة.

نزول السورة: من المتسالم عليه عند المفسرين وأهل النقل ان سورة المائدة من أواخر ما نزل من السور، وقد ابتدأ نزولها بعد هدنة الحديبية في السنة السادسة للهجرة بعد نزول سورة الفتح واستمر أربع سنوات،

(١) المائدة: من الآية ٣.





وآية إكمال الدين وإتمام النعمة من أواخر ما نزل من القرآن[١].

واختلفوا في تحديد يوم نزولها وفيه رأيان:

الأول: نزولها يوم عرفة وكان يوم جمعة فقد روي عن ابن عباس انها نزلت في عيدين اثنين يوم عيد ويوم جمعة[٢].

الثاني: نزولها يوم غدير خم عند منصرف النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة[٣] وقد وردت في هذا روايات عدة منها:

روي عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى عليّ في غدير خم وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقُمَّ، وذلك يوم الخميس، فدعا علياً، فأخذ بضبعيه، فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لم يتفرّقوا حتى نزلت هذه الآية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

(١) ظ: سنن الترمذي: ٧٠٨ح ٣٠٦٣، الطوسي، التبيان: ٣/ ٤١٣، السيوطي، الدر المنثور: ٣/ ٢١، الطباطبائي، الميزان: ٥/ ١٩٣، عبد الله شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ٥٥.

(٢) ظ: الطبري، جامع البيان: ٤/ ٣٨٥، الواحدي، أسباب النزول: ١٠٦، الرازي، مفاتيح الغيب: ١١/ ١٠٨، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: ٣/ ٤٤٠، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٤، السيوطي، الدر المنثور: ١/ ٢٠، الاتقان: ٤٨، البروسوي، روح البيان: ٢/ ٤١٧، محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٦/ ١٢٨.

(٣) ظ: العياشي، تفسير العياشي: ١/ ٣٢٢، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٤٣٥، المفيد، الارشاد: ١/ ١٧٦، الطبرسي، مجمع البيان: ٣/ ٢٧٤، الطباطبائي، الميزان: ٥/ ١٦٠.

دِينًـاًّ)[١] فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه: الله أكـبر عـلى إكـمال الديـن، وإتمـام النعمـة، ورضـا الـرب برسـالتي وبالولايـة لعـلي مـن بعـدي، ثـم قـال: اللهـم والِ مـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه، وانـصر مـن نـصره، واخـذل مـن خذلـه[٢].

تضمنـت السـورة موضوعـات عـدة افتتحـت بموضـوع الايفـاء بالعقـود والالتـزام بالمواثيـق والعهـود بـكل اشـكالها وابعادهـا، دينيـة واجتماعيـة وغيرها والتحذيـر مـن نقضهـا والتذكـير بعواقـب الامـم السـابقة الذيـن نقضـوا عهودهـم مـع انبيائهـم خاصـة بنـي اسرائيـل والتحذيـر الشـديد مـن ولايـة الكافريـن والتأكيـد عـلى ولايـة المؤمنـين.

كـما تضمنـت أحكامـاً وفرائـض وحـدود وممارسـات عباديـة أكـدت عـلى الالتـزام بهـا كالحـج وشـعائره وعـدم اباحـة الصيـد في الاحـرام، وتحليـل الطيبـات وتحريـم الخبائـث مـن الطعـام والنـكاح والتمييـز بينهـما كـما تعرضـت لقضايـا الشـهادة بالنسـبة لوصايـا الميـت والقسـم حـال حصـول الشـك حيالها، وركـزت بشـكل كبـير عـلى قضيـة الولايـة كونهـا أهـم العهـود والمواثيـق.

واختتمـت السـورة بموضـوع يتعلـق بالبيئـة الاخرويـة وربطـه بمواقـف

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) ظ: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٨/ ٢٩٠، أبو نعيم الأصبهاني، ما نزل من القرآن في علي: ٥٦، الأردبيلي، كشف الغمة: ١/ ٣٣٠، السيوطي، الدر المنثور: ٣/ ١٩، ظ: الأميني، الغدير في الكتاب والسنة: ١/ ٤٤٨، أورد ما يقارب ستة عشر مصدراً ذكرت فيها رواية نزولها يوم الغدير.



وأحداث الدنيا في تناولها لقضية عيسى بن مريم عليه السلام وقصة المائدة والحواريين من جانب آخر باتخاذ بني إسرائيل لعيسى عليه السلام إلهاً.

كل هذه الموضوعات وغيرها قد تبدو موضوعات متفرقة لا صلة لها ببعضها أو هي مقاطع متفرقة نزلت في أحوال وأزمنة وأمكنة وحوادث مختلفة طيلة مدة نزول السورة ولا يجمعها جامع أو يربطها رابط ولكن بالتعمق والتدقيق في هذه الموضوعات نجدها تحوم حول محور السورة أو عمودها أو فكرتها الرئيسة وهي الالتزام بالعقود والمواثيق بكل أشكالها وأبعادها ابتداءً من أدناها هو الالتزام بحلال الأطعمة وحرامها وانتهاءً بالميثاق الأكبر والعهد المعهود وهو عقد الولاية الذي يجعل للالتزام بكل العقود اثراً في تزكية النفس.

(فالسورة افتتحت بقضية الإيفاء بالعقود أي الالتزام بما يتفق عليه طرفا التعامل وهذا الالتزام - فضلاً عن كونه معطى اجتماعي من حيث تحقيق التوازن في بناء المجتمعات - ينطوي على بعد أخلاقي أيضاً هو تدريب النفس على الاستواء في السلوك متمثلاً في تزكيتها من أورام الذات)[1].

ومقدمة السورة هذه تُنبيء بالفكرة الرئيسة التي ستدور حولها الآيات اذ تُطرح وبشكل مجمل من خلالها ثم تأخذ تفصيلاتها فيما بعد في مواضع متقاربة أو متباعدة في السورة وتتشابك الموضوعات وتتلاحم مع بعضها،

(١) البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم: ١/ ٣٧٤.

وفي كل هـذا نجـد ان الفكـرة الرئيسـة او المحـور العـام للسـورة يتسـلل بـين حـين وآخـر الى موضوعاتها ليربـط بـين أجزائهـا.

وتـأتي الآيـة الثالثـة مـن السـورة وهـي عـلى مقاطـع ثلاثـة: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ)[1] فالمقطـع الأول يتضمـن أحكامـاً في تحريـم بعـض المحرمـات مـن الأطعمـة كالميتـة والـدم ولحـم الخنزيـر أو بعـض الممارسـات كالاستقسـام بـالأزلام.

يليـه المقطـع التـالي: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ[2].

اختلفـت آراء المفسريـن في تحديـد: ٱلۡ المقصـود في هـذا المقطـع مـن الآيـة فقيـل انـه يـوم عرفـة وقيـل انـه يـوم الجمعـة بينما وردت الروايـات عـن أهـل البيـت عليهـم السـلام انـه اليـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة يـوم نصـب النبـي صـلى الله عليـه وآلـه الإمـام عـلي عليـه السـلام أمـيراً للمؤمنـين بنـص خطبتـه المشـهورة والأدلـة عـلى هـذه الحادثـة كثـيرة[3].

---

(١) المائدة: من الآية (٣).

(٢) المائدة: من الآية (٣).

(٣) ظ: العياشي، تفسير العياشي: ١/ ٣٢٢، المفيد، الارشاد: ١/ ١٧٦، الطبرسي، مجمع البيان: ٣/ ٢٧٤.



فـ: المقصـود هنـا والـذي تكـرر ذكـره بقولـه تعالى(الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـاً) هـو يـوم معـيّن محـدد وهاتـان الجملتـان متصلتـان ببعضهـا وهمـا كلام واحـد مسـوق لغـرض قائـم بمجمـوع الجملتين معـاً، وهكـذا فهمهـا (الكثـير مـن المفسريـن الصحابـة والتابعـين أخـذوا الجملتـين مـع بعضهـا لأنهـم فهموهـا معـاً وبنـوا عـلى نزولهـا معـاً واجتماعهـا مـن حيـث الدلالـة عـلى مدلـول واحـد فالمقصود بيـوم أكمـل فيـه الديـن وتمـت بـه النعمـة)[1].

فيأس الكافريـن الذيـن كانـوا يطمعـون في إبطـال ديـن الإسـلام أو تبديلـه هـو اليـوم الـذي أكمـل فيـه الديـن وتمـت بـه النعمـة وان حـاول بعضهـم صرف هـذا اليـأس الى ظهـور الإسـلام وقوتـه في فتـح مكـة أو نـزول آيـات الـبراءة[2] إلَّا ان المقـام لا يتناسـب مـع هـذا زمانيـاً أي ان يأسـهم كان يجب أن يكـون قبـل ذلـك بمعنـى ان فتـح مكـة كان في السـنة الثامنـة مـن الهجـرة والـبراءة نزلـت في السـنة التاسـعة بحيـث فالحدثـان كانـا قبـل سـنة وسـنتين مـن نـزول الآيـة ولا صلـة لـه بنزولـه في السـنة العـاشرة مـن الهجـرة مما يؤكـد عـلى نـزول هذيـن المقطعـين في يـوم الغديـر خاصـة.

وفي توجيـه بعـض المفسريـن لإكـمال الديـن واتمـام النعمـة في ذلـك اليـوم بتحريـم المحرمـات واباحـة الطيبـات، فالآيـة لا تـدل عـلى ذلـك غايـة مـا في الأمـر انهـا تشـتمل عـلى آيـات في تحريـم بعـض المحرمـات سـبق نزولهـا قبـل

(١) الطباطبائي، الميزان: ٥/ ١٧٢.

(٢) ظ: الطبري، جامع البيان:، ابن كثير:، ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٥/ ٢٩.

هـذه الآيـة بسـنوات منهـا تحريـم الخمـر والميتـة والانصـاب والازلام في قولـه تعـالى: ﴿قُـلْ لَا أَجِـدُ فِي مَـا أُوحِـيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًـا عَـلَى طَاعِـمٍ يَطْعَمُـهُ إِلَّا أَنْ يَكُـونَ مَيْتَـةً أَوْ دَمًـا مَسْـفُوحًا أَوْ لَحْـمَ خِنْزِيـرٍ فَإِنَّـهُ رِجْـسٌ أَوْ فِسْـقًا أُهِـلَّ لِغَـيْرِ اللَّهِ بِـهِ فَمَـنِ اضْطُـرَّ غَـيْرَ بَـاغٍ وَلَا عَـادٍ فَـإِنَّ رَبَّـكَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ﴾[1] وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّـمَا حَـرَّمَ عَلَيْكُـمُ الْمَيْتَـةَ وَالـدَّمَ وَلَحْـمَ الْخِنْزِيـرِ وَمَـا أُهِـلَّ لِغَـيْرِ اللَّهِ بِـهِ فَمَـنِ اضْطُـرَّ غَـيْرَ بَـاغٍ وَلَا عَـادٍ فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ﴾[2] و: ﴿إِنَّـمَا حَـرَّمَ عَلَيْكُـمُ الْمَيْتَـةَ وَالـدَّمَ وَلَحْـمَ الْخِنْزِيـرِ وَمَـا أُهِـلَّ بِـهِ لِغَـيْرِ اللَّهِ فَمَـنِ اضْطُـرَّ غَـيْرَ بَـاغٍ وَلَا عَـادٍ فَـلَا إِثْـمَ عَلَيْـهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ﴾[3] وهـذه السـور نازلـة قبـل سـورة المائـدة وبتواريـخ مختلفـة فالنحـل والانعـام سـورتان مكيتـان والبقـرة مدنيـة نازلـة قبل المائـدة[4].

وعليـه يتضـح ان إكـمال الديـن واتـمام النعمـة ليـس بتحريـم هـذه الامـور ولا صلـة لهـا بذلـك اليـوم، تؤيـد هـذه الروايـات الـواردة عـن أهـل البيـت عليهـم السـلام فقـد روي عـن الإمـام الباقـر عليـه السـلام: (فريضـة تنـزل بعـد الفريضـة الاخـرى وكانـت الولايـة آخـر الفرائـض فأنـزل الله: ٱلۡ□ □ □ □ □ تر□□□□ٱ قـال: لا أنـزل بعـد هـذه فريضـة قـد أكملـت الفرائـض)[5].

---

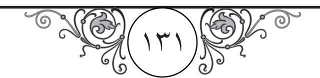
(١) الانعام: ١٤٥.

(٢) النحل: ١١٥.

(٣) البقرة: ١٧٣.

(٤) ظ: السيوطي، الاتقان: ٢٠، ابن الجوزي، فنون الافنان في عيون علوم القرآن: ٨١، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن: ١/ ١٧٠.

(٥) الكليني، الكافي: ١/ ٢٨٩ح ٤، تفسير العياشي: ١/ ٢٩٣.





اما وضع قوله تعالى: ﴿ ﴾ في موضعها من الآية الثالثة من السورة فهو: (كلام معترض موضوع وسط هذه الآية غير متوقف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها)[1] ولا فرق في كون هذا المقطع نازل وسط الآية التي تخللت بينهما من اول ما نزلت، أو ان النبي صلى الله عليه وآله أمر بوضع هذه الآية في موضعها على الرغم من اختلاف المقطعين في النزول أو انها وضعت في موضعها عند التأليف من غير أن تصاحبها في النزول فكل هذه الاحتمالات لا تؤثر على كون (الكلام المتخلل معترضاً اذا قيس الى صدر الآية وذيلها)[2].

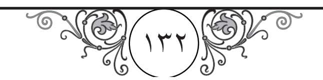
وهذا الاسلوب - أي الاعتراض - لا بد له من دلالة يهدف الى كشف أمر ما بتخصيص هذه الآية في هذا الموضع وتحديده بين آيات العقود والمواثيق عناية به وتعظيماً لشأنه ومحاولة للفت النظر إليه وهو عهد الإمامة والالتزام به وعدم نقضه انسجاماً مع بقية آيات ومقاطع السورة التي تتناول الموضوع نفسه.

وقوله تعالى: ﴿ ﴾ يرتبط بالمقطع السابق إذ ان الإسلام المقصود هنا هو مجموع ما نزل من الله تعالى ليعبده به عباده وهو من حيث العمل يشتمل على ولاية الله وولاية رسوله وولاية أولياء الأمر من بعده (ولا يتم ولاية الله سبحانه أي تدبيره بالدين لأمور العباد إلَا بولاية رسوله ولا ولاية لرسوله إلَّا بولي الأمر من بعده ولا تدبيرهم لأمور الأمة الدينية

---

(١) الطباطبائي، الميزان: ٥/ ١٧٠.

(٢) م. ن: ٥/ ١٧٠.



بـاذن الله قـال تعـالى يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللهَّ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ مِنْكُـمْ فَـإِنْ تَنَازَعْتُـمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُـولِ إِنْ كُنْتُـمْ تُؤْمِنُـونَ بِـاللهَّ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ ذَلِـكَ خَـيْرٌ وَأَحْسَـنُ تَأْوِيـلًا[1])[2].

ومـن جانـب آخـر ترتبـط آيـة إكـمال الديـن واتمـام النعمـة بآيـات سـورة المائـدة بشـكل محكـم ودقيـق حيـث تسـتمر السـورة بالتأكيـد عـلى الفكـرة العامـة لهـا وهـي الالتـزام بالمواثيـق والعهـود وتـأتي آيـة الولايـة إِنَّـمَا وَلِيُّكُـمُ اللهَّ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا الَّذِيـنَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَيُؤْتُـونَ الـزَّكَاةَ وَهُـمْ رَاكِعُـونَ[3] تؤكـد عـلى تخصيـص الولايـة بعـد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بالقيـم عـلى أمـور الديـن وادارة شـؤون الأمـة وتدبيرهـا تدبـيراً إلهيـاً متمثـلاً بالشـخصية التـي وصفتهـا الآيـة الذيـن آمنـوا الذيـن يقيمـون الصـلاة ويؤتـون الـزكاة وهـم راكعـون فالعلاقـة بـين آيـات السـورة كونهـا نصـاً واحـداً متصـلاً بعضـه ببعـض.

فآيـة الولايـة مطلـب عقائـدي كونهـا تتحـدث عـن متطلبـات العقيـدة وهـو مطلـب الزامـي مشـمولة بوجـوب الوفـاء بالعقـود الـذي افتتحـت بـه السـورة كـما تضمنـت امـراً آخـر هـو تصديهـا للموازنـة بـين سـلوك الكافريـن وسـلوك المؤمنـين بعضهـم أوليـاء بعـض يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَـاءَ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَمَـنْ يَتَوَلَّهُـمْ مِنْكُـمْ فَإِنَّـهُ مِنْهُـمْ إِنَّ اللهَّ

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الميزان: ٥/ ١٨٥.

(٣) المائدة: ٥٥.





لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[١] ووصف المؤمنين بالحزب الذي يعني انتظامهم في جمع موحد خاضع لقيادة فكرية عليا وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ[٢] هذا يعني ان المؤمنين في حزب منتظم ولهم قيادة ومن هنا يتضح في قراءة آية الولاية متطلبات العقيدة الآتية[٣]:

أولاً: تحديد جهات القيادة وهي (الله تعالى، الرسول الأعظم، أحد المؤمنين المستوفين للشروط) وقد وصفت هذه القيادة في حديث الثقلين: (اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[٤].

ثانياً: ان الشروط التي تشخص المؤمن المؤهل للقيادة هي أن يكون مؤمناً ومن الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع فان لم تكن هذه الشروط متوفرة في شخص غير الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام فهي منحصرة من شخصه، وقد ذكرت بعض الروايات التي تحدد شخصية اخرى وهو عبادة بن الصامت وضعفوا الرواية الواردة في أمير المؤمنين[٥] ولو وازنا بين شخصية الإمام علي عليه السلام وأية

(١) المائدة: ٥١.

(٢) المائدة: ٥٦.

(٣) د. محمد كاظم البكاء (استشارة علمية) في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٩.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي: ٨٥٨ ح ٣٧٩٢ باب (٣٨) مناقب أهل بيت النبي.

(٥) ظ: الطبري، جامع البيان: ٤/ ٦٢٨ح ١٢٢١٥، الرازي، مفاتيح الغيب: ١٢/ ٢٢، ابن كثير، التفسير: ٢/ ٧١، السيوطي، الدر المنثور: ٣/ ٩٨، بينما اكد الواحدي نزولها في الإمام علي ظ: اسباب النزول: ١١، وظ: الاميني، الغدير: ١/ ٢٩٠.

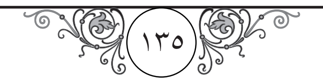


شخصية أخرى لرجح الإمام علي عليه السلام لهذه القيادة العظيمة بما اوتي من خصائص قيادية شهد لها التاريخ الإسلامي ووقائع المسلمين مع اعدائهم، فضلاً عن كونه أول الناس اسلاماً يؤيد ذلك الروايات الواردة في ولايته في حديث الغدير (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...)[1].

وفي الوقت نفسه تحذر الآيات من موالاة الكافرين وأهل الكتاب بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[2] وتقصر الولاية في الله ورسوله والمؤمنين، فيخرج بذلك المنافقون والذين في قلوبهم مرض ويبقى على وجوب الولاية المؤمنين، اذ ترتبط آية الولاية بما بعدها من الآيات بشكل تتلاحم فيه الافكار المطروحة اذ تشدد الآيات على النهي عن اتخاذ الكتابيين اولياء وبينت انهم ممن اتخذوا الإسلام هزواً ولعباً كما تناولت النفاق الذي يطبع قلوب بعض المسلمين والضعف النفسي الذي يتلوه الارتداد عن الدين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

(١) سنن الترمذي: ٨٤٦ح ٣٧٢٢ الباب (٢٦) مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام).

(٢) المائدة: ٥١.



* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ[1].

وفي مقطع آخر من السورة: وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[2].

هذه الآيات تذكر المسلمين بالعهود والمواثيق والالتزام بها وعدم نقضها وعدها نعمة ذكّرهم الله بها ربطاً بالموضوع الرئيس للسورة وتعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، وتربط الآيات اللاحقة بين سلوك المسلمين وسلوك الكتابيين (اليهود والنصارى) في إشارة الى ما ينبغي عليهم تجنبه وتحذيرهم من نقضها كما نقض اليهود عهودهم مع رسلهم رغم ادعائهم انهم أبناء الله وأحباءه وتحذيرهم من عاقبة هذا الأمر، واتخاذ النصارى عيسى بن مريم إلهاً وتعاملهم مع المائدة التي أنزلت عليهم: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

(١) المائدة: ٥٤ – ٥٦. وظ: الطباطبائي، الميزان: ٦/ ٥.

(٢) المائدة: ٧-١١.

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ[1].

وهذا (النص عندما يجمع بين الطائفتين بعبارة واحدة (يا أهل الكتاب) يستهدف إبراز سلوك مشترك ثم يفرد كل واحد منها بالحديث انما يستهدف ابراز سلوك خاص وان كان كل من السلوكين يصب في حقل واحد)[2] وهو نقض المواثيق والعهود التي أخذت عليهم واخفائهم الحقائق التي جاءت في كتبهم واقامة الحجة عليهم بالاسلام الذي يكشف تلك الحقائق ونقضهم له من بعد ما تبيّن لهم بقوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[3] وبعد أن عاهدوا على نصرة رسله وتعزيرهم وعلى حفظ ما أتاهم من الكتاب واقامة البينة على صدق الرسالة وأحقيتها.

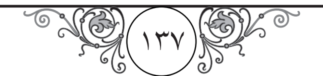
هذه الآيات كلها ترتبط بفكرة التحذير من موالاة الكافرين او المنافقين واهل الكتاب في مقابل الآية [illegible]... لتضع الميزان الصحيح في

---

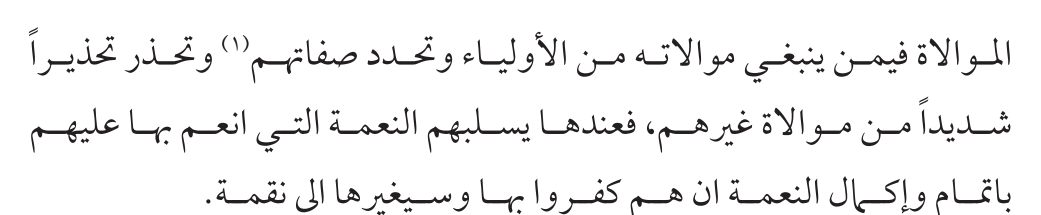
(١) المائدة: ١٧-١٨.

(٢) البستاني، التفسير البنائي: ١/ ٣٨١.

(٣) المائدة: ١٩.






الموالاة فيمن ينبغي موالاته من الأولياء وتحدد صفاتهم[1] وتحذر تحذيراً شديداً من موالاة غيرهم، فعندها يسلبهم النعمة التي انعم بها عليهم باتمام وإكمال النعمة ان هم كفروا بها وسيغيرها الى نقمة.

ويأتي التحذير في قوله: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ * قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[2] (اذ ان لآيات الولاية في القرآن ارتباط تام بما في آية الولاية في سورة المائدة من التحذير والابعاد ولم يحذر الله العباد عن نفسه في كتابه الا في باب الولاية)[3].

تستمر آيات السورة ومقاطعها في الحديث عن العهود والمواثيق فترتبط هذه الآية بآية أخرى ومقطع آخر يتصل بها تاريخاً وموضوعاً فالآية يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ[4] وهذه الآية

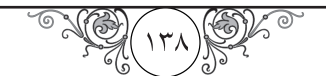
---

(١) ظ: البستاني، التفسير البنائي: ١/ ٣٨٩.

(٢) آل عمران: ٢٨ – ٣٠.

(٣) الطباطبائي، الميزان: ٥/ ١٨٢.

(٤) المائدة: ٦٧.



نزلـت وحدهـا منفـردة[1].

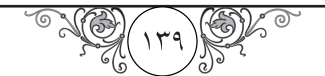
تشـير الروايـات مـن طـرق الفريقـين انهـا نزلـت في أمـر ولايـة عـلي عليـه السـلام[2] وان الله امـر النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بالتبليـغ فـكان يخـاف ان يتهمـوه في محابـاة ابـن عمـه او بـما يفسـد بـه الدعـوة فسـاداً لا تنجـح معـه ابـداً حتـى نزلـت الآيـة فبلغهـا في غديـر خـم وقـال فيـه (مـن كنـت مـولاه فهـذا عـلي مـولاه).

حـاول بعـض المفسريـن صرف الآيـة الى انهـا نازلـة في بدايـة البعثـة وهـذا الأمـر لا يتناسـب مـع قولـه تعـالى ففـي الآيـة نفسـها يكشـف ان قومـاً كافريـن كانـوا يهمـون بمخالفـة هـذا الحكـم النـازل وسـيخالفونه مخالفـة شـديدة وسـيدبرون المكائـد مـا اسـتطاعوا لابطالـه وقـد وعـد الله رسـوله بـان يعصمـه مـن كيدهـم ويبطـل مكرهـم وهـذا يتنـافى مـع الـرأي القائـل ان الآيـة نازلـة في معـارف وأحـكام الإسـلام الاخـرى وليـس في الولايـة خاصـة (فليـس اسـتلزام عـدم تبليـغ هـذا الحكـم لعـدم تبليغـه غـيره مـن الأحـكام الا لمـكان أهميتـه ووقوعـه مـن الأحـكام في موقـع لـو اهمـل امـره كان ذلـك في الحقيقـة اهمـالاً لأمـر سـائر الأحـكام وصيرورتهـا كالجسـد العـادم للـروح التـي بهـا الحيـاة الباقيـة والحـس والحركـة)[3] وهـو الأمـر الـذي كان مترقبـاً ان

(١) الطلاطبائي، الميزان: ٦/ ٤٣.

(٢) ظ: الطبري، جامع البيان: ٤/ ٦٢٨ح ١٢٢١٥، ابن كثير، التفسير: ٢/ ٧١، السيوطي، الدر المنثور: ٣/ ٩٨.

(٣) الميزان: ٦/ ٤٦.



يخالفه الناس وينقلبوا عليه وهو ما كان يخشاه النبي صلى الله عليه وآله ان تنهدم اركان الدين وتتلاشى اجزاؤه. فكان يؤخر تبليغه الى حين ان يجد ظرفاً مناسباً فامره الله بالتبليغ العاجل ووعده ان يعصمه من الناس ويبطل كيدهم، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: أمر الله نبيه محمداً أن ينصب علياً علماً في الناس ليخبرهم بولايته فتخوف الرسول... عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: أمر الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) ان ينصب علياً في الناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقولوا: حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، قال: فأوحى الله إليه هذه الآية: ﱡ بر ▯▯▯▯ تر ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ﱠ فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)... بولايته يوم غدير خم[1].

اما الآيات الاخيرة في خاتمة السورة فهي تنطبق تماماً على الغرض الذي تهدف إليه والذي هو (بيان الحق المجعول لله على العباد ان يفوا بالعهد الذي عقدوه وان لا ينقضوا الميثاق فليس لهم ان يسترسلوا كيفما ارادوا)[2].

فبعد ان عرضت السورة لقصة عيسى بن مريم والحواريين اختتمت بالآيات الاربع وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ

(١) العياشي، التفسير: ١/ ٣٦١ ح ١٥٥، وظ: الطباطبائي، الميزان: ٦/ ٥٤.
(٢) الطباطبائي، الميزان: ٦/ ٢٤١.



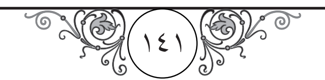
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

تتناول هذه الآيات قضية نقض النصارى لعهودهم واتخاذهم عيسى بن مريم إلهاً متعرضة لسلوكهم واقامة للحجة عليهم بسؤاله، وهي تنطبق تماماً مع الغرض الذي تهدف إليه السورة وهو ضرورة الالتزام بالعهد المعهود والميثاق المأخوذ لله على عباده فهو الملك المطلق وهم عباده ولا يملكون فيما أمرهم به أو نهاهم عنه إلَّا السمع والطاعة وليس لهم فيما اخذ عليهم من عهود ومواثيق إلَّا أن يفوا بها.

فقضية الالتزام بالعهود والمواثيق تتسلل في كل آية أو مقطع أو قصة في السورة مما ينبئ عن ارتباط اجزائها بحبل متين من الوشائج على الرغم من تعدد الموضوعات وتنوع القصص واختلاف نزولها ونهت عن اتباع سنن السابقين في نقضهم العهود وتحذير المسلمين مما سيحل بهم من سلب النعمة إن هم نقضوا عهودهم لا سيما العهد المعهود والميثاق المأخوذ يوم الغدير بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) المائدة: ١١٦ – ١٢٠.





المصادر:

القرآن الكريم

١ - الأربلي، علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة، تقديم جعفر السبحاني، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٥م.

٢ - الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، تح: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم - إيران، ط ١، ١٩٩٥ م.

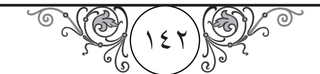
٣ - البروسوي، اسماعيل حقي (ت١١٣٧هـ) روح البيان، تع: احمد عز وعناية، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١ م.

٤ - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ) سنن الترمذي أو الجامع الصحيح، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م.

٥ - ابن الجوزي، فنون الافنان في عيون علوم القرآن

٦ - أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ) البحر المحيط، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧ م.

٧ - الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٧ م.



٨ - الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٤هـ) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤ م.

٩ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ) الاتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٣ م.

١٠ - السيوطي (نفسه) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تصحيح: نجيب نجيب، دار احياء التراث، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.

١١ - الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٤، ٢٠٠٥ م.

١٢ - الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

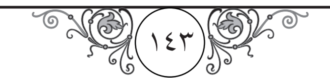
١٣ - الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) التبيان في تفسير القرآن، تقديم: أغا بزرك الطهراني، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٨م.

١٤ - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

١٥ - عبد الله شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم.

١٦ - العياشي، محمد بن مسعود (ت ق ٤ هـ) تفسير العياشي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران - ايران، ط ١، ١٩٨٩ م.

١٧ - ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم،



دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م.

١٨ – الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٨هـ) الكافي، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م.

١٩ – محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢هـ.

٢٠ – محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار، خرج أحاديثه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

٢١ – محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، منشورات ذوي القربى، قم – ايران، ط ٢، ١٩٨٨ م.

٢٢ – محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة التمهيد، قم – إيران، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٢٣ – محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد – ايران، ط ١، ١٣٨١ هـ.

٢٤ – المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة آل البيت لحقيق التراث، قم – ايران، ط ٢، ١٩٩٣ م.

٢٥ – أبو نعيم الأصبهاني، ما نزل من القرآن في علي

٢٦ – الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ) أسباب النزول، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٩٩٤ م.

دلالة لفظ (المولى) على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفاسير أهل السنة والجماعة

م. د. كريم حمزة حميدي

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مَنْ خصَّه اللهُ بالقرآن العظيم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد..

فقد كانت حادثةُ الغدير مفصليَّةً في التاريخ الإسلاميّ؛ لأنَّها جاءت في نهاية رسالةٍ سماويَّة، خصَّها البارئ عزَّ وجلَّ بكتابٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وخصَّها بنبيٍّ ليس كمثله من البشر، من الصفات الكمالية والخلقية، فقال تعالى بحقِّه: (وَمَا ينطِقُ عنِ الهوَى) [سورة النجم/ ٣]، فكان من اللائق أن يخصَّها أيضًا بإمامٍ معصومٍ، يتحلّى بشمائل وصفات متناغمة مع ما ذُكِر آنفًا. وهو ما حصل بالفعل في يوم غدير خم؛ إذ كان الموعدُ مناسبًا، لكي يُعلن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن بيعته لوصيِّه وخليفته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ومن المصاديق المهمَّة لتلك البيعة النَّص القرآني؛ ذلك أنَّنا نجدُ نصوصًا قرآنيَّةً متعدّدة، أشارت إلى تلك البيعة، وخصَّت فارسها، (المولى)

كما عبَّر عنه رسولنا الكريم. وليس خفيٌّ ما تعرَّضت له تلك البيعة من خذلان، وتشكيك، وتغييب. ولكن الله شاء أن تبقى تلك اللحظات خالدة في نفوس الموالين، وفي مدوّنات التاريخ المنصفة. من هنا جاءت فكرة هذا البحث لمعرفة دلالة لفظ (المولى) وما يُرادفها من ألفاظ، على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفاسير أهل السنَّة والجماعة؛ إذ حفلت تلك التفاسير مشاهد مهمَّة في تاريخ بيعة الغدير وحوادثها. وإنْ حاول بعضهم التشكيك، والتأويل، من أجل إبعاد هذه المنقبة. غير أنَّنا بعد التوكّل على الله رَصَدنا ما يعالج فكرة البحث، بالرجوع إلى أُمّات التفاسير المتقدّمة والمتأخرة، فجاء البحث على مقدِّمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة مباحث، تتلوها خلاصة لأهم ما جاء في البحث.

أمَّا التمهيدُ، فقد تناولتُ فيه دلالة لفظ المولى في المعاجم اللغويَّة، وأمَّا المبحث الأوَّل، فقد جاء بعنوان: «معاني (المولى) ودلالتها على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)»؛ تناولتُ فيه معاني مختلفة للفظ (المولى) وما يُشتق منه، أو يقاربُه في الدلالة، ممَّا يُعطي دلالات مختلفة على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام). في حين خصصتُ المبحث الثاني بآية الولاية ودلالتها على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفاسير أهل السنة والجماعة، وقد انفردت في هذا المبحث؛ لأنَّها من أكثر الآيات دلالة وقربًا من حادثة الغدير. وأمَّا المبحث الثالث والأخير، فقد جاء بعنوان: «آيات أخرى تعرَّض فيها المفسرون إلى معنى (المولى)». وقد اخترنا ثلاث آيات تضمنت الإشارة إلى دلالة هذه اللفظة، وإلى موضوعها الأهم بيعة

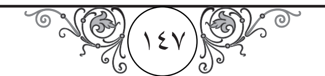
الغديـر.

وفي الختـام لا يسـعني إلّا أن أُقـدِّم هـذا الجهـد إلى سـيّدي ومـولاي، ومـولى المسـلمين جميعًـا، أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)، راجيًـا شـفاعته يـوم الـورود، والله وليّ التوفيـق.

التمهيد: دلالة لفظ المولى في المعاجم اللغويَّة

تُطالعنـا لفظـة (المـولى) في أوّل معجـم في المـوروث اللغـويّ، وهـو معجـم العـين، في مـادة (ولي)، حيـث يقـول الخليـل - رحمـه الله تعـالى -: «ولي: الوَلاية: مصـدرُ المُـوالاة، والوِلايـة مصـدر الـوالي. والـولاء: مصـدر المَـوْلى. والمـوالي: بنـو العـمّ. والمَـوالي مـن أهـل بيـتِ النّبـيّ صـلى الله عليـه وآلـه وسـلّم مـن يحـرم عليـه الصّدقـة. والمَـوْلَى: المعتـق والحليـف والـوليّ. والـوليّ: وليّ النِّعـم. والمـوالاة: اتّخـاذُ المـولى، والمـوالاة أيضـا: أن يُـواليَ بـين رَمْيَتَـيْن أو فعلـين في الأشـياء كلّهـا. وتقـول: أصبتـه بثلاثـة أسـهم ولاء. و[تقـول]: عـلى الـولاء، أي: الـشّيء بَعـدَ الـشَّيء. والـوليُّ: المطـر الـذي يكـون بعـد الوسـميّ، [يقـال]: وُلِيَـتِ الأَرْضُ وَلْيـاً فهـي مَوْلِيّـة، وقـد ولاهـا المطـر والغيـث»[1]. يقـولُ ابـن فـارس في مـادة (ولي): «وَمِـنَ الْبَـابِ الْمَـوْلَى: الْمُعْتِـقُ وَالْمُعْتَـقُ، وَالصَّاحِـبُ، وَالْحَلِيـفُ، وَابْـنُ الْعَـمِّ، وَالنَّـاصِرُ، وَالْجَـارُ، كُلُّ هَـؤُلَاءِ مِـنَ الْـوَلْيِ وَهُـوَ الْقُـرْبُ. وَكُلُّ مَـنْ وَلِيَ أَمْـرَ آخَـرَ فَهُـوَ وَلِيُّـهُ. وَفُـلَانٌ أَوْلَى بِكَـذَا، [أَيْ أَحْـرَى

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط) (د. ت): ٨/ ٣٦٥.



بِـهِ وَأَجْـدَرُ... وَالْـوَلَاءُ: المُوَالُـونَ. يُقَـالُ هَـؤُلَاءِ وَلَاءُ فُـلَانٍ. وَالْـوَلَاءُ أَيْضًـا: وَلَاءُ المُعْتَقِ، وَهُـوَ أَنْ يَكُـونَ وَلَاؤُهُ لِمُعْتِقِـهِ، كَأَنَّـهُ يَكُـونُ أَوْلَى بِـهِ فِي الْإِرْثِ مِـنْ غَـيْرِهِ إِذَا لَمْ يَكُـنْ لِلْمُعْتِـقِ وَارِثُ نَسَـبٍ»[1]. وقـال ابـن الأثـير: «وَقَـدْ تَكَـرَّرَ ذِكْرُ «المَـوْلَى» فِي الْحَدِيـثِ، وَهُـوَ اسْـمٌ يقَـع عَـلَى جَماعـةٍ كَثـيرَة، فَهُـوَ الـرَّبُّ، والمَالكُ، والسَّـيِّد، والمُنعِـم، والمُعْتِـقُ، والنَّـاصر، والمُحِـبّ، والتَّابِـع، والجـارُ، وابـنُ العَمّ، والحَلِيـفُ، والعَقِيـد، والصِّهْـر، والعبْـد، والمُعْتَـقُ، والمُنْعَـم عَلَيـه. وأكْثرهـا قَـدْ جَـاءَتْ فِي الْحَدِيـثِ، فَيُضـاف كُلّ واحِـدٍ إِلَى مَـا يَقْتَضيـه الحديـثُ الـوَارِدُ فِيـهِ. وكُلُّ مَـن وَلِيَ أمْـراً أَوْ قَـامَ بِـهِ فَهُـو مَـوْلاهُ وَوَلِيُّـه. وَقَـدْ تَخْتَلِـف مَصـادرُ هَـذِهِ الأَسْـماء. فَالْوَلَايَـةُ بالفَتْـح، فِي النَّسَـب والنُّصْرة والمُعْتِـق. والْوِلَايَـةُ بالكسْر، فِي الإمَـارة. والـوَلاءُ، المُعْتَـق والمُـوَالاةُ مِـن وَالَى القَـوْمَ»[2].

لقـد تعـدَّدت المعـاني التـي يحملهـا لفـظ (المـولى)، حتـى عُـدَّ مـن (المشـترك اللفظـيّ)، فهـو يـأتي بمعنـى: ابـن العـم، والنـاصر، والحليـف، والأَوْلى بالأمـر، والمُحـب، والجـار، وغيرهـا مـن المعـاني المذكـورة آنفًـا، وفي هـذا البحـث لا يهمّنـا سـوى المعنـى الـذي يـدلُّ عـلى ولايـة أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)، سـواء أكان صريحًـا، أم غـير صريـح. وهـذا لا يعنـي أنَّ البحـث سـيُعنى بألفـاظ

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٦/ ١٤١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٥/ ٢٢٨.

(المـولى) جميعًـا، لأنَّ بعضهـا قـد لا يعنـي الوِلايـة، أو المتـولّي للأمور، والمسـتحق للتـصرّف فيهـا.

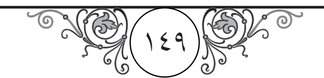
وممَّـا يجـدرُ ذكـره أنَّ المعـاني التـي تتولّـد مـن الجـذر (ولي) - وتحمـل معنـى الوِلايـة، أو التـولّي للأمـور - كثـيرةٌ، فقـد تـأتي مـن ألفـاظ: (المـولى، الأَوْلى، وأولي الأمـر، والـولي). مـن هنـا سـنعالج دلالـة (المـولى) عـلى ولايـة أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) في الآيـات القرآنيـة، التـي يتعـرَّض فيهـا مفسرو أهـل السـنة والجماعـة لهـذا الموضـوع.

المبحث الأول: معاني (المولى) ودلالتها على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

سـنتناول في هـذا المبحـث معـاني مختلفـة للفـظ (المـولى) ومـا يُشـتق منـه، أو يقاربُـه في الدلالـة، ممَّـا يُعطـي دلالات مختلفـة عـلى ولايـة أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)، ومنهـا مجـيء المـولى بمعنـى الأَوْلى، أو الـولي، أو النـاصر، فعالجـت هـذه المعـاني حادثـة الغديـر في تفاسـير أهـل السـنة والجماعـة. وقـد اقتصرنـا في هـذا المبحـث عـلى آيـاتٍ محـدودة؛ وذلـك لأنَّهـا كانـت سـببًا في معالجـة المفسريـن لدلالـة المـولى، بمعناهـا الـدال عـلى ولايـة أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) دون غـيره مـن المعـاني، وهـذه المعـاني هـي:

أوّلًا: دلالـة المـولى في قولـه تعـالى: ﴿مَأْوَاكُـمُ النَّـارُ هِـيَ مَوْلاكُـمْ وَبِئْـسَ الْمَصِـيرُ﴾

وجـاء ذلـك في قولـه تعـالى: ﴿مَأْوَاكُـمُ النَّـارُ هِـيَ مَوْلاكُـمْ وَبِئْـسَ الْمَصِـيرُ﴾ [سـورة الحديـد/ مـن الآيـة ١٥]؛ إذ ذهـب المفسرون إلى أنَّ معنـى قولـه: (هـي



مولاكم) في الآية، أي: النار أولى بكم[1]. وعجيبٌ أمرُ المفسرين؛ فهم قد أجمعوا على أنَّ (مولاكم) هنا بمعنى الأولى بكم. وأنكروا ذلك في معاني (المولى) جميعها الواردة في القرآن الكريم؛ لأنَّها تؤكِّد أولويَّة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخلافة كما سيتبيَّن لنا.

لذلك حاول الرّازي تأويل هذا التفسير، بقوله: «وفي لفظ المولى هاهنا أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَوْلاكُمْ أَيْ مَصِيرُكُمْ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ الْمُوْلَى مَوْضِعُ الْوَلْيِ، وَهُوَ الْقُرْبُ، فَالْمَعْنَى أَنَّ النَّارَ هِيَ مَوْضِعُكُمُ الَّذِي تَقْرُبُونَ مِنْهُ وَتَصِلُونَ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ، وَهُوَ قَوْلُ الزَّجَّاجِ وَالْفِرَّاءِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ معنى وليس بتفسير للفظ، لأن لَوْ كَانَ مَوْلًى وَأَوْلَى بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي اللُّغَةِ، لَصَحَّ اسْتِعْمَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَكَانِ الْآخَرِ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: هَذَا مَوْلَى مِنْ فُلَانٍ كَمَا يُقَالُ: هَذَا أَوْلَى مِنْ فُلَانٍ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: هَذَا أَوْلَى فُلَانٍ كَمَا يُقَالُ: هَذَا مَوْلَى فُلَانٍ، وَلَمَّا بَطَلَ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي قَالُوهُ مَعْنًى وَلَيْسَ بِتَفْسِيرٍ، وَإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَى هَذِهِ الدَّقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّرِيفَ الْمُرْتَضَى لَمَّا تَمَسَّكَ بِإِمَامَةِ عَلِيٍّ،

(١) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٣/ ١٨٧. ومعاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ٥/ ١٢٥. وبحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، دار الكتب العلميَّة/ ١٩٩٣م، (د. ط): ٣/ ٤٠٥.

بِقَوْلِـهِ/ عَلَيْـهِ السَّـلَامُ: «مَـنْ كُنْـتُ مَـوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَـوْلَاهُ»

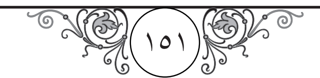
قَـالَ: أَحَـدُ مَعَـانِي مَـوْلَى أَنَّـهُ أَوْلَى، وَاحْتَـجَّ فِي ذَلِـكَ بِأَقْـوَالِ أَئِمَّـةِ اللُّغَـةِ فِي تَفْسِـيرِ هَـذِهِ الْآيَـةِ، بِـأَنَّ مَـوْلَى مَعْنَـاهُ أَوْلَى، وَإِذَا ثَبَـتَ أَنَّ اللَّفْـظَ مُحْتَمِـلٌ لَـهُ وَجَـبَ حَمْلُـهُ عَلَيْـهِ، لِأَنَّ مَـا عَـدَاهُ إِمَّـا بَـيْنَ الثُّبُـوتِ، كَكَوْنِـهِ ابْـنَ الْعَـمِّ وَالنَّـاصِرَ، أَوْ بَـيْنَ الِانْتِفَـاءِ، كَالْمُعْتِـقِ وَالْمُعْتَـقِ، فَيَكُـونُ عَـلَى التَّقْدِيـرِ الْأَوَّلِ عَبَثًـا، وَعَـلَى التَّقْدِيـرِ الثَّـانِي كَذِبًـا، وَأَمَّـا نَحْـنُ فَقَـدْ بَيَّنَّـا بِالدَّلِيـلِ أَنَّ قَـوْلَ هَـؤُلَاءِ فِي هَـذَا الْمَوْضِـعِ مَعْنًـى لَا تَفْسِـيرٌ، وَحِينَئِـذٍ يَسْـقُطُ الِاسْـتِدْلَالُ بِـهِ، وَفِي الْآيَـةِ وَجْـهٌ آخَـرُ: وَهُـوَ أَنَّ مَعْنَـى قَوْلِـهِ: هِـيَ مَوْلَاكُـمْ أَيْ لَا مَـوْلَى لَكُـمْ، وَذَلِـكَ لِأَنَّ مَـنْ كَانَـتِ النَّـارُ مَـوْلَاهُ فَـلَا مَـوْلَى لَـهُ، كَـمَا يُقَـالُ: نَـاصِرُهُ الْخِذْلَانُ وَمُعِينُـهُ الْبُـكَاءُ، أَيْ لَا نَـاصِرَ لَـهُ وَلَا مُعِـينَ، وَهَـذَا الْوَجْـهُ مُتَأَكِّـدٌ بِقَوْلِـهِ تَعَـالَى: (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَـوْلَى لَهُـمْ) [مُحَمَّـدٍ: ١١]»[١].

وفي تحليل هذا القول أمور عدَّة، منها:

- إجماعُ المفسريـن عـلى أنَّ (مولاكـم) في الآيـة بمعنـى (أولى بكـم). ويؤيِّـدُ ذلـك مـا ذهـب إليـه اللغويـون[٢]، قـال الصاحـب بـن عبـاد: «وتكـونُ بمَعْنـى

(١) مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٢٠هـ: ٢٩/ ٤٥٩.

(٢) ينظر التقفية في اللغة، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (ت٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية – وزارة الأوقاف – إحياء التراث الإسلامي – مطبعة العاني – بغداد/ ١٩٧٦ م: ١١٥. و المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)، المحقق: محمد



الأُوْلى؛ كقَوْلِـه عَـزَّ ذِكْـرُه: « هِـيَ مَوْلاَكُـم « أي هـيَ أَوْلى بكـم»[1].

- واضـح أنَّ تأويلـه قـد جـاء معارضـةً لـرأي الشريـف المرتـضى؛ لكونـه قـد استدلَّ بهـذا المعنـى عـلى ولايـة أمـير المؤمنين (عليـه السلام)، فهـو بذلـك يعـترف بعدائِـهِ لآل البيـت (عليهـم السـلام). ولا سـيَّما الآيـات المرتبطـة بالولايـة؛ لأنَّهـا مـن صميـم معتقـد الشـيعة الإماميَّـة.

- استـدلَّ عـلى أنَّ معنـى (مولاكـم) هـو (لا مـولى لكـم) كـما جـاء في قولـه تعـالى: (وَأَنَّ الْكافِرِيـنَ لَا مَـوْلى لَهُـمْ) [مُحَمَّـدٍ: ١١]. ولكنَّـه يعـترضُ عـلى الشريـف المرتـضى اسـتدلاله بآيـة (هـي مولاكـم) عـلى أنَّهـا بمعنـى (أولى بكـم)؛ لتعضيـد حديـث: ((مَـنْ كُنْـتُ مَـوْلَاهُ فَعَـلِيٌّ مَـوْلَاهُ)).

وبذلـك يتبـيَّن لنـا ضعـف مـا ذهـب إليـه الـرّازي في تفسـيره؛ لأنَّـه جـاء لغايـة واحـدة، وهـي تضعيـف اسـتدلال الشريـف المرتـضى.

ثانيًـا: دلالـة لفـظ المـولى في قولـه تعـالى: (ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللهَّ مَـوْلَى الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَأَنَّ الْكَافِرِيـنَ لَا مَـوْلَى لَهُـمْ)

ذكـر أكثـرُ المفسريـن أنَّ معنـى (المـولى) في الآيـة أعـلاه بمعنـى (الـولي)، قـال الطـبريّ: « في قولـه (ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللهَّ مَـوْلَى الَّذِيـنَ آمَنُـوا) [سـورة محمـد/ مـن الآيـة ١١] قـال: وليهـم. وقـد ذُكـر لنـا أن ذلـك في قـراءة عبـد الله (ذلـك بـأنَّ الله وليُّ الَّذِيـنَ آمَنُـوا)، وأنَّ التـي في المائـدة التـي هـي في مصاحفنـا (إِنَّـمَا

حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٩٩٤م: ٢/ ٤٦٨.

(١) المحيط في اللغة: ٢/ ٤٦٨.

وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ) (إِنَّمَا مَوْلاكُمْ اللهُ) في قراءته. وقوله (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ) يقول: وبأن الكافرين بالله لا وليّ لهم، ولا ناصر»[1]. وتابعه أكثر المفسرين[2]. ويفسّرُ الرّازيّ (ت٦٠٦هـ) معنى الوليّ بقوله: «الْوَلِيُّ هُوَ الْقَرِيبُ فِي اللُّغَةِ فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ قَرِيبًا مِنْ حَضْرَةِ اللهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ طَاعَاتِهِ وَكَثْرَةِ إِخْلَاصِهِ وَكَانَ الرَّبُّ قَرِيبًا مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ فَهُنَاكَ حَصَلَتِ الْوِلَايَةُ»[3].

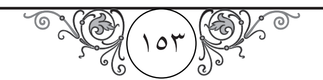
غير أنَّ بعض المفسرين أشار إلى أنَّ معنى المولى هو الناصر، ومن ثمَّ يتأكَّد هذا المعنى في نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال مكي بن أبي طالب القيسي: «قال ابن عباس: المولى الناصر وأكثر المفسرين على أن المولى هنا: الولي، والمعنى واحد، وعلى هذا يتناول قول النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ((من كنت مولاه فعلي مولاه أي: من كنت وليه

---

(١) جامع البيان: ٢٢/ ١٦٣.

(٢) ينظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م: ٤/ ١٢٢. ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١/ ١٤٢٠ هـ: ٤/ ٢١١. والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٠٧هـ: ٤/ ٣١٩.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٣١.



وناصره فعلي وليه وناصره)). وقيل معناه: من كان يتولّاني وينصرني فهو يتولّى [علياً] وينصره»[1]. والمعنى الأخير يؤكّد ولاية ونصرة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للإمام عليّ (عليه السلام)، وهذا إقرارٌ من القيسيّ بهذا المعنى، وإلّا فإنَّ بعض المفسرين قد ذكر أنَّ المولى هنا بمعنى الناصر، ولكن من دون الإشارة إلى حديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومنهم عبد الكريم القشيريّ (ت٤٦٥ه)[2].

ومن المعاني التي ذُكرت في معنى (المولى) في هذه الآية هو (المُحبّ)، قال القشيريّ: «أو المولى من الموالاة وهي ضد المعاداة، فيكون بمعنى المحب فهو مولى الذين آمنوا أي محبّهم، وأما الكافرون فلا يحبهم الله»[3].

وقد أشار الشافعيّ إلى أنَّ المولى بمعنى الوليّ، وأقرَّ أنَّها بحق أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك في الخبر المنقول عنه، ونصّه: «أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب قال: حدثنا

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ١١/ ٦٨٩٣.

(٢) ينظر لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣، (د. ت): ٣/ ٤٠٦.

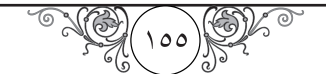
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

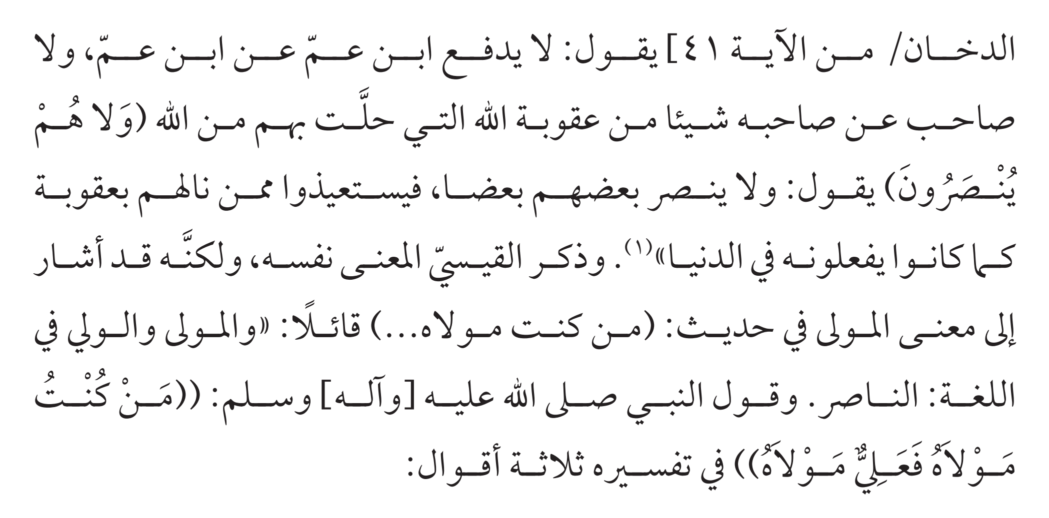
العباس بن يوسف الشكلي قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشَّافِعِي يقول في معنى قول النبي - صلى الله عليه [وآله] وسلم -، لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» الحديث. يعني بذلك ولاء الإسلام، وذلك قول اللهَّ تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) [سورة محمد/ الآية ١١]. وأما قول عمر بن الخطاب لعلي رضي الله عنهما: «أصبحت مولى كل مؤمن» الحديث. يقول: ولي كل مسلم»[1]. إنَّ تفسير الشافعيّ (المولى) بـ(ولاء الإسلام) هي محاولة لإبعاد المعنى القيادي الذي يكتنزه حديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)، كما أنَّ شرحه حديث عمر: (أصبحت مولى كل مؤمن) بمعنى (ولي كلّ مسلم)، يدلُّ من حيث الظاهر على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا سيَّما أنَّ الحديث جاء بعد بيعة الغدير بلحظات، ولكنَّه من حيث الباطن يدلُّ على معنى الولاية في الإسلام فقط، وليس قيادة الأمَّة كما أراد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعُمر نفسه.

ثالثًا: دلالة لفظ المولى في قوله تعالى: (يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً)

قال الطبريّ: «وقوله (يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا) [سورة

(١) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م: ٣/ ١٢٥٧.





الدخان/ من الآية ٤١] يقول: لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئا من عقوبة الله التي حلَّت بهم من الله (وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) يقول: ولا ينصر بعضهم بعضا، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا»[1]. وذكر القيسيّ المعنى نفسه، ولكنَّه قد أشار إلى معنى المولى في حديث: (من كنت مولاه...) قائلًا: «والمولى والولي في اللغة: الناصر. وقول النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: ((مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ)) في تفسيره ثلاثة أقوال:

- أحدهما: إن معناه: من كنت أتولاه فعلي يتولاه.

- والثاني: من كان (يتولاني، يتولاه) علي.

- والثالث: إنه كان قوله ذلك في سبب، وذلك أن أسامة بن زيد قال لعلي: لبست مولاي، إنما مولاي رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كنت مولاي فعلي مولاه))»[2].

إنَّ إشارةَ القيسيّ إلى حديث الرَّسول (صلّى الله عليه وآله) بشأن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ونصرته في هذه الآية مع إجماع المفسرين على أنَّ معنى قوله تعالى: (يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا): يوم لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئا، فيها دلالة واضحة على أنّ الرَّجلَ يعتقدُ بأنَّ الولي بحسب الفهم القرآني هو أمير المؤمنين

---

(١) جامع البيان: ٢٢/ ٤٢.

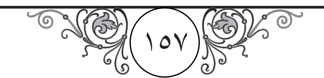
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٠/ ٦٧٤٨.

(عليه السلام).

رابعًا: دلالة لفظ (أولي الأمر) في قوله تعالى: (وأَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأمْرِ مِنْكم) على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

اتفق المفسرون من الموالين لآل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) أنَّ الآية: (وأَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأمْرِ مِنْكم) [سورة النساء/ من الآية ٥٩] نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام) ووُلده، جاء في تفسير العياشي: «عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم « قال: الأوصياء. وفي رواية أبي بصير عنه قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام قلت له: إن الناس يقولون لنا فما منعه ان يسمى عليا وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام قولوا لهم: ان الله انزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلثا ولا أربعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك وانزل الحج فلم ينزل طوفوا أسبوعا حتى فسر ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنزل (وأَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأمْرِ مِنْكم)، فنزلت في علي والحسن والحسين»[1].

(١) تفسير العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، المعروف بالعياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، (د. ط) (د. ت): ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧. وينظر تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط١/ ١٩٩٠م: ١٠٧ - ١٠٨.





أمَّا مفسرو أهل السنة والجماعة، فقد تعدَّدت تأويلاتهم في الآية المذكورة في أعلاه: فقالوا إنَّ (أولي الأمر) هم: السلاطين، أو العلماء، أو الأمراء، أو هم أهل العلم والفقه، أو هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، أو هم أبو بكر وعمر[1]. غير أنَّ بعضهم قد أشار إلى مقصود الآية كما نقله مفسرونا، ولكن من دون الإقرار بها، حتى لو ورد هذا التفسير عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؟.

ومن المفسرين الذين أشاروا إلى أنَّ (أولي الأمر) هم الأئمة المعصومون، هو الفخرُ الرّازي، وإن حاول تفنيد هذا الرأي، يقول بعد أن ذكر المعاني المحتملة للفظة: «وَرَابِعُهَا: نُقِلَ عَنِ الرَّوَافِضِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْأَئِمَّةُ الْمَعْصُومُونَ، وَلَمَّا كَانَتْ أَقْوَالُ الْأُمَّةِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَحْصُورَةً فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَكَانَ الْقَوْلُ الَّذِي نَصَرْتُمُوهُ خَارِجًا عَنْهَا كَانَ ذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ بَاطِلًا»[2]. وقال في موضعٍ آخر: «وَأَمَّا حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى الْأَئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَى مَا تَقُولُهُ الرَّوَافِضُ فَفِي غَايَةِ الْبُعْدِ لِوُجُوهٍ»[3]. وليس قوله هذا بمقبولٍ بعد أن تبيَّن لنا توافق معنى (أولي الأمر) مع أهل البيت (عليهم السلام)، فضلًا عن توافقه مع ما اشترطه الفخر الرازي نفسه بأنَّ أولي الأمر يجب أن يكونوا من المعصومين، وقد ثبت بالتواتر عصمتهم (عليهم

(١) ينظر جامع البيان: ٨/ ٤٩١ – ٥٠٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٠/ ١١٣.

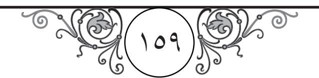
(٣) مفاتيح الغيب: ١٠/ ١١٤.



السلام) كما سيتبين.

وقد اشترط الفخر الرازي أن يكون وليّ الأمر معصومًا، قائلًا: «إنَّ اللهَّ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَمَنْ أَمَرَ اللهَّ بِطَاعَتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَأِ... فَثَبَتَ قَطْعًا أَنَّ أُولِي الْأَمْرِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا، ثُمَّ نَقُولُ: ذَلِكَ الْمَعْصُومُ إِمَّا مَجْمُوعُ الْأُمَّةِ أَوْ بَعْضُ الْأُمَّةِ، لَا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ الْأُمَّةِ، لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ اللهَّ تَعَالَى أَوْجَبَ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَطْعًا، وَإِيجَابُ طَاعَتِهِمْ قَطْعًا مَشْرُوطٌ بِكَوْنِنَا عَارِفِينَ بِهِمْ قَادِرِينَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، عَاجِزُونَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، عَاجِزُونَ عَنِ اسْتِفَادَةِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مِنْهُمْ»(١). ولأنَّ مفهوم (أولي الأمر) يشترط فيه العصمة كما يرى الرازي، فهذا يعني أنَّها لا تخرج عن دائرة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا سيَّما أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهم مَن قال بحقّهم الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) - كما ينقل ابن شهر آشوب عن أنس -: «الأئمة بعدي من عترتي، فقيل: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ فقال: عدد نقباء بني إسرائيل. فاطمة (ع) سألت أبيها عن قول الله تعالى (وعلى الأعرافِ رجالٌ) [سورة الأعراف/ من الآية ٤٦] قال: هم الأئمة بعد علي، وسبطاي، وتسعة من صلب الحسين، فهم رجال الأعراف لا يدخل الجنة إلّا من يعرفهم ويعرفونه

(١) مفاتيح الغيب: ١٠/ ١١٣.



ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وينكرونه لا يعرف الله تعالى إلا على سبيل معرفتهم»[1]. وبعد هذا لا يمكننا أن نبعد أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) عن دائرة (أولي الأمر)؛ لأنَّهم معصومون. وإذا كان الفخر الرازي يقول: (إِنَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ)، فكيف يعتقد أنَّها نزلت بحق أبي بكر وعمر؟! ثم إنَّه وقف وقفة طويلة في اعتقاد الشيعة بأنَّها نزلت بحق أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام)، وحاول تفنيد الأدلَّة التي استدلّوا بها. في المقابل لا نجده معترضًا إزاء ما اعتقده الآخرون من أنَّها نزلت بحق الخليفة الأول والثاني!. كلُّ ذلك لا يدع مجالًا للشك في أنَّ الفخر الرازي نصب العداء لأهل البيت (عليهم السلام) ولمن والاهم.

وممَّا يُلاحظُ في كلام الفخر الرازي ذكره أنَّ (أولي الأمر) هم أهل البيت (عليهم السلام) عند الشيعة الإماميَّة في هذه الآية، من دون أن يُحدّد أمير المؤمنين بها. ويبدو لي أنَّ عدم ذكره (عليه السلام) في تفسيره للآية؛ لأنَّ ذكره (عليه السلام) سيكون تمهيدًا لاعترافه بآية الولاية المذكورة آنفًا، ولا سيَّما بعد تقارب الدلالة بين (أولي الأمر)، و(الوليّ) في معنى إدارة الأمَّة. مع الأخذ بنظر الاعتبار محاولة الفخر الرازي وإصراره الكبير على نفي آية الولاية عنه (عليه السلام).

وممَّن أشار إلى أنَّ معنى (أولي الأمر) هم أهلُ البيت (عليهم السلام)،

---

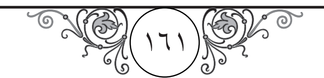
(١) مناقب آل أبي طالب، رشيد الدين، أبو عبد الله، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ط١/ ١٩٥٦م: ١/ ٢٥٤.

وبالتحديد أمير المؤمنين (عليه السلام) أبو حيَّان النَّحويّ: «وَقِيلَ: الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَقَالَ جَابِرٌ، وَالْحَسَنُ، وَعَطَاءٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٌ أَيْضًا: الْعُلَمَاءُ، وَاخْتَارَهُ مَالِكٌ. وَقَالَ مَيْمُونٌ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ، أُمَرَاءُ السَّرَايَا، أَوِ الْأَئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ قَالَهُ: الشِّيعَةُ. أَوْ عَلِيٌّ وَحْدَهُ قَالُوهُ أَيْضًا»[1]. وهذا تطوّرٌ في فهم الآية القرآنيَّة بعد أن تعددت تأويلاتهم لأولي الأمر، وإن ذهب إلى ما ذهب إليه الفخر الرازي من رفض نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام). ولكن ما يُلاحظ في كلام أبي حيَّان أنَّه قد ذكر اسم أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسيرها بخلاف ما تقدَّمه من المفسرين الذين ذكروا أهل البيت (عليهم السلام) من دون تحديد.

المبحث الثاني: آية الولاية ودلالتها على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفاسير أهل السنة والجماعة

آية الولاية هي قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [سورة المائدة/ الآية ٥٥]. وهي من أكثر الآيات دلالة على ولاية أمير المؤمنين، تأكيدًا على ما جاء في خطبة الغدير، فكان لمفسري أهل السنة والجماعة وقفة كبيرة عندها، بين التأييد لموضوع الولاية، أو النفي والتشكيك، ويتفق معظم المفسرين

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت/ ١٤٢٠هـ: ٣/ ٦٨٦.





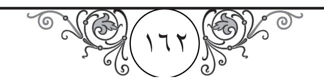
على أنَّ هذه الآية نزلت بحق عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأوّل ما يُطالعنا في ذلك مقاتل في تفسيره، قائلًا: «خرج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى باب المسجد، فإذا هُوَ بمسكين قَدْ خرج من المسجد وَهُوَ يَحْمَد اللهَّ عَزَّ وَجَلّ، فدعاه النَّبِيّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ له: هَلْ أعطاك أحد شيئًا؟ قَالَ: نعم يا نَبِيّ اللهَّ، قَالَ: من أعطاك؟ قَالَ الرَّجُل القائم أعطاني خاتمه، يعني عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رضوان اللهَّ عَلَيْه. فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى أَيّ حال أعطاكه؟ قَالَ: أعطاني وَهُوَ راكع، فكبر النَّبِيّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقَالَ: الحمد للهَّ الَّذِي خص عليا بهذه الكرامة. فأنزل اللهَّ عَزَّ وَجَلّ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)»[1]. وينقل الطبريّ جملة من الروايات التي تؤكِّد هذا المعنى، وهي[2]:

أ- رواية منقولة عن السّدي قال: ثم أخبرهم بمن يتولاهم فقال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)، هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرَّ به سائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتَمَه.

ب- روي عن هناد بن السري قال، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر قال: سألته عن هذه الآية: «إنما وليكم الله ورسوله والذين

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ: ٥/ ٢٤٧.

(٢) ينظر جامع البيان: ١٠/ ٤٢٥ - ٤٢٦.



آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»، قلت: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا! قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب! قال: عليٌّ من الذين آمنوا.

ت- روي عن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر عن قول الله: (إنما وليكم الله ورسوله)، وذكر نحو حديث هنّاد، عن عبدة.

ث- روي عن عتبة بن أبي حكيم في هذه الآية: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)، قال: علي بن أبي طالب.

ج- سُمع من مجاهد يقول في قوله: (إنما وليكم الله ورسوله)، الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدَّق وهو راكع.

هذه هي الروايات التي أكّدت أنَّ المعنيَّ بالآية هو أميرُ المؤمنين (عليه السلام)، قال ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤ه): «وَقد أجمع أهل التَّفْسِير على أَن الْمُرَاد بالذين يُقِيمُونَ الصَّلَاة وَيُؤْتونَ الزَّكَاة وهم رَاكِعُونَ عَليّ؛ إِذْ سَبَب نُزُولهَا أَنه سُئِلَ وَهُوَ رَاكِع، فَأعْطى خَاتمه»[1].

وحاولَ بعضهم تأويل الآية تأويلًا آخر، على النحو الآتي:

أ-قال بعض المفسرين أنّها نزلت في أبي بكر[2]. قال الرّازيّ: «أَنَّ الْمُرَادَ

---

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ١/ ١٠٤.

(٢) ينظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ، أبو إسحاق



مِـنْ هَـذِهِ الْآيَـةِ شَـخْصٌ مُعَـيَّنٌ، وَعَـلَى هَـذَا فَفِيـهِ أَقْـوَالٌ: الْأَوَّلُ: رَوَى عِكْرِمَـةُ أن هـذه الْآيَـةَ نَزَلَـتْ فِي أَبِي بَكْـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ. وَالثَّـانِي: رَوَى عَطَـاءٌ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ أَنَّهَـا نَزَلَـتْ فِي عَـلِيِّ بْـنِ أَبِي طَالِـبٍ عليـه السـلام»[1].

ب- قـال الطـبريّ: «وقيـل إن هـذه الآيـة نزلـت في عبـادة بـن الصامـت، في تبرُّئـه مـن ولايـة يهـود بنـي قينقـاع وحِلفهـم، إلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم والمؤمنـين»[2].

ت- نقـل ابـن أبي حاتـم روايـة عـن ابـن عبـاس قائـلًا: «حَدَّثَنَـا أَبِي ثنـا أَبُـو صَالِـحٍ كَاتِـبُ اللَّيْـثِ، حَدَّثَنَـا مُعَاوِيَـةُ بْـنُ صَالِـحٍ عَـنْ عَـلِيِّ بْـنِ أَبِي طَلْحَـةَ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ قَوْلَـهُ: إِنَّـمَا وَلِيُّكُـمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا يَعْنِـي: إِنَّـهُ مَـنْ أَسْـلَمَ تَـوَلاهُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا»[3].

ث-قـال الواحـديُّ: «والآيـة عامـة في جميـع المؤمنـين، فـكل مؤمـن ولي لكل مؤمـن، لقولـه تعـالى: (وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ) [التوبـة:

(ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١/ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م: ٤/ ٨١.

(١) مفاتيح الغيب: ١٢/ ٣٨٣.

(٢) جامع البيان: ١٠/ ٤٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣/ ١٤١٩ هـ: ٤/ ١١٦٢.

٧١]»[1].

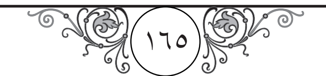
ج-جاء في زاد المسير: «أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن»[2].

هذه أكثرُ الأقوال التي تناقلها المفسرون. ولا يهمّنا صحة هذه الروايات من عدمه في تفسير هذه الآية، وإنّما يهمّنا منها بعد تأكيد نزولها بحق أمير المؤمنين (عليه السلام) معنى الولاية، وأحقّيَّته (عليه السلام) بها، وهو معنى قلّما يلتفتُ إليه المفسرون من أهل السنّة والجماعة.

ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا المعنى الدقيق الثعلبي في تفسيره، ناقلًا حديثًا طويلًا عن أبي ذر الغفاري: «أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، أبو محمد عبد الله بن أحمد الشعراني، أبو علي أحمد بن علي بن زرين، المظفر بن الحسن الأنصاري، السدي بن علي العزاق، يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عبادة بن الربعي، قال: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمم بالعمامة فجعل ابن عباس لا يقول، قال رسول الله: إلّا قال الرجل: قال رسول الله؟ فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/ ٢٠١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١/ ١٤٢٢ هـ: ١/ ٥٦١.



يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري، أبو ذر الغفاري: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهاتين وإلّا صمّتا ورأيته بهاتين وإلّا فعميتا يقول: عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله أما إني صليت مع رسول الله يوما من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئا وكان علي راكعا فأومى إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي صلّى الله عليه وسلّم فلما فرغ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الصلاة فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك، فقال: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي... وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي الآية، فأنزلت عليه قرآنا ناطقا سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً اللهم وأنا محمد نبيّك وصفيّك اللهم فاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي... وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي عليا أشدد به ظهري». قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله، فقال: يا محمد اقرأ، فقال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ، إلى راكِعُونَ»[1].

يتبيَّنُ لنا من هذا النَّص أمور عدَّة، منها:

- جُرأةُ الطرح من كتب التفسير المنسوبة لعلماء أهل السنة والجماعة؛ إذ أشار الثعلبيُّ صراحةً إلى خصوصيَّة الإمام (عليه السلام) في هذه الآية

(١) الكشف والبيان: ٤/ ٨٠ – ٨١.

دون غـيره.

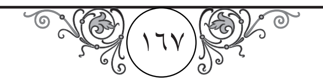
- اختـلافُ نـصّ الروايـة عـمّا نقلـه المفسرون الذيـن سـبقوا الثعلبـيّ، وهـذا تطـوّرٌ في معالجـة الموضوعـات المتعلّقـة بأهـل البيـت (عليهـم السـلام).

- تضمّـن الروايـة المنقولـة عـن أبي ذر دعـاء النبـيّ (صـلّى الله عليـه وآلـه) بحـق الإمـام (عليـه السـلام) إشـارات صريحـة بأحقيّـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بولايـة المسـلمين بعـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه). بـل تطابـق مضمـون الدعـاء مـع خطبـة الغديـر، مـن أمثـال عبـارات: (اللهـم إن أخـي موسـى سـألك... وَاجْعَـلْ لِي وَزِيـراً مِنْ أَهْـلِي عليـا أشـدد بـه ظهـري) بمقابـل قـول الرسـول (صـلّى الله عليـه وآلـه) في خطبتـه: ((أنَّ عـلي بـن أبي طالـب أخـي ووصيـي، وخليفتـي والإمـام مـن بعـدي الـذي محلـه منى محل هـارون مـن موسـى إلّا أنّـه لا نبـيّ بعـدي))[1].

ومـع تأكيـد المفسريـن عـلى نـزول الآيـة بحـق أمـير المؤمنـين نلاحـظ أنَّ السـمعاني كان لـه رأيٌ مختلـفٌ في تفسر الآيـة بـما يخـص الإمـام (عليـه السلام)؛ إذ قـال: «وَقَولـه: (إِنَّـمَا وَلِيكُـم الله وَرَسُـوله) أَرَادَ بِـهِ: الْوِلَايَـة فِي الدّيـن، لَا ولَايَـة الْإِمَـارَة والسـلطنة، وهـم فَـوق كل ولَايَـة، قَـالَ أَبُـو عُبَيْـدَة: وَكَذَلِـكَ معنـى قَوْلـه: «مـن كنـت مَـوْلَاهُ فعـلي مَـوْلَاهُ « يَعْنِـي: مـن كنـت وليـا لَـهُ، أعينـه وأنـصره، فعـلي يُعينـهُ وينـصره فِي الدّيـن»[2]. وهـذا خـلاف

(١) روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد (ت٥٠٨هـ)، وضع المقدمة: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم - إيران،: ١٠٨.

(٢) تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني



ما ذهب إليه المفسرون. وفيه تعسّفٌ في تأويل النص، ذلك أنَّ سياق الآية يتحدَّث عن الأولوية والأحق بالأمور، وليس الناصر والمعين. ولنا شواهد قرآنية كثيرة في ذلك، ومنها قوله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) [سورة الأحزاب/ من الآية ٦]، قال الزمخشريُّ في تفسيرها: «النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ في كل شيء من أمور الدين والدنيا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبدلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاءه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه، لأنّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين»[1]. فالأمرُ لا يقتصرُ على أمور الدين، بل يتعدَّاه في كلِّ شيء، يُزادُ على ذلك أنَّ المفسرين واللغويين يتفقون على أنَّ لفظة (المولى) وما يتعلّق بها من المشترك اللفظي، التي تحتملُ ما تحتملُ من المعاني، فلا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال حصر الدلالة بأمور الدين.

أمَّا استعانتُهُ بتفسير أبي عُبَيدة لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) بأنَّ المولى بمعنى الولي والمعين والناصر في

التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م: ٢/ ٤٨.

(١) الكشاف: ٣/ ٥٢٣.

الدين، فهو لا يستقيم من وجوه: أوّلها أنَّه غير موجود في كتب أبي عبيدة، وثانيها: ثبوت دلالة المولى بمعنى الأولى والأحق في الحديث المذكور آنفًا، كما نقل ابن عساكر في معرض حديثه عن فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام): «الرابعة يوم غدير خم، قام رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فأبلغ، ثم قال: يا أيها الناس ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرات قالوا: بلى، قال: ادنُ يا علي، فرفع يده، ورفع رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) يده، حتى نظرت إلى بياض إبطيه، فقال: ((مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه)) حتى قالها ثلاث مرات»[١].

ومن المفسرين الذين تعرّضوا لآية الولاية الفخرُ الرّازيّ، فهو ابتداءً حاول إبعاد نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، عندما نسبها إلى أبي بكر[٢]. ثم حصر دلالة المولى بالناصر والمعين[٣]. وهذا خلاف ما أثبتناه آنفًا. غير أنَّه ومن باب الأمانة العلميَّة قد ذكر ما ذكره الثعلبي، وهي رواية أبي ذر[٤]. من دون أن يُعلّق عليها.

وممَّن وقف وقفة طويلة في تفسير هذه الآية، وأكَّد نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) السيوطي، في قوله: «وَأخرج عبد الرَّزَّاق وَعبد

(١) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (د. ط): ٤٢/ ١١٧.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٢/ ٣٧٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٢/ ٣٨٣.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٢/ ٣٨٣.

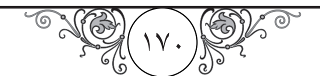


بن حميد وَابْن جرير وَأَبُو الشَّيْخ وَابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: (إِنَّمَا وَلِيكُم الله وَرَسُوله) الْآيَة. قَالَ: نزلت فِي عَليّ بن أبي طَالب. وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط وَابْن مرْدَوَيْه عَن عمار بن يَاسر قَالَ: وقف بعلي سَائل وَهُوَ رَاكِع فِي صَلَاة تطوّع فَنزع خَاتمه فَأعْطَاهُ السَّائِل فَأتى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فاعلمه ذَلِك فَنزلت على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هَذِه الْآيَة (إِنَّمَا وَلِيكُم الله وَرَسُوله وَالَّذين آمنُوا الَّذين يُقِيمُونَ الصَّلَاة وَيُؤْتونَ الزَّكَاة وهم رَاكِعُونَ)، فَقَرَأَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم على أَصْحَابه ثمَّ قَالَ: من كنت مَوْلَاهُ فعلي مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَال من وَالَاهُ وَعَاد من عَادَاهُ»[1]. ويكادُ يكون السيوطي من أكثر المفسرين إنصافًا في نقل الروايات المتعلّقة بآية الولاية. فلاحظنا في ما تقدَّم أنَّ المفسرين من أهل السنة والجماعة، وعلى الرغم من نقلهم الروايات المؤكّدة لحقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الآية، إلّا أنَّهم نسبوها إلى غيره أيضًا، فضلًا عن تأويلها تأويلًا آخر، لا يتوافق مع دلالتها المنصفة بحق أمير المؤمنين (عليه السلام).

المبحث الثالث: آيات أخرى تعرَّض فيها المفسرون إلى معنى (المولى)

سنتناول في هذا المبحث الآيات القرآنيَّة التي لم يرد فيها لفظ (المولى) ومشتقاته، غير أنَّها ارتبطت بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، لذا اضطر المفسرون إلى التعرّض إلى معنى (الولاية)، أو الآيات التي تضمَّنت

(١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت (د. ط)، (د. ت): ٣/ ١٠٥.

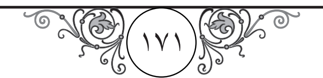


معناها، أو حتى الأحاديث المرتبطة بها، ولا سيَّما حديث: ((من كنت مولاه، فعليٌّ مولاه)). الذي أصبح علامةً على هذا الموضوع؛ لصحّته، ولارتباطه المباشر بحادثة الغدير، وقد اقتصرنا على ثلاث آيات لمعالجة الموضوع في تفاسير أهل السنة والجماعة على النحو الآتي:

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

تحدَّث القرطبيّ عن موضوع الإمامة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة/ من الآية ٣٠]، وهل تكون بالنَّص أو بالاختيار؟ ولا يهمّنا ذكر الآراء المختلفة في هذا الموضوع، بقدر اهتمامنا بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، التي قال في معرض ردِّه على مذهب الإماميَّة، قائلًا: «فِي رَدِّ الْأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا الْإِمَامِيَّةُ فِي النَّصِّ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ كَفَرَتْ بِهَذَا النَّصِّ وَارْتَدَّتْ، وَخَالَفَتْ أَمْرَ الرَّسُولِ عِنَادًا، مِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ)). قَالُوا: وَالْمَوْلَى فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى أَوْلَى، فَلَمَّا قَالَ: (فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) بِفَاءِ التَّعْقِيبِ عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ» مَوْلَى» أَنَّهُ أَحَقُّ وَأَوْلَى. فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ الْإِمَامَةَ وَأَنَّهُ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَلِيٍّ: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي). قَالُوا: وَمَنْزِلَةُ هَارُونَ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ مُشَارِكًا لَهُ فِي النُّبُوَّةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ أَخًا لَهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ خَلِيفَةً، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخِلَافَةُ»(١). ثمَّ استعرض أدلّته في

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح





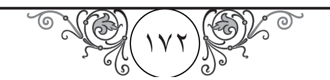
رفض الروايات التي تُثبت ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)[1]. وهي مرفوضة جملةً وتفصيلًا؛ لما تضمّنته من تغيير للحقائق التاريخية الثابتة، والتي أقرَّها بعض علماء السنة قبل علماء الشيعة، وقد أعرضنا عن ردِّها في هذا الموضع؛ لأنَّ أدلَّة إثبات النصوص الدالَّة على إمامته (عليه السلام) قد مرَّ ذكرها في أكثر صفحات البحث فيما تقدَّم.

ثانيًا: قوله تعالى: (سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ)

ذكر بعضُ المفسرين من علماء أهل السنة والجماعة حديثَ الغدير عند تفسير قوله تعالى: (سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ) [سورة المعارج/ الآية ١]، وأوّلُ مَنْ ذكر ذلك الثعلبي، قائلًا: «وسئل سفيان بن عيينة عن قول الله سبحانه: سَأَلَ سائِلٌ فيمن نزلت، فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك. حدّثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه، فقال: لما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ (رضي الله عنه) فقال: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه)). فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان القهري فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ناقة له حتّى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثمّ أتى النبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) وهو في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلّا

الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢/ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م: ١/ ٢٦٦.

(١) ينظر المصدر نفسه: ١/ ٢٦٧ – ٢٦٨.



الله وأنّك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلّي خمسا فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلنا، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال: «والّذي لا إله إلّا هو هذا من الله» فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول:

اللهمّ إن كان ما يقوله حقا فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ، أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ»[1]. فهذه الرواية من أهم الروايات التي ذكرت حادثة الغدير، وقد أخذها أكثر العلماء والمفسرين من تفسير الثعلبيّ.

وردت هذه الرواية من طرق علماء الشيعة بكثرة، وممّن ذكرها من مفسري الشيعة فرات الكوفي[2]، والطبرسي[3]، وابن البطريق[4]، وغيرهم.

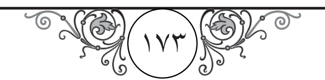
---

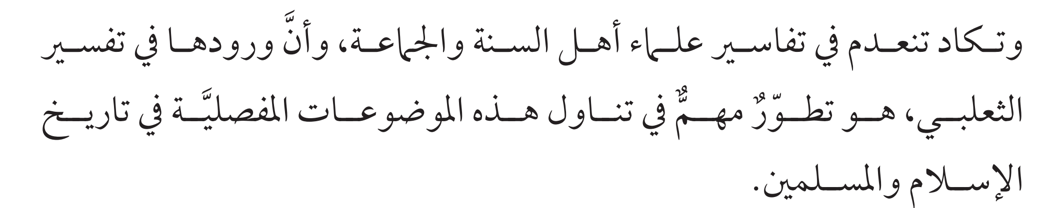
(١) الكشف والبيان: ١٠/ ٣٥. وينظر السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة/ ١٢٨٥هـ (د. ط): ٤/ ٣٨٠.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٥٠٣ – ٥٠٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين، قدّم له: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي – بيروت، لبنان، ط١/ ١٩٩٥م: ١٠/ ١١٩.

(٤) خصائص الوحي المبين، للحافظ ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي





وتكاد تنعدم في تفاسير علماء أهل السنة والجماعة، وأنَّ ورودها في تفسير الثعلبي، هو تطوّرٌ مهمٌّ في تناول هذه الموضوعات المفصليَّة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وتابع أبو السعود الثعلبي في نقل الرواية التفسيرية بحق أمير المؤمنين (عليه السلام) اختصارًا بقوله: «وقيلَ هو الحرث بنِ النعمانِ الفهريُّ وذلكَ أنَّه لما بلغَهُ قولُ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في عليَ (رضيَ الله عنهُ): ((من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ)). قالَ: اللهمَّ إنْ كانَ ما يقولُ محمدٌ حقاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السماءِ، فما لبثَ حَتَّى رماهُ الله تعالَى بحجرٍ فوقعَ على دماغه فخرج من أسفلِهِ فهلكَ من ساعتِهِ، وقيلَ هُو الرسولُ صلى الله عليه [وآله] وسلم استعجلَ عذابَهُمْ»[1].

فهذه الرواية من الروايات التفسيريَّة المهمَّة بحق ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ ذلك أنَّها أصبحت تُذكّر مع حديث الغدير، ويُستدلُّ بها على صحة الواقعة، وهذا ما فعله ابن الجوزي، قائلًا: «اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة. جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفا، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث، نص صلى الله عليه

الحلّي (ت٦٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم - قم، ط١/ ١٤١٧هـ: ٨٨.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت)، (د. ط): ٩/ ٢٩.

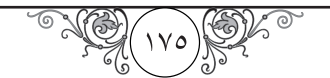
وآلـه عـلى ذلـك بصريـح العبـارة دون التلويـح والإشـارة. وذكـر أبـو إسـحاق الثعلبـي في تفسـيره بإسـناده أن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه لمـا قـال ذلـك طار في الأقطـار وشـاع في البـلاد والأمصـار، فبلـغ ذلـك الحـرث بـن النعـمان الفهري، فأتـاه عـلى ناقـة لـه فأناخهـا عـلى بـاب المسـجد ثـم عقلهـا وجـاء فدخـل في المسجد فجثـا بـين يـدي رسـول اللهّ صـلى الله عليـه وآلـه، فقـال: يـا محمـد أنـك أمرتنـا أن نشـهد أن لا إلـه إلّا اللهّ وأنـك رسـول اللهّ فقبلنـا منـك ذلـك... »[1].

ثالثًـا: قولـه تعـالى: (الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـا) [سـورة المائـدة/ مـن الآيـة ٣]

نقـل ابـن كثـير روايـة تؤكّـد أنَّ هـذه الآيـة نزلـت عـلى رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) في حجـة الـوداع، قائـلًا: «قُلْـتُ: وَقَـدْ رَوَى ابْـنُ مَرْدُويـه مِـنْ طَرِيـقِ أَبِي هَـارُونَ العَيْـدي، عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ؛ أَنَّهَـا أُنْزِلَـتْ عَـلَى رسـول الله صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم يـوم غَدِيـر خُـم حِينَ قَـالَ لِعَـلِيٍّ: «مَـنْ كنـتُ مَـوْلَاهُ فَعَـلِيٌّ مَـوْلَاهُ». ثُـمَّ رَوَاهُ عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ وَفِيـهِ: أَنَّـهُ الْيَـوْمُ الثَّامِـنَ عَـشَرَ مِـنْ ذِي الْحِجَّـةِ، يَعْنِـي مَرْجِعَـهُ عَلَيْـهِ السَّـلَامُ مِـنْ حجـة الـوداع»[2]. ونقـل النيسـابوري الروايـة نفسـها بتعديـلٍ طفيـف، قائـلًا: «عـن أبي سـعيد الخـدري أن هـذه الآيـة نزلـت في فضـل عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنـه وكـرم الله

(١) تذكرة الخواص، للعلاّمة سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤ه)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير – قم/ ١٤١٨ه: ٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ٣/ ٢٨.

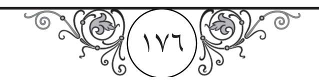




وجهه يوم غدير خم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بيده وقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فلقيه عمر وقال: هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي»[١]. فزاد النيسابوري تهنئة عُمَر لأمير المؤمنين (عليه السلام)، متضمنًا لفظ (المولى) بقوله: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)، فلا يحتمل لفظ (المولى) سوى النص على إمامته (عليه السلام) في ذلك الموقف، كما استدلَّ الشريف المرتضى بمقولة عُمَر على ذلك، بقوله: «دليل لهم آخر من طريق السنة، قالوا قد ثبت عنه صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ما يدل على أنه نص على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإمامة؛ لأنه مع الجمع العظيم في ذلك المقام قام فيهم خطيبا فقال: (ألست أولى بكم منكم بأنفسكم)؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال بعده إشارة إليه: (فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)، حتى قال عمر بن الخطاب له: بخ بخ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ولا يجوز أن يريد بقوله: (من كنت مولاه) إلّا ما تقتضيه مقدمة الكلام، وإلّا لم يكن لتقديمها فائدة»[٢]. وقال في موضع آخر: «أنَّ عمر لم يصرح بشيء يدل

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (تفسير النيسابوري)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه - بيروت، ط١/ ١٤١٦ هـ: ٢/ ٦١٦.

(٢) الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى (قدس سره)، حققه وعلّق عليه: السيد عبد الزهراء



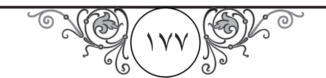
على ما يخالف مذهبنا ويوافق مذهبه، وإنما شهد لأمير المؤمنين (عليه السلام) بمثل ما تضمنه لفظ الرسول (صلى الله عليه وآله)»[1].

وتُعدُّ حادثة الغدير من الأسباب الرئيسة لنزول آية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...)؛ قال السيوطي - بعد أن ذكر طرفًا من الحادثة -: «وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه وَابْن عَسَاكِر بِسَنَد ضَعِيف عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ لما نصب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عليا يَوْم غَدِير خم فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ هَبَط جِبْرِيل عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَة (الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ). وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه والخطيب وَابْن عَسَاكِر بِسَنَد ضَعِيف عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: لما كَانَ يَوْم غَدِير خم وَهُوَ يَوْم ثَمَانِي عشر من ذِي الْحجَّة قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: من كنت مَوْلَاهُ فعلي مَوْلَاهُ، فَأنْزل الله (الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ)»[2]. فكلُّ هذه الروايات المنقولة من مفسري أهل السنة والجماعة تدلُّ على أنَّ حادثة الغدير لم تكن غفلًا عن مدونتهم التفسيريَّة، وإن حاول بعضهم التشكيك والتضعيف، ولكنَّنا بجمع الآيات التي ترتبط بالحادثة يُمكننا الجزم بأنَّها كانت حاضرة بشواهدها وأحداثها ورجالها، والآية المذكورة في أعلاه هي آخر آية ارتبطت بالحادثة، فضلًا عن كونها آخر آية قالها الرسول (صلّى الله عليه وآله) في حجته الأخيرة.

الحسيني الخطيب، راجعه: السيد فاضل الميلاني، مؤسسة الصادق - طهران، ط٢/ ١٩٨٦م: ٢/ ٢٥٨.

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩٠.

(٢) الدر المنثور: ٣/ ١٩.





خُلاصة البحث

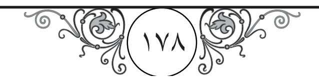
بعد رحلةٍ علميَّةٍ في رحاب حادثة الغدير، وإعلان البيعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) توصَّل البحثُ إلى جملة من النقاط المضيئة في معالجة الموضوع، والتي يُمكن تلخيصها على النحو الآتي:

- أنَّ المعاني التي تتولّد من الجذر (ولي) - وتحمل معنى الوِلاية، أو التولّي للأمور - كثيرةٌ، فقد تأتي من ألفاظ: (المولى، الأَوْلى، وأولي الأمر، والولي).

- عجيبٌ أمرُ المفسرين؛ فهم قد أجمعوا على أنَّ (مولاكم) هنا بمعنى الأولى بكم. وأنكروا ذلك في معاني (المولى) جميعها الواردة في القرآن الكريم؛ لأنَّها تؤكِّد أولويَّة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخلافة؟!

- أنَّ تأويل الفخر الرازي لقوله تعالى: (مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) بتأويلاتٍ مختلفة على الرغم من إجماع المفسرين على أنَّ (مولاكم) في الآية بمعنى (أولى بكم). قد جاء لمعارضة رأي الشريف المرتضى؛ لكونه قد استدلَّ بهذا المعنى على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو بذلك يعترف بعدائِهِ لآل البيت (عليهم السلام)، ولا سيَّما الآيات المرتبطة بالولاية؛ لأنَّها من صميم معتقد الشيعة الإماميَّة.

- إنَّ تفسير الشافعيّ (المولى) بـ(ولاء الإسلام) هي محاولة لإبعاد المعنى القيادي الذي يكتنزه حديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ كنت مولاه، فعليٌّ مولاه)). كما أنَّ شرحه حديث عمر: (أصبحت مولى



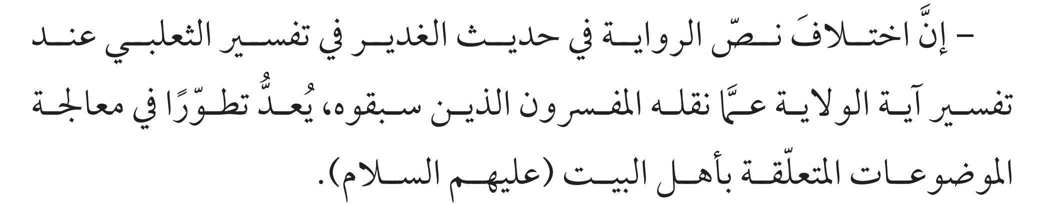
كل مؤمن) بمعنى (ولي كلّ مسلم)، - يدلُّ من حيث الظاهر على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا سيَّما أنَّ الحديث جاء بعد بيعة الغدير بلحظات، ولكنَّه من حيث الباطن يدلُّ على معنى الولاية في الإسلام فقط، وليس قيادة الأمَّة كما أراد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعُمر نفسه.

- إنَّ إشارةَ القيسيّ إلى حديث الرَّسول (صلّى الله عليه وآله) بشأن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ونصرته في هذه الآية مع إجماع المفسرين على أنَّ معنى قوله تعالى: (يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا): يوم لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئا، فيها دلالة واضحة على أنّ الرَّجلَ يعتقدُ بأنَّ الولي بحسب الفهم القرآني هو أمير المؤمنين (عليه السلام).

- لا يمكننا أن نبعد أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) عن دائرة (أولي الأمر)؛ لأنَّهم معصومون. وإذا كان الفخر الرازي يقول: (إنَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ)، فكيف يعتقد أنَّها نزلت بحق أبي بكر وعمر؟!. في المقابل لا نجده معترضًا إزاء ما اعتقده الآخرون من أنَّها نزلت بحق الخليفة الأول والثاني!. كلُّ ذلك لا يدع مجالًا للشك في أنَّ الفخر الرازي نصب العداء لأهل البيت (عليهم السلام) ولمن والاهم.

- آية الولاية هي من أكثر الآيات دلالة على ولاية أمير المؤمنين، تأكيدًا لما جاء في خطبة الغدير، فكان لمفسري أهل السنة والجماعة وقفة كبيرة عندها، بين التأييد لموضوع الولاية، أو النفي والتشكيك.





– إنَّ اختـلافَ نـصّ الروايـة في حديـث الغديـر في تفسـير الثعلبـي عنـد تفسـير آيـة الولايـة عـمَّا نقلـه المفسرون الذيـن سـبقوه، يُعـدُّ تطـوّرًا في معالجـة الموضوعـات المتعلّقـة بأهـل البيـت (عليهـم السـلام).

– تضمّنـت الروايـة المنقولـة عـن أبي ذر دعـاء النبـيّ (صـلّى الله عليـه وآلـه) بحـق الإمـام (عليـه السـلام) إشـارات صريحـة بأحقيّـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بولايـة المسـلمين بعـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه). بـل تطابـق مضمـون الدعـاء مـع خطبـة الغديـر.

– إنَّ اسـتعانة السـمعاني بتفسـير أبي عُبَيـدة لقـول الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه): ((مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه)) بـأنَّ المـولى بمعنـى الـولي والمعـين والنـاصر في الديـن، لا يسـتقيم؛ لأنَّـه غـير موجـود في كتـب أبي عبيـدة، ولثبوت دلالـة المـولى بمعنـى الأولى والأحـق في الحديـث المذكـور آنفًـا.

– يـكادُ يكـون السـيوطي مـن أكثـر المفسريـن إنصافًـا في نقـل الروايـات المتعلّقـة بآيـة الولايـة. فلاحظنـا أنَّ المفسريـن مـن أهـل السـنة والجماعـة، وعلى الرغـم مـن نقلهـم الروايـات المؤكّـدة لحـقّ أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) في هـذه الآيـة، إلّا أنّهـم نسـبوها إلى غـيره أيضًـا، فضـلًا عـن تأويلهـا تأويـلًا آخـر، لا يتوافـق مـع دلالتهـا المنصفـة بحـق أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام).

– هنـاك آيـات لم يـرد فيهـا لفـظ (المـولى) ومشـتقاته، غـير أنهَّـا ارتبطـت بولايـة أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام)، ممَّـا اضطـر المفسرون إلى التعـرّض إلى معنـى (الولايـة)، أو الآيـات التـي تضمَّنـت معناهـا، أو حتـى الأحاديـث

المرتبطة بها، ولا سيَّما حديث: ((من كنت مولاه، فعليٌّ مولاه)). الذي أصبح علامةً على هذا الموضوع؛ لصحّته، ولارتباطه المباشر بحادثة الغدير.

- نقل الثعلبيُّ روايةً تُعدُّ من الروايات التفسيريَّة المهمَّة بحق ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ ذلك أنَّها أصبحت تُذكّر مع حديث الغدير، ويُستدلُّ بها على صحة الواقعة.

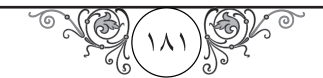
- إنَّ كثرة الروايات المنقولة من مفسري أهل السنة والجماعة والمرتبطة بحادثة الغدير، يدلُّ على أنَّها لم تكن غفلًا في مدونتهم التفسيريَّة، وإن حاول بعضهم التشكيك والتضعيف، ولكنَّنا بجمع الآيات التي ترتبط بالحادثة يُمكننا الجزم بأنَّها كانت حاضرة بشواهدها وأحداثها ورجالها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت)، (د. ط).

٢- بحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، دار الكتب العلميَّة/ ١٩٩٣م، (د. ط).





٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت/ ١٤٢٠هـ.

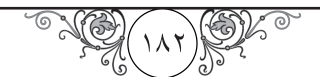
٤- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (د. ط).

٥- تذكرة الخواص، للعلّامة سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤ه)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير - قم/ ١٤١٨ه.

٦- تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٧ه - ٢٠٠٦م.

٧- تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٨- تفسير العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، المعروف بالعياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي،



المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، (د. ط) (د. ت).

٩- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط١/ ١٩٩٠م.

١٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣/ ١٤١٩ هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ.

١٣- التقفية في اللغة، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (ت٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي - مطبعة العاني - بغداد/ ١٩٧٦م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.



١٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٦- خصائص الوحي المبين، للحافظ ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي (ت٦٠٠ه)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم - قم، ط١/ ١٤١٧ه.

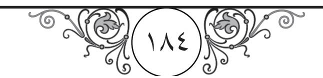
١٧- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت (د. ط)، (د. ت).

١٨- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد (ت٥٠٨ه)، وضع المقدمة: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم - إيران (د. ط)، (د. ت).

١٩- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ.

٢٠- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة/ ١٢٨٥هـ (د. ط).

٢١- الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى (قدس سره)، حققه وعلّق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، راجعه: السيد فاضل الميلاني،



مؤسسة الصادق - طهران، ط٢/ ١٩٨٦م.

٢٢- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

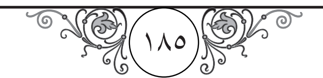
٢٣- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط) (د. ت).

٢٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (تفسير النيسابوري)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه - بيروت، ط١/ ١٤١٦هـ.

٢٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣/ ١٤٠٧هـ.

٢٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١/ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن



عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣، (د. ت).

٢٨- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)، المحقق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٩٩٤م.

٢٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين، قدَّم له: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، لبنان، ط١/ ١٩٩٥م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط١/ ١٤٢٠هـ.

٣١- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٢- مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣/ ١٤٢٠هـ.

٣٣- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤- مناقب آل أبي طالب، رشيد الدين، أبو عبد الله، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط١/ ١٩٥٦م.

٣٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)،، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٦- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

محورية الإمامة في الغدير برؤية قرآنية مقارنة

د. مواهب صالح مهدي الخطيب

بيان المسألة:

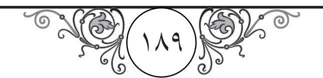
لا يخفى أنَّ الإمامة تعدُّ من المسائل المهمة التي تُبنى عليها زعامة المسلمين والسلطة التشريعية والسياسية بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن البديهي أنَّ أهم المصادر التي تعين لنا أبعاد هذه المسألة هو القرآن الكريم لأنَّه مصدر التشريع عند المسلمين ومورد اتفاقهم؛ ولذا فهذا البحث يسلط الضوء على مسألة محورية الإمامة في آيتين مهمتين استند إليهما أبناء العامة والخاصة من مدرسة أهل البيت وأتباع مدرسة الخلفاء في إثبات مدعياتهما في هذه المسألة، ولقد اخترنا أهم التفاسير عند الفريقين لنعقد مقارنة بينهما من أجل معرفة دلالة الآيتين على محورية الإمامة برؤية تفسيرية مقارنة تحليلية بين تفسيرين مهمين من علمين من إعلام الأُمَّة الإسلامية هما الطباطبائي والرازي، وتكمن أهمية هذا البحث في أنَّه يكون مدعاةً لتقريب وجهات النظر بين علماء المدرستين إذا ثبتت الرؤية التفسيرية الموحدة، وجدير بالذكر أنَّ هذا الهدف ضروري في زمننا هذا الذي يكثر فيه التناحر الطائفي والمذهبي، فالسبيل الأنجع أن نتجه لكلمة سواء توحّد صفوف المسلمين تحت محوريّة كلام الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله التوفيق لإتمام البحث بمنِّه وعونه إنَّه عزيز قدير.

الملخص:

لا يختلف أحد من المسلمين أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله تعالى على رسوله الأكرم لينقذ الناس به من حيرة الضلالة، وأنَّ أهم وظيفة للنبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه آله وسلَّم هي إبلاغ رسالة الله لعباده، سواء ما جاء بشكل آيات كريمات أو تبيان مصاديق الآيات وتفسيرها ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ومن المتيقن به أنَّ مسألة الإمامة وقيادة المجتمع البشري فضلاً عن المجتمع الإسلامي من أهم المسائل التي يهتم بها البارئ عزَّ شأنه وعلا جلاله، ومن المسلَّم به أنْ يفرد لها آيات خاصة تكون محورها مسألة الإمامة للأُمَّة، وأنْ يشدد على رسوله الأعظم طرحها وتبليغها لعباده، فضلاً عن آيات أُخر يقرنها بالإقرار له بالوحدانية وللرسول بالنبوّة، ويجعل طاعة الإمام فيها مقرونة بطاعته وطاعة رسوله؛ ولذا فهذا البحث يناقش آيتين مهمتين في مسألة الإمامة ليستنبط منها محورية الإمامة، وهما آية التبليغ وآية الإكمال الموجودتان في سورة المائدة والتي توافق أغلب العلماء على شأن نزولهما والمسألة التي يطرحانها، وإنْ كانوا اختلفوا في المصداق، وفي هذا البحث بعد ذكر المقصود من الإمامة والمقصود من المحورية لها في الآيتين يقدّم تفسير الرازي الذي هو من كبار علماء ومفسري أبناء العامة ويستجلي وجهة نظره حول الآيتين

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.



مورد البحث، وتلخص منه أنَّه يرى أنَّ الآيتين تطرح الإمامة والزعامة الدينية، إلَّا أنَّه لا يقر بمصداقها عند الشيعة، ثُمَّ يذهب البحث ليتعرف على ردود تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي الذي هو من كبار مفسري الشيعة ويرى الأجوبة للإشكالات التي طرحها الرازي؛ ليتبين أنَّ العلامة يؤيد أنَّ محورية الإمامة موجودة في الآيتين ويذكر لنا المصداق لهما من تبيين رسول الله صلَّى الله عليه وآله وشواهد النزول والحوادث التاريخية التي سجلها الفريقان، ويخلص البحث إلى مقارنة وتحليل بين التفسيرين لاختيار ترجيح كفة الميزان للعلامة الطباطبائي؛ ذلك لأنَّه التزم بالقواعد الأُصولية والضوابط الموضوعية في تفسير الآيتين، وثبت محورية الإمامة فيهما.

معنى الإمامة: معنى الإمامة لغوياً

الإمامة: هي تقدّم شخص على الناس على نحو يتبعونه ويقتدون به.

أَمَّا الإمام، فهو: من يُقتدى به، وهو الذي يتقدّم على الناس وهم يأتمون به، ويقتدون به في القول أو الفعل أو غير ذلك(١)

استعمال الإمامة قرآنياً

استعمل القرآن الكريم كلمة - أئمة - بالمعنى المتقدّم في إمامة الحق والباطل على حدٍّ سواء، حيث قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...

(١) راجع: مفردات غريب القرآن: ٢٤، ومجمع البحرين: ١، ١٠٨.

﴾[1].

كما واستعمل القرآن الكريم - الأئمة - في كلٍّ من أئمة الحق والباطل على انفراد، فقال في أئمة الحق: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

ثمَّ إنَّ الإمامة إمَّا أنْ تكون شاملة ومطلقة فتكون عامة تشمل جميع الجهات، كقول الله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى النبيِّ إبراهيم الخليل عليه السَّلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[4]

وإمَّا أنْ تكون غير شاملة بل مقيدة بحدود خاصة، فيكون الإمامُ إماماً ضمن تلك الحدود وفي تلك الجهة المصرّح بها، كما في إمام الجماعة أو الجمعة أو بالنسبة إلى إمامة الحجاج أو غير ذلك.

الإمامة في الثقافة الإسلامية

إنَّ مفهوم الإمامة في الثقافة الإسلامية العامَّة يتبادر منه الولاية والحكم

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٧١.

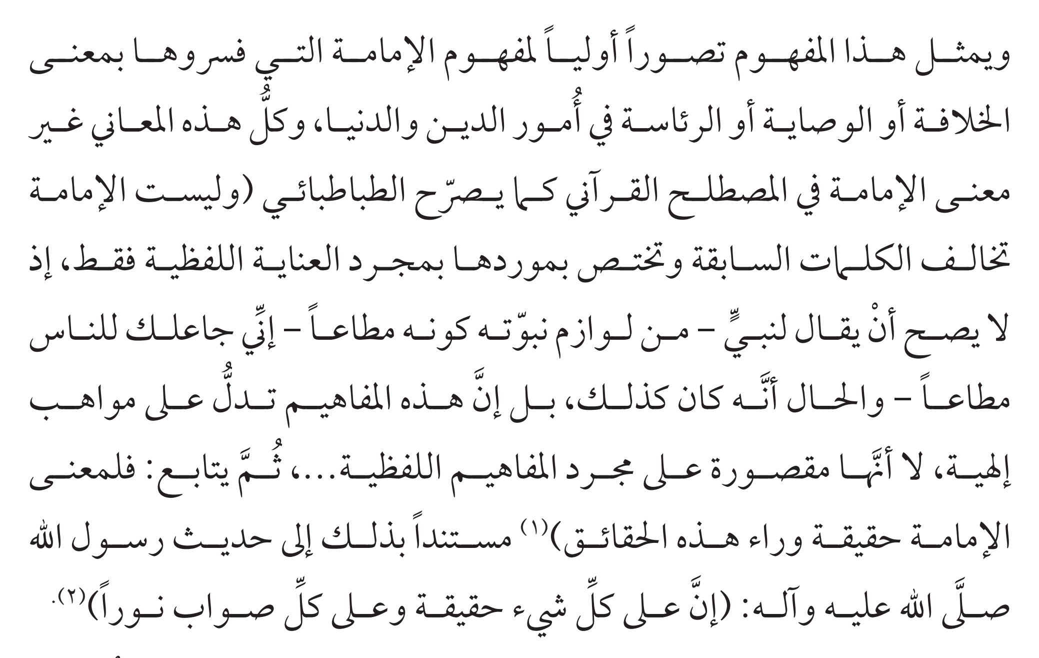
(٢) سورة الأنبياء الآية: ٧٣.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.






ويمثل هذا المفهوم تصوراً أولياً لمفهوم الإمامة التي فسروها بمعنى الخلافة أو الوصاية أو الرئاسة في أُمور الدين والدنيا، وكلُّ هذه المعاني غير معنى الإمامة في المصطلح القرآني كما يصرّح الطباطبائي (وليست الإمامة تخالف الكلمات السابقة وتختص بموردها بمجرد العناية اللفظية فقط، إذ لا يصح أنْ يقال لنبيٍّ - من لوازم نبوّته كونه مطاعاً - إنِّي جاعلك للناس مطاعاً - والحال أنَّه كان كذلك، بل إنَّ هذه المفاهيم تدلُّ على مواهب إلهية، لا أنَّها مقصورة على مجرد المفاهيم اللفظية...، ثُمَّ يتابع: فلمعنى الإمامة حقيقة وراء هذه الحقائق)[1] مستنداً بذلك إلى حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله: (إنَّ على كلِّ شيء حقيقة وعلى كلِّ صواب نوراً)[2].

يمكن للمتتبع للآيات القرآنية أنْ تتضح كثير من الأبعاد الأُخرى للإمامة منها ما دلّت عليه آية الإمامة الإبراهيمية:

١- إنَّ الإمامة هي هداية للناس.

٢- إنَّ الإمامة عهد الله.

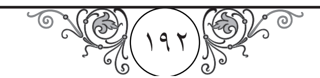
٣- إنَّ الإمام لا يمكن أنْ يكون ظالماً.

٤- إنَّ الإمامة مرتبة عالية أعلى من درجة النبوّة (ويتفرع على ذلك) لا بُدّيّة أنْ تجتمع في الإمام أبعاد النبوّة بمستوياتها العالية.

٥- إنَّها عالمية وللناس جميعاً.

(١) تفسير الميزان ج١ ص ١٢٤.

(٢) أُصول الكافي ج ٢ باب حقيقة الإيمان واليقين، ص ٥٤.



٦-إنَّه واحد دهره في كلِّ زمان.

٧-لولا الإمام لساخت الأرض بأهلها.

٨-إنَّـه حجّـة الله عـلى الخلـق ويسـتحيل أنْ يوجـد مـن يفوقـه بـشيء مـن الفضائـل.

٩-إنَّـه الأُسـوة والمثـال المتحـرك وهـو القـرآن الناطـق...إلى غـير ذلـك مـن خصائـص الإمـام.

إنَّ البحـث المنطقـي يحتِّـم علينـا أنْ نتعـرف عـلى حقيقـة الإمامـة كـما يراهـا صاحـب الميـزان والـرازي لنعـرف مـوارد الوفـاق والاختـلاف بينهـما، فيذهـب الطباطبائـي وفـق منهجـه القـرآني إلى أنَّ الإمامـة ليسـت مجـرد مفهـوم اجتماعـي ولا رئاسـة في الديـن والدنيـا، بـل هـي هدايـة تكوينيّـة وسـيطرة عـلى القلـوب والأعـمال واسـتلام للفيوضـات الإلهيـة الباطنيـة، وأنَّـه سـبب متّصـل بـين الأرض والسـماء، والإمـام هـادي للنـاس بأمـر إلهـي ملكـوتي

يقـول العلامـة الطباطبائـي[1]: (إنَّ هـذه الهدايـة المجعولـة مـن شـؤون الإمامـة ليسـت بمعنـى إراءة الطريـق لأنَّ الله سـبحانه جعـل إبراهيـم عليـه السَّـلام إمامـاً بعدمـا جعلـه نبيـاً، في تفسـير قولـه ﴿إِنِّي جَاعِلُـكَ لِلنَّـاسِ إِمَامًا﴾[2]، ولا تنفـك النبـوّة عـن الهدايـة بمعنـى إراءة الطريـق فـلا يبقـى للإمامـة إلَّا الهدايـة بمعنـى الإيصـال إلى المطلـوب وهـي نـوع تـصرفٍ تكوينـيٍّ في النفـوس

(١) انظر الميزان: ج ١٤ بحث الإمامة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.





بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر.

وإذا كان الأمر تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر التكويني الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري، بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾[1]، فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم.

أمَّا من وجهة نظر الرازي فالأمر مختلف تماماً بالنسبة لمسألة الإمامة، فالأصل ثابت والمصداق عنده مختلف فهو عندما يناقش المفسرين في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2]، يذكر وجوه ما ذهبوا إليه حول المراد من أُولي الأمر فأولها: الخلفاء الراشدون، والثاني: المراد أُمراء السرايا، وثالثها: المراد العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم، ورابعها: نقل عن الروافض أنَّ المراد به الأئمة المعصومون، ولمَّا كانت أقوال الأُمَّة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه، يختار من الوجوه حمل أُولي الأمر على الأُمراء والسلاطين ويستدل عليه أنَّ الأُمراء والسلاطين أوامرهم نافذة على الخلق، فهم في الحقيقة أُولو الأمر.

إنَّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على وجه الإطلاق ولم يقيده بشيء،

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

ومن البديهي أنَّه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان ولو كان على سبيل الإطاعة لشخص آخر، وعليه تكون طاعة أُولي الأمر فيما إذا أمروا بالعصيان محرماً.

فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين أنْ يكون أولو الأمر الذين وجبت إطاعتهم على وجه الإطلاق معصومين لا يصدر عنهم معصية مطلقاً، فيستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتمال المتعلق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة.[1]

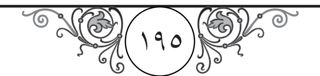
وهكذا نرى الرازي صرح بدلالة الآية على عصمة أُولي في تفسيره، ولكنَّه لم يستثمر نتيجة ما هداه إليه استدلاله المنطقي حيث استدرك قائلاً بأنَّا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والوصول إليه واستفادة الدين والعلم منه، فلا مناص من كون المراد هو أهل الحل والعقد.

محورية الإمامة:

المقصود في البحث عن دلالة الآيات على (محوريّة الإمامة) هو أنَّ مسألة الإمامة هي الموضوع الأساسي في الآيات الكريمة مورد البحث وهي الآية الثالثة والآية السابعة والستون من سورة المائدة، ويعرف ذلك من خلال منهج منطقي في الاستدلال نوضحه في نقاط:

أ- جمع الآيات القرآنية المختلفة بموضوع الإمامة ودراستها دراسة موضوعية.

(١) انظر مفاتيح الغيب، ج ١٠ ص١٤٤.



ب-أخذ آية تمثل المحور للموضوع الذي يدور حوله البحث ألا وهي آية ﴿إني جاعلك...﴾، واستخراج مباحث وخصائص مهمّة منها.

ج-رفد تلك الخصائص بآيات أُخر وضّحت المعنى وفسرته وعرفت الموضوع.

د-اعتمد على أُصول موضوعيّة مهمّة يبتني عليها التفسير وتساعد في فهم الآيات منها:

١- إنَّ هناك مقامات باطنية ومراتب حقيقية يرتقي إليها المؤمن السالك درجةً درجة.

٢- إنَّ لكلِّ سبب مسبباً، أي اعتمد على قانون العليّة وأنَّ لكلِّ شيء سبباً فلا بُدَّ من سبب به يفيض الله عزَّ وجلَّ الفيوضات على الناس سواء الباطنيّة منها أو الظاهرية.

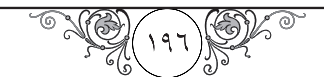
٣- نبذ السفسطة والاعتماد على البرهان في استحصال النتائج.

الخطوات التي ينبغي اتبعها في استحصال النتيجة:

أ- إثبات أنَّ الإمامة أُعطيت لإبراهيم بعد النبوّة والرسالة وفي أُخريات حياته .

ب- الاعتماد على تعريف القرآن للإمامة دون التأثر بالمذاهب الكلاميّة والمفاهيم العرفية.

ج- لتكتل الرؤية يجب الرجوع إلى شأن النزول ودراسة الروايات



الصحيحة السند الموثقة التي تتحدث عن الإمامة مثل:

أبو محمّد القاسم رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السّلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السّلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم عليه السّلام ثمَّ قال:

«يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبيّه صلَّى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلَّى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ صلَّى الله عليه وآله حتى بين لأُمَّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السَّلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة إلَّا بيَّنه، فمن زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومن ردَّ كتاب الله فهو كافر به»[(١)]

وبعد أنْ تعرفنا من خلال ما سبق على معنى الإمامة عند الرازي والطباطبائي وتناولنا المقصود من محورية الإمامة في بحث المفاهيم واستقرأنا بعض الضوابط الموصلة إلى استدلالٍ منطقيٍّ حول محوريّة

(١) الكافي: ١، ١٩٨.



الآيـات الدالـة عـلى الإمامـة بالأمثلـة، فلننظـر الآن أي التفسـيرين أخـذ هـذه الضوابـط بعـين الاعتبـار وسـنبدأ بتفسـير الـرازي أولاً، لأنَّـه متقـدم زمانـاً على صاحـب الميـزان بالإضافـة إلى أنَّ الطباطبائـي كان مطلعـاً عـلى تفسـير الـرازي ويحـاول جـواب الإشـكالات التـي أوردهـا والـردّ عليهـا بنقـد منهجيتـه أحيانـاً بـكلِّ موضوعيـة.

المبحث الثاني: الآيتان من كتب التفاسير

أَوّلاً: آية التبليغ بين مفاتيح الغيب والميزان

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(١)

في هـذا المبحـث سـوف نقـارن بـين مـا قالـه الـرازي والطباطبائـي في تفسـيرهما حـول هـذه الآيـة فنبـدأ بالـرازي لنـرى مـا في جعبتـه وكيـف يـردّ الطباطبائـي عليـه.

يبـيّن الـرازي هـذه الآيـة عـلى أنهَّـا أمـر للرسـول بـأنْ لا ينظـر إلى قلّـة المقتصديـن وكثـرة الفاسـقين ولا يخشـى مكروههـم ويكشـف أسرارهـم وفضائـح أفعالهـم، فـإنَّ الله يعصمـه مـن كيدهـم ويصونـه مـن مكرهـم ويسـتدلُّ عـلى ذلـك بروايـة الحسـن عـن النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم قـال: «إنَّ الله بعثنـي برسـالته فضقـت بهـا ذرعـاً وعرفـت أنَّ النـاس يكذبـوني واليهـود والنصـارى وقريـش يخوفـوني»، فلـمَّا أنـزل الله هـذه الآيـة زال الخـوف

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

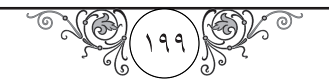
بالكليّة، وروي أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان أيام إقامته بمكّة يجاهر ببعض القرآن ويخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من تسرع المشركين إليه وإلى أصحابه، فلمّا أعزَّ الله الإسلام وأيّده بالمؤمنين قال له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي لا تراقبن أحداً، ولا تترك شيئاً ممّا أُنزل إليك خوفاً من أنْ ينالك مكروه.(١)

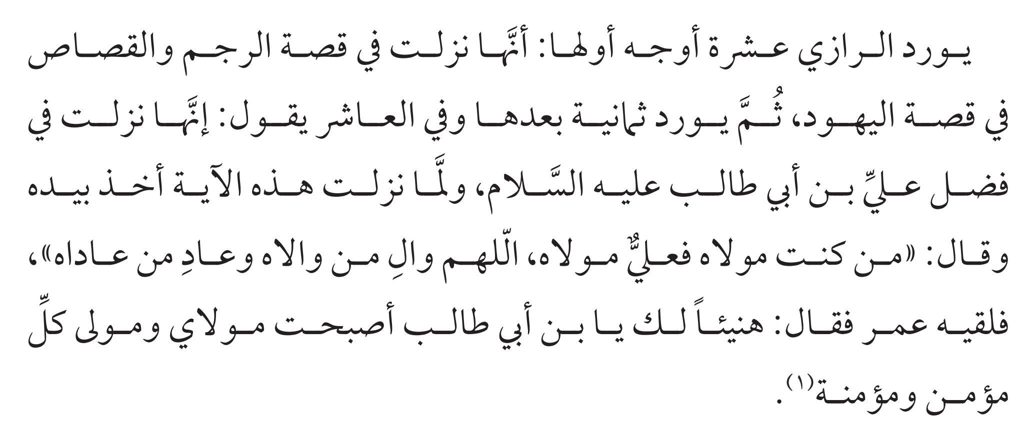
ثُمَّ يورد مسألة يعطي فيها احتمالات تفسّر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يتساءل عن معناها ويورد إجابات جمهور المفسرين بأنَّ المراد: أنَّك إنْ لم تبلغ واحداً منها كنت كمن لم يبلغ شيئاً منها، ثمَّ لا يقبل منهم هذا المعنى ويضعفه ويعلل ذلك بأنَّ من أتى بالبعض وترك البعض يؤاخذ بمقدار ترك البعض لا الكلّ فهو ظلم محال ممتنع من البارئ تعالى فسقط هذا الجواب، ويقول إنَّ الأصح عنده مماثلة ذلك بقول الشاعر أنا أبو النجم الذي يقول بما معناه إنَّ الشعر لا يقال عنه شعراً إلَّا إذا كان شعره هو، كناية عن المبالغة في المدح لشعره.

وهنا الآية مثل ذلك إذا لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته، ما يعني أنَّه لا يمكن أنْ يوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنَّه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد.

ثُمَّ يذكر لسبب نزول الآية وجوهاً عشرة نورد منها اثنين لنعكف على مقارنتهما بما سيجيب عنه صاحب الميزان خشية التطويل والاكتفاء بمحور الحديث عن محورية الآية للإمامة.

(١) التفسير الكبير: ج ٦ ص ١٧٩.





يورد الرازي عشرة أوجه أولها: أنّها نزلت في قصة الرجم والقصاص في قصة اليهود، ثُمَّ يورد ثمانية بعدها وفي العاشر يقول: إنّها نزلت في فضل عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، ولمَّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، الّلهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة[1].

ثُمَّ يقول: إنَّ هذه الروايات وإنْ كثرت إلَّا أنَّ الأَولى حمله على أنَّه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، واستدلَّ بأنَّ ما قبل وما بعد الآية كان كلاماً مع اليهود والنصارى، فيمتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجهٍ تكون أجنبية عمّا قبلها وما بعدها.

ثمَّ إنَّ الرازي يتساءل في قوله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، كيف يجمع بين ذلك وبين ما روي أنَّه عليه الصلاة والسّلام شجَّ وجهه يوم أُحد وكسرت رباعيته؟ ويجيب عن ذلك من وجيهن: أحدهما: أنَّ المراد يعصمه من القتل، وفيه التنبيه على أنَّه يجب عليه أنْ يحتمل كلَّ ما دون النفس من أنواع البلاء. وثانيهما: أنَّها نزلت بعد يوم أُحد.

ثُمَّ يعرب أنَّ المقصود من كلمة (الناس) ها هنا الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، ومعناه أنَّه تعالى لا يمكنهم ممَّا يريدون ويستدلُّ على ذلك برواية عن أنس ابن مالك: (كان رسول الله

(١) انظر التفسير الكبير: ج١٢ ص٥٢

صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: انصرفوا يا أيّها الناس فقد عصمني الله من الناس)(١).

وأمَّا صاحب الميزان فما قوله في هذه الآية؟

يرى العلامة الطباطبائي أنَّ معنى الآية في نفسها ظاهر، فإنَّها تتضمن أمر الرسول صلَّى الله عليه وآله بالتبليغ في صورة التهديد، ووعده صلَّى الله عليه وآله بالعصمة من الناس، وكردٍّ على صاحب مفاتيح الغيب بشأن وقوع الآية في وسط آيات تتحدث عن اليهود والنصارى فإنَّ الطباطبائي يرى أنَّ وقوعها معترضاً لتلك الآيات التوبيخية لهم ويستدلُّ على ذلك بعدم وحدة السياق فيقول:

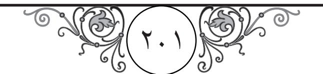
لو كانت الآية متصلة بما قبلها وما بعدها في سياق واحد في أمر أهل الكتاب لكان محصلها أمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أشدّ الأمر بتبليغ ما أنزله الله سبحانه في أمر أهل الكتاب، وتعين بحسب السياق أنَّ المراد بما أُنزل إليه من ربِّه هو ما يأمره بتبليغه في قوله: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٢).

وسياق الآية يأباه فإنَّ قوله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يدلُّ على

---

(١) انظر التفسير الكبير: ج١٢، ص ٥٢-٥٤

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٨.





أنَّ هذا الحكم المنزل المأمور بتبليغه أمر مهم فيه مخافة الخطر على نفس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أو على دين الله تعالى من حيث نجاح تبليغه، ولم يكن من شأن اليهود ولا النصارى في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أنْ يتوجه إليه من ناحيتهم خطر يسوغ له صلَّى الله عليه وآله أنْ يمسك عن التبليغ أو يؤخره إلى حين، فيبلغ الأمر إلى حيث يحتاج إلى أنْ يعده الله بالعصمة منهم إنْ بلّغ ما أُمر به فيهم حتى في أوائل هجرته صلَّى الله عليه وآله إلى المدينة، وعنده حدّة اليهود وشدّتهم حتى انتهى إلى وقائع خيبر وغيرها[1].

ويرى العلامة أنَّ الآية لا تتضمن أمراً شديداً ولا قولاً حاداً، وقد تقدّم عليه تبليغ ما هو أشدّ وأحدّ وأمرّ من ذلك على اليهود، وقد أُمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بتبليغ ما هو أشدَّ من ذلك كتبليغ التوحيد ونفي الوثنية إلى كفار قريش ومشركي العرب، وهم أغلظ جانباً وأشدّ بطشاً وأسفك للدماء، وأفتك من اليهود وسائر أهل الكتاب، ولم يهدده الله في أمر تبليغهم ولا آمنه بالعصمة منهم.

على أنَّ الآيات المتعرضة لحال أهل الكتاب معظم أجزاء سورة المائدة فهي نازلة فيها قطعاً، واليهود كانت عند نزول هذه السورة قد كسرت سورتهم فلا معنى لخوف رسول الله صلَّى الله عليه وآله منهم في دين الله، وقد دخلوا يومئذٍ في السّلم وقبلوا هم والنصارى بدفع الجزية، ولا معنى لتقريره تعالى له خوفه منهم واضطرابه في تبليغ أمر الله إليهم، وهو أمر

(١) انظر: تفسير الميزان، ج ٦، ص ٤٨.



قد بلّغ إليهم ما هو أعظم منه، وقد وقف قبل هذا الموقف فيما هو أهول منه وأوحش.

فلا ينبغي الارتياب في أنَّ الآية لا تشارك الآيات السابقة عليها واللاحقة لها في سياقها، ولا تتصل بها في سردها، وإنَّما هي آية مفردة نزلت وحدها.

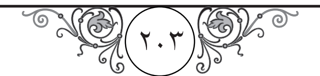
وإذا تحرينا رداً على ما تبناه الرازي في المقصود بالأمر المراد تبليغه نجد أنَّ العلامة يصرّح بأنَّ المراد إمَّا مجموع الدين أو بعض أجزائه، ويوعز ذلك الخطاب التهديدي في الآية ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ لخوف النبيِّ من الناس في تبليغ أمر كان يؤخره إلى حينٍ يناسبه، بدليل أنَّ آيات أول البعثة لم تشتمل على التهديد كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[2]، وقوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

ولم يكن الخوف على نفسه في جنب الله سبحانه فهو أجلّ من أنْ يبخل في شيء من أمر الله بمهجته، فهذا شيء تكذبه سيرته الشريفة ومظاهر حياته، على أنَّ الله شهد في رسله على خلاف ذلك كما قال تعالى: ﴿ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٢.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٦.





أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾[١]، وقد قال تعالى في أمثال هذه الفروض: ﴿فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقد مدح الله سبحانه طائفة من عباده بأنَّهم لم يخشوا الناس في حين أنَّ الناس خوفوهم فقال: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٣].

وليس من الجائز أنْ يقال: إنَّه صلَّى الله عليه وآله كان يخاف على نفسه أنْ يقتلوه فيبطل بذلك أثر الدعوة وينقطع دابرها، فكان يعوقه إلى حينٍ ليس فيه هذه المفسدة فإنَّ الله سبحانه يقول له صلَّى الله عليه وآله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٤].

لم يكن الله سبحانه يعجزه لو قتلوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله أنْ يحيي دعوته بأيِّ وسيلة من الوسائل شاء[٥].

وفي ردِّ العلامة على من سبقه من المفسرين يبيّن أنَّ الآية لم تنزل في بدء البعثة، إذ لا معنى حينئذٍ لقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ إلَّا أنْ يكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يماطل في إنجاز التبليغ خوفاً من الناس على نفسه أنْ يقتلوه فيحرم الحياة أو أنْ يقتلوه ويذهب التبليغ باطلاً لا

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية١٢٨.

(٥) انظر الميزان:ج٦، ص١٥١.



أثـر لـه فـإنَّ ذلـك كلَّـه لا سـبيل إلى احتمالـه[١].

وفي بيـان مماثلـة قولـه تعـالى ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـما بَلَّغْـتَ رِسـالَتَهُ﴾ بشـعر أبي النجـم: أنـا أبـو النجـم وشـعري شـعري.......... كنايـة عـن البلاغـة.

كـما تقـدّم ممَّـا تبنّـاه الـرازي كباقـي المفسريـن يـردّ العلامـة هنـا بـأنَّ هـذا يلـزم القصـور في التبليـغ والإهمـال في المسـارعة إلى مـا أمـره بـه الله سـبحانه، ويـرى أنَّ هــذه الصناعــة الكلاميــة إنَّــما تصــحُّ في مــوارد العــام والخــاص والمطلـق والمقيـد ونظائـر ذلـك.

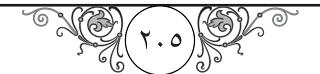
فقـد تبـيّن أنَّ الآيـة بسـياقها لا تصلـح أنْ تكـون نازلـة في بـدء البعثـة ويكون المـراد فيهـا بـما أُنـزل إلى الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه مجمـوع الديـن أو أصلـه، ويتبـين بذلـك أنَّهـا لا تصلـح أنْ تكـون نازلـة في خصـوص تبليـغ مجمـوع الدين أو أصلـه في أيِّ وقـت آخـر غـير بـدء البعثـة، فـإنَّ الإشـكال إنَّـما ينشـأ مـن جهـة لـزوم لا يلائـم النـزول في أيِّ وقـت آخـر غـير بـدء البعثـة عـلى تقديـر إرادة الرسـالة بمجمـوع الديـن أو أصلـه، وهـو ظاهـر.

فظهـر أنَّ هـذا الأمـر الـذي أُنـزل عـلى النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه وأكـدت الآيـة تبليغـه هـو ليـس مجمـوع الديـن أو أصلـه عـلى جميـع تقاديـره المفروضـة، بـل هـو الأمـر بتبليـغ حكـم خـاص أُنـزل عـلى الخاتـم صلـوات الله عليـه وآلـه مـن ربِّـه وإنْ يبلغـه فكأنَّـما لم يبلـغ[٢].

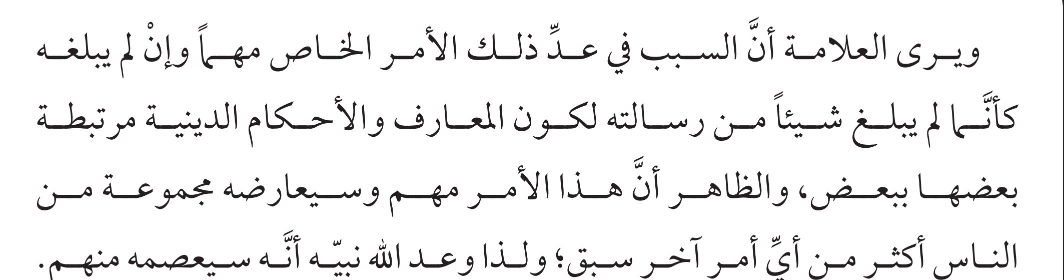
---

(١) المصدر السابق ص١٥٢.

(٢) انظر الميزان: ج ٦، ص ١٦٠.







ويرى العلامة أنَّ السبب في عدِّ ذلك الأمر الخاص مهماً وإنْ لم يبلغه كأنَّما لم يبلغ شيئاً من رسالته لكون المعارف والأحكام الدينية مرتبطة بعضها ببعض، والظاهر أنَّ هذا الأمر مهم وسيعارضه مجموعة من الناس أكثر من أيِّ أمر آخر سبق؛ ولذا وعد الله نبيّه أنَّه سيعصمه منهم.

ولا يستقيم هذا المعنى مع أيِّ حكم نازل، فإنَّ المعارف والأحكام الدينية في الإسلام ليست جميعها في درجة واحدة، ففيها التي هي عمود الدين، وفيها الدعاء عند رؤية الهلال، وفيها زنى المحصن وفيها النظر إلى الأجنبية، ولا يصح فرض هذه المخافة من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والوعد بالعصمة من النّاس مع كلِّ حكم منها كيفما كان بل في بعض الأحكام.

فليس استلزام عدم تبليغ هذا الحكم لعدم تبليغ غيره من الأحكام إلَّا لمكان أهميته ووقوعه من الأحكام في موقع لو أهمل أمره كان ذلك في الحقيقة إهمالاً لأمر سائر الأحكام، وصيرورتها كالجسد العادم للروح التي بها الحياة الباقية والحس والحركة، وتكون الآية حينئذٍ كاشفة عن أنَّ الله سبحانه كان قد أمر رسوله صلَّى الله عليه وآله بحكم يتمّ به أمر الدين ويستوي به على عريشة القرار، وكان من المترقب أنْ يخالفه الناس ويقلبوا الأمر على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بحيث تنهدم أركان ما بناه من بنيان الدين وتتلاشى أجزاؤه، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يتفرس ذلك ويخافهم على دعوته فيؤخر تبليغه من حين إلى حين، ليجد له ظرفاً صالحاً وجواً آمناً، عسى أن تنجح فيه دعوته ولا يخيب مسعاه، فأمره الله



تعالى بتبليغ عاجل، وبيّن له أهمية الحكم، ووعده أنْ يعصمه من الناس، ولا يهديهم في كيدهم، ولا يدعهم يقلبوا له أمر الدعوة[1].

وإنَّما يتصور تقليب أمر الدعوة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وإبطال عمله بعد انتشار الدعوة الإسلامية لا من جانب المشركين ووثنية العرب أو غيرهم كأنْ تكون الآية نازلة في مكة قبل الهجرة، وتكون مخافة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله من الناس من جهة افترائهم عليه واتهامهم إياه في أمره كما حكاه الله سبحانه من قولهم: ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[2].

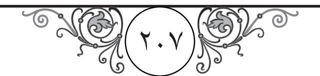
ثانياً: الآية الثالثة من سورة المائدة بين مفاتيح الغيب والميزان

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة، آية: ٣).

بعد أنْ تمَّ الكلام في الآية السابعة والستين من سورة المائدة نحاول الرجوع إلى الغرض الأساسي والمعالم التي توافق عليها المفسرون من مميزات سورة الأنعام، ثُمَّ نعكف على نقل ما بينه الرازي ثُمَّ العلامة

(١) انظر: تفسير الميزان، ج٦، ص ٣٥-٤٥

(٢) سورة الدخان: الآية١٤.



عن الآية الثالثة من سورة المائدة وهي آية إكمال الدين.

والهدف من بيان الغرض من السورة هو إبراز المشترك بين المفسرين حولها حسب ما ذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره على حسب عادته في ذكر الهدف من السورة، فإنَّ الآية هي بنت السورة ولذا تفهم من خلالها الغرض العام للسورة فنذكر هنا بعض مميزات السورة مما ذكره العلامة الطباطبائي متوافقاً مع باقي المفسرين بأنَّ الغرض الجامع من السورة على ما يعطيه التدبر في مفتتحها ومختتمها، وعامة الآيات الواقعة فيها، والأحكام والمواعظ والقصص التي تضمنتها هو الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحقة كائنة ما كانت، والتحذير البالغ عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها، وأنَّ عادته تعالى جرت بالرحمة والتسهيل والتخفيف على من اتقى وآمن ثمَّ اتقى وأحسن، والتشديد على من بغى واعتدى وطغى بالخروج عن ربقة العهد بالطاعة، وتعدى حدود المواثيق المأخوذة عليه في الدين.

ولذلك ترى السورة تشتمل على كثير من أحكام الحدود والقصاص، وعلى مثل قصة المائدة، وسؤال المسيح، وقصة ابني آدم، وعلى الإشارة إلى كثير من مظالم بني إسرائيل ونقضهم المواثيق المأخوذة منهم، وعلى كثير من الآيات التي يمتن الله تعالى فيها على الناس بأُمور كإكمال الدين، وإتمام النعمة، وإحلال الطيبات، وتشريع ما يطهر الناس من غير أنْ يريد بهم الحرج والعسر.

وهذا هو المناسب لزمان نزول السورة، إذ لم يختلف أهل النقل على أنَّها

آخر سورة مفصلة نزلت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله في أواخر أيام حياته وقد ورد في روايات الفريقين، أنَّها ناسخة غير منسوخة، والمناسب لذلك تأكيد الوصية بحفظ المواثيق المأخوذة لله تعالى على عباده وللتثبت فيها[1].

ولندخل الآن إلى تفسير الفخر الرازي لنرى ما يقوله حول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2]، يرى الرازي أنَّ هذه الآية تتحدث عن أكبر نعم الله عزَّ وجلَّ على هذه الأُمَّة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيّهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلَّا ما أحله، ولا حرام إلَّا ما حرّمه، ولا دين إلَّا ما شرعه، وكلُّ شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، ويستشهد بذلك من الآية ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ........﴾[3]، ثُمَّ يورد رواية عليِّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيّه صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم والمؤمنين أنَّه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمّه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً[4]،

---

(١) انظر الميزان: ج٥، ص ١٥٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

(٤) انظر: التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٤٢.



وعن شأن نزول الآية نقل الرازي رواية أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام.

ثُمَّ أورد عدّة روايات تثبت أنَّ يوم نزولها كان يوماً عظيماً قيّمه الرواة على أنَّه عيد للمسلمين، منها رواية ابن جرير بسند مرفوع... إلى أنْ قال كعب: لو أنَّ غير هذه الأُمَّة نزلت عليهم هذه الآية، لنظروا اليوم الذي أُنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه، فقال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أُنزلت فيه، والمكان الذي أُنزلت فيه، نزلت في يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد[1].

ثُمَّ إنَّه يتعرض إلى مسائل يورد فيها احتمالات للآية فيقول في المسألة الثالثة: (قَالَ أَصْحَابُنَا: هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الرَّافِضَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَئِسُوا مِنْ تَبْدِيلِ الدِّينِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾، فَلَوْ كَانَتْ إمامة عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ الله تَعَالَى وقبل رسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -وآله- وَسَلَّمَ نَصًّا وَاجِبَ الطَّاعَةِ لَكَانَ مَنْ أَرَادَ إِخْفَاءَهُ وَتَغْيِيرَهُ آيِسًا مِنْ ذَلِكَ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَكَانَ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ النَّصِّ وَعَلَى تَغْيِيرِهِ وَإِخْفَائِهِ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ لَمْ يَجْرِ لِهَذَا النَّصِّ ذِكْرٌ، وَلَا ظَهَرَ مِنْهُ خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ، عَلِمْنَا أَنَّ ادِّعَاءَ هَذَا النَّصِّ كَذِبٌ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ)

(١) انظر مفاتيح الغيب: ج ١١، ص ١٤٠ -١٤٣.

[1]، ويقـول في المسـألة الرابعـة: إنَّ النبـيَّ لم يعمـر بعـد نـزول الآيـة إلَّا واحـداً وثمانـين أو اثنـين وثمانـين يومـاً.

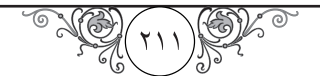
وأمَّا صاحب الميزان

ويؤيـده مـا رواه الـرازي وباقـي المفسريـن في تاريـخ نـزول الآيـة كما في الـدر المنثـور عـن عبـد بـن حميـد عـن الشـعبي قـال: نـزل عـلى النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه هـذه الآيـة - وهـو بعرفـة -: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينكُـمْ﴾[2]، ثـمَّ يـرى أنَّ قولـه: ﴿الْيَـوْمَ يَئِـسَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا مِـنْ دِينِكُـمْ﴾، وقولـه: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينكُـمْ﴾ متقاربتـان مضمونـاً، مرتبطتـان مفهومـاً بـلا ريـب، لظهـور مـا بـين يـأس الكفـار مـن ديـن المسـلمين وبـين إكـمال ديـن المسـلمين، ويسـتدل بتأييـد السـلف والخلـف مـن مفسري الصحابـة والتابعـين والمتأخريـن، إذ أخـذوا الجملتـين متصلتـين يتـمّ بعضهـما بعضـاً وبنـوا عـلى نزولهـما معـاً، واجتماعهـما مـن حيـث الدلالـة عـلى مدلـول واحـد.

وينتـج مـن ذلـك أنَّ هـذه الآيـة المعترضـة أعنـي قولـه: ﴿الْيَـوْمَ يَئِـسَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا مِـنْ دِينِكُـمْ﴾ إلى قولـه: ﴿وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـا﴾ كلام واحـد متصـل بعـض أجزائـه ببعـض مسـوق لغـرض واحـد قائـم بمجمـوع الجملتـين مـن غـير تشـتت، ثـمَّ يتسـاءل عـن المـراد بـه، هـل هـو زمـان ظهـور الإسـلام ببعثـة النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه ودعوتـه، فيكـون المـراد أنَّ الله أنـزل

(١) انظر مفاتيح: ج ١١، ص ٢٨٨.

(٢) انظر: تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٦٧.





إليكم الإسلام؟ وأكمل لكم الدين وأتمَّ عليكم النعمة وأيأس منكم الكفار؟ ويجيب: لا سبيل إلى ذلك لأنَّ ظاهر السياق أنَّه كان لهم دين، كان الكفار يطمعون في إبطاله أو تغييره، وكان المسلمون يخشونهم على دينهم فأيأس الله الكافرين ممَّا طمعوا فيه وآمن المسلمين وأنَّه كان ناقصاً فأكمله الله وأتمَّ نعمته عليهم، ولم يكن لهم قبل الإسلام دين حتى يطمع فيه الكفار أو يكمله الله ويتم نعمته عليهم، ثمَّ يورد استدلالات جميلة نلخصها فيما يلي:

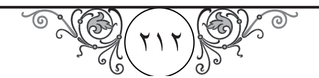
١- لازم ما ذكر من المعنى أنْ يتقدم قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾، على قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، حتى يستقيم الكلام في نظمه[1].

٢- المراد باليوم هو ما بعد فتح مكة حيث أبطل الله فيه كيد مشركي قريش وأذهب شوكتهم، وهدم فيه بنيان دينهم، وكسر أصنامهم، فانقطع رجاؤهم أنْ يقوموا على ساق، ويضادوا الإسلام ويمانعوا نفوذ أمره وانتشار صيته.

لا سبيل إلى ذلك أيضاً فإنَّ الآية تدلُّ على إكمال الدين وإتمام النعمة ولما يكمل الدين بفتح مكة، وكان في السنة الثامنة من الهجرة، فكم من فريضة نزلت بعد ذلك، وكم من حلال أو حرام شرع فيما بينه وبين رحلة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله.

٣- قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعمُّ جميع مشركي العرب ولم يكونوا جميعاً

(١) انظر الميزان: ج ٥، ص ١٦٧



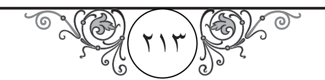
آيسين من دين المسلمين، ومن الدليل عليه أنَّ كثيراً من المعارضات والمواثيق على عدم التعرض كانت باقية وكانوا يحجّون حجّة الجاهلية على سنن المشركين[1]. فتحصل أنَّه لا سبيل إلى ذلك الاحتمال حول يأس الذين كفروا، ثُمَّ يورد احتمالات حول المقصود باليوم إذا لم يراد معناه الوسيع كزمان ظهور الدعوة الإسلامية أو ما بعد فتح مكة من الزمان، أو ما بعد نزول آيات البراءة، فلا سبيل إلَّا أنْ يقال: إنَّ المراد باليوم هو يوم نزول الآية نفسها، وهو يوم نزول السورة إنْ كان قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، معترضاً مرتبطاً بحسب المعنى بالآية المحيطة بها، أو بعد نزول سورة المائدة في أواخر عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وذلك لمكان قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾.

فهل المراد باليوم يوم فتح مكة بعينه؟ أو يوم نزول البراءة بعينه، يكفي في فساده ما تقدم من الإشكالات الواردة على الاحتمالات المتقدمة، أو أنَّ المراد باليوم هو يوم عرفة من حجّة الوداع كما ذكره كثير من المفسرين وبه ورد بعض الروايات.

من جهة أُخرى يدعونا أنْ نتأمل فيما لهذا اليوم -وهو يوم عرفة تاسع ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة- من الشأن الذي يناسب قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ في الآية.

فربما أمكن أنْ يقال: إنَّ المراد به إكمال أمر الحجّ بحضور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بنفسه فيه، وتعليمه الناس تعليماً عملياً مشفوعاً بالقول.

(١) الميزان: ج ٥ ص١٦٩





لكن فيه أنَّ مجرد تعليمه الناس مناسك حجه -وقد أمرهم بحج التمتع ولم يلبث دون أن صار مهجوراً، وقد تقدمه تشريع أركان الدين من صلاة وصوم وحج وزكاة وجهاد وغير ذلك - لا يصحّ أنْ يسمى إكمالاً للدين، وكيف يصح أنْ يسمى تعليم شيء من واجبات الدين إكمالاً لذلك الواجب فضلاً عن أنْ يسمّى تعليم واجب من واجبات الدين لمجموع الدين.

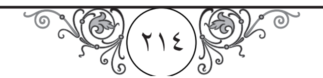
على أنَّ هذا الاحتمال يوجب انقطاع رابطة الفقرة الأُولى أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ بهذه الفقرة أعني قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وأي ربط[1] ليأس الكفار عن الدين بتعليم رسول الله صلَّى الله عليه وآله حج التمتع للناس.

وربما أمكن أنْ يقال: إنَّ المراد به إكمال الدين بنزول بقايا الحلال والحرام في هذا اليوم في سورة المائدة، فلا حلال بعده ولا حرام، وبإكمال الدين استولى اليأس على قلوب الكفار، ولاحت آثاره على وجوههم.

لكن يجب أن نتبصر في تمييز هؤلاء الكفار الذين عبر عنهم في الآية بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على هذا التقدير وأنّهم من هم؟ فإنْ أُريد بهم كفار العرب فقد كان الإسلام عمّهم يومئذٍ ولم يكن فيهم من يتظاهر بغير الإسلام وهو الإسلام حقيقة، فمن هم الكفار الآيسون.

وإنْ أُريد بهم الكفار من غيرهم كسائر العرب من الأُمم والأجيال

(١) الميزان: ج ٥، ص١٧٠.



فقد عرفت آنفاً أنَّهم لم يكونوا آيسين يومئذٍ من الظهور على المسلمين[1].

وبعد ذلك كلِّه يتساءل العلامة الطباطبائي ما معنى قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، هل المراد باليوم واحد من الأيام التي بين عرفة وبين ورود النبيِّ صلَّى الله عليه وآله المدينة على بعض الوجوه المذكورة في معنى يأس الكفار ومعنى إكمال الدين؟ وفيه من الإشكال ما يردّ على غيره على التفصيل المتقدم.

ثُمَّ وقفة عند قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تأمين منه سبحانه للمؤمنين ممَّا كانوا منه على خطر، ومن تسر به على خشية، قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

والكفار لم يكونوا يتربصون الدوائر بالمسلمين إلَّا لدينهم، ولم يكن يضيق صدورهم وينصدع قلوبهم إلَّا من جهة أنَّ الدين كان يذهب بسؤددهم وشرفهم واسترسالهم في اقتراف كلِّ ما تهواه طباعهم، وتألفه وتعتاد عليه نفوسهم، ويختم على تمتعهم بكلِّ ما يشتهون بلا قيد وشرط.

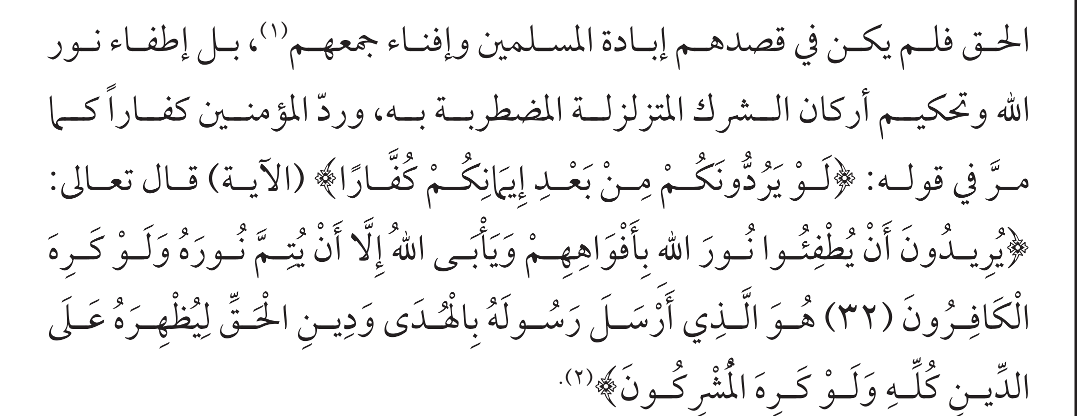
فقد كان الدين هو المبغوض عندهم دون أهل الدين إلَّا من جهة دينهم

(١) انظر الميزان: ج٥، ص١٧١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩.





الحق فلم يكن في قصدهم إبادة المسلمين وإفناء جمعهم[1]، بل إطفاء نور الله وتحكيم أركان الشرك المتزلزلة المضطربة به، وردّ المؤمنين كفاراً كما مرَّ في قوله: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (الآية) قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2].

تحليل ومقارنة

إذا أردنا أن نفهم مصطلحاً قرآنياً لا يسعنا إلَّا أن نجمع كلَّ الآيات القرآنية التي تحكي عن هذا الموضوع.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[3] تشير القرائن الداخلية في الآية الكريمة مع الشواهد الخارجية التي تمثلت بما جاء بشأنها من أخبار من طرق الشيعة والسنة، للتدليل على اختصاصها بغدير خم.

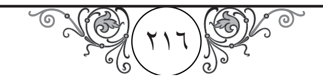
إنَّ البحث في أسباب نزول آيات القرآن يكشف العديد من الحقائق ذلك أنَّ الجانب الرياضي في أسباب النزول أقوى منه في موضوعات

---

(١) راجع تفسير الميزان: ج ٥، ص ١٧٥-١٧٤.

(٢) سورة: الصف: الآية ٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣.



التفسـير الأُخـرى..

ليـس مـن العجيـب أنْ يختلـف المسـلمون في أول آيـات نزلـت عـلى النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، لأنَّهـم لم يكونـوا مسـلمين آنـذاك، ثـمَّ إنَّهـم باسـتثناء القلّـة لم يكتبـوا مـا سـمعوه مـن نبيّهـم في حياتـه، فاختلفـوا بعـده في أحاديثـه وسـيرته.

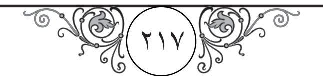
ولهـذا لا نعجـب إذا وجدنـا أربعـة أقـوال في تعيـين أول مـا أنزلـه الله تعـالى مـن كتابـه بأنَّـه سـورة اقـرأ، وأنَّـه سـورة المدثـر، وأنَّـه سـورة الفاتحـة وأنَّـه البسـملة(١).

ولكـنَّ العجيـب اختلافهـم في آخـر مـا نـزل مـن القـرآن، وقـد كانـوا دولـةً وأُمَّـةً ملتفَّـةً حـول نبيِّهـا، وقـد أعلـن لهـم نبيُّهـم صـلَّى الله عليـه وآلـه أنَّـه راحـلٌ عنهـم عـن قريـب، وحـجَّ معهـم حجـة الـوداع، ومـرض قبـل وفاتـه مـدةً، وودّعـوه وودّعهـم.

إنَّ الأغـراض الشـخصيّة والسياسـيّة لم تدخـل في مسـألة أَوّل مـا نـزل مـن القـرآن كـما دخلـت في مسـألة آخـر مـا نـزل منـه.

المتتبـع في المصـادر الحديـث والفقـه والتفسـير يصـل إلى أنَّ سـورة المائـدة آخـر سـورة نزلـت مـن القـرآن وأنَّ آيـة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلـت بعـد إكـمال نـزول جميـع الفرائـض، وأنَّ بعـض الصحابـة حاولـوا أنْ يجعلـوا بـدل المائـدة سـوراً أُخـرى، وبـدل آيـة إكـمال الديـن، آيـات أُخـرى!

(١) الإتقان للسيوطي: ١، ٩١.



قول المفسرين السنة الموافق لقول أهل البيت عليهم السلام:

١- أحاديثهم في بيعة الغدير تبلغ المئات، وفيها صحاح من الدرجة الأُولى عندهم وقد جمعها عددٌ من علمائهم القدامى منهم الطبري المؤرخ في كتابه (الولاية)، فبلغت طرقها ونصوصها عنده مجلدين، وتنص رواياتها على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله أصعد علياً معه على المنبر، ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما، وبلغ الأُمَّة ما أمره الله فيه.. إلخ.

وقد انتقد الطبري بعض المتعصبين السنة لتأليفه هذه الكتب في أحاديث الغدير، التي يحتج بها الشيعة عليهم، ويجادلونهم بها عند ربِّهم.

٢-وتنصّ بعض روايات الغدير عندهم على أنَّ آية إكمال الدين نزلت في الجحفة يوم الغدير بعد إبلاغ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ولاية عليٍّ عليه السَّلام، لكنْ ينبغي الالتفات إلى أنَّ أكثر السنة الذين صحّت عندهم روايات الغدير، لم يقبلوا الأحاديث القائلة بأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير، بل أخذوا بقول عمر ومعاوية، أنَّها نزلت يوم عرفة.

وعنصر التوقيت هنا يرجح قول أهل البيت عليهم السلام والروايات السنية الموافقة لهم، مضافاً إلى المرجحات الأُخرى.

٣-إنَّ المجمع عليه عند جميع المسلمين أنَّ يوم نزول الآية عيدٌ إلهيٌّ عظيم (عيد إكمال الدين وإتمام النعمة)، فهو مرتبطٌ بإتمام الله تعالى نعمة الإسلام كلِّه على الأُمَّة، وقد تحقق في رأي علماء السنة بتنزيل أحكام الدين وإكماله من دون تعيين آلية لقيادة مسيرته.

وتحقق في رأي علماء الشيعة بإكمال تنزيل الأحكام، ونعمة الحلّ الإلهي لمشكلة القيادة، وإرساء نظام الإمامة إلى يوم القيامة، في عترة خاتم النبيين صلَّى الله عليه وآله.

إنَّ اليوم الذي تتحدث عنه الآية الشريفة له خصائص أربع مهمة:

١ - إنَّ هذا اليوم هو اليوم الذي شعر فيه الكفّار والمشركون باليأس الكامل.

٢ - اليوم الذي أكمل الله لكم الدين.

٣ - اليوم الذي أتمّ الله تعالى نعمته على جميع المسلمين.

٤ - اليوم الذي رضي به الله تعالى أنْ يكون الإسلام ديناً خالداً لجميع الناس، فأيّ يوم هذا اليوم المبارك الذي يتمتع بهذه الخصوصيات الأربع؟

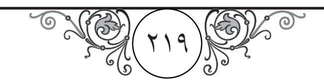
وللإجابة عن هذا السؤال يمكننا اختيار طريقين:

نتساءل مع أيِّ حادثة من الحوادث التاريخية في زمن النزول يمكن تطبيق هذه الآية الشريفة؟

وفي مقام الإجابة عن هذا السؤال فالفخر الرازي له رأيان:

النظرية الأُولى: وهي إحدى النظريات التي ذكرها الفخر الرازي في تفسيره للآية

الواردة في هذه الآية لم ترد بمعناها الحقيقي بل وردت - اليوم -





الشريفـة، وهـي أنّ كلمـة

أو البرهـة مـن الزمـان لا - المرحلـة - هنـا تعني - اليـوم - بالمعنـى المجازي، أي أنّ كلمة

مقطع خاص منه بما يحكي عن ليلة ونهار واحد.

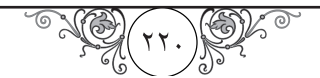
وطبقـاً لهـذه النظريـة فـإنّ (اليـوم) هنـا لا يقصـد بـه يـوم معـين أو حادثـة خاصـة بـل يشـير إلى بدايـة مرحلـة تحكـي عـن عظمـة الإسـلام ويـأس الأعداء والكفّـار مـن تحقيـق النـصر، هـو (اليـوم) عـلى هـذه الدعـوة السـماوية.

ولكـنَّ الجـواب عـن هـذه النظريـة واضـح لأنَّ المعنـى المجـازي يحتـاج إلى قرينـة لـصرف الاسـتعمال عـن المعنـى الحقيقـي، فـما هـي هـذه القرينـة الواضحـة التـي اسـتند عليهـا الفخـر الـرازي للقـول بالمعنـى المجـازي؟

النظريـة الثانيـة: إنَّ المـراد بكلمـة اليـوم في الآيـة الشريفـة هـو المعنـى الحقيقـي، أي هـو الثامـن مـن شـهر ذي الحجّـة، في حجـة الـوداع في (يـوم عرفـة) يـوم خـاص ومعـين مـن السـنة العـاشرة للهجـرة.

ولكـنَّ هـذه النظريـة بدورهـا لا تتضمـن إقناعـاً كافيـاً لأنّ يـوم عرفـة في السـنة العـاشرة للهجـرة لا يختلـف عـن أيـام عرفـة الأُخـرى في السـنة التاسـعة والثامنـة للهجـرة، ولـو لم تحـدث في هـذا اليـوم حادثـة خاصـة فكيـف ذكرتـه الآيـة الشريفـة بلغـة التعظيـم والتبجيـل؟

والخلاصـة هـي أنّ هـذه النظريـة غـير مقبولـة وغـير منطقيـة وعليـه فـإنّ كلتـا النظريتـين للفخـر الـرازي لا تعيننـا في اسـتجلاء مضمـون الآيـة الشريفـة



واكتشاف السرّ المستودع فيها.

مورد هذه الآية الشريفة الذي هو تفسير الطباطبائي جميع مفسري الشيعة وعلمائهم.

في هذه الآية الكريمة المراد من كلمة (اليوم)هو اليوم الذي يئس فيه الكفّار واستوجب رضى الله تعالى وكمل فيه الدين وتمّت فيه النعمة هو اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة أي يوم عيد الغدير، وهو اليوم الذي نصب فيه رسول الله الإمام عليّاً عليه السَّلام خليفة له على المسلمين وأعلن فيه خلافته وولايته بصورة رسمية.

سؤال: هل هذه النظرية تتطابق مع مضمون الآية الشريفة؟

الجواب: إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى هذه الآية الشريفة وابتعدنا عن المسبوقات الفكرية والرواسب التراثية لرأينا الآية الشريفة تنطبق تماماً على واقعة الغدير لأنَّها:

أولاً: لأنّ أعداء الإسلام بعد أن فشلوا في جميع مؤامراتهم وانهزموا في حروبهم ضدَّ الإسلام والمسلمين وفشلت خططهم في بثّ التفرقة والاختلاف في صفوف المسلمين، فإنّهم لم يبقَ لهم سوى شيء واحد يحيي أملهم في الانتصار والتغلب على هذا الدين الجديد، وهو أنَّ النبيَّ الأكرم بعد رحيله من هذه الدنيا وخاصة مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّه لم يكن له ولد يخلفه في أمر الدعوة واستمرارية الرسالة ولم يعيّن لحد الآن خليفة

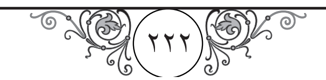


له من بعده فيمكنهم والحال هذه أنْ يسددوا ضربة قاصمة للإسلام والدعوة السماوية بعد رحيل الرسول صلَّى الله عليه وآله، ولكنّهم عندما شاهدوا أنّ النبيَّ الأكرم قد جمع المسلمين في صحراء غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة في السنة العاشرة للهجرة واختار خليفة له على المسلمين وهو أعلمهم وأقدرهم في تدبير أُمور المجتمع الإسلامي فإنّ أملهم هذا قد تبدّل إلى يأس كامل، وتبخرت حينذاك طموحاتهم وتمنياتهم وأغلقت فيه النافذة الوحيدة للأمل لديهم فيئسوا من هزيمة الإسلام إلى الأبد.

ثانياً: مع انتخاب الإمام عليٍّ عليه السَّلام خليفة ووصياً للرسول فإنّ النبوّة لن تنقطع، بل استمرت في سيرها التكاملي لأنَّ الإمامة هي تكميل للنبوّة، وعليه فالإمامة هي السبب في كمال الدين، وعلى هذا الأساس فإنَّ الله تعالى قد أكمل دينه بنصبه الإمام عليّاً عليه السَّلام خليفة على المسلمين وهو الشخصية المتميزة من بين المسلمين بالعلم والقدرة والتقوى والفضيلة بما لا يدانيه أحد بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

ثالثاً: إنَّ النعم الإلهية قد تمّت على المسلمين بنصب الإمام عليٍّ عليه السَّلام خليفة وإماماً بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

رابعاً: إنّ الإسلام بلا شك سوف لا يكون ديناً عالمياً وشمولياً وخاتم الأديان بدون عنصر الإمامة، لأنَّ الدين الذي يعتبر نفسه خاتم الأديان يجب أن يتضمن إجابات كافية لحاجات الناس المتكثرة والمتوالية في جميع الأزمان، وهذا المعنى لا يتسنى من دون إمام معصوم في كلِّ زمان من



الأزمنة.

والنتيجة هي أنَّ تفسير الآية الشريفة بواقعة الغدير هو التفسير الوحيد والمقبول من جميع الجهات.

وأمَّا المراد من إكمال الدين فقد ذكر المفسرون في تفسير هذا المقطع من الآية الشريفة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ثلاث نظريات:

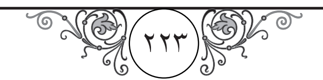
١- إنَّ المراد من الدين هو القوانين، أي أنَّ ذلك اليوم كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد في الإسلام خلل قانوني وفراغ تشريعي بعد الآن.

ولكنّ الجواب عن هذه النظرية يمكن أنْ يثير سؤالاً مفاده: ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التي وقعت في ذلك اليوم وأدّت إلى تكميل القوانين الإلهية والتشريعات السماوية؟

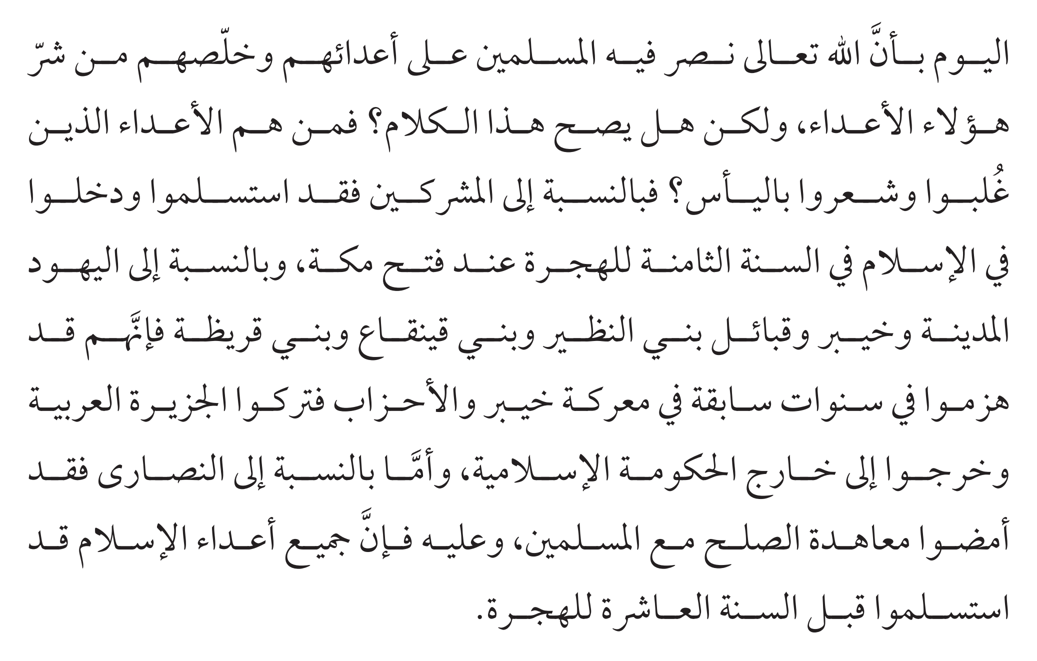
وفي الجواب عن هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ومدلولها.

٢- المقصود من كلمة الدين في الآية الشريفة هو الحجّ، أي أنّ الله تعالى قد أكمل حج المسلمين في ذلك اليوم العظيم، ولكن هل أنّ الدين يستعمل بمعنى الحج واقعاً، أو أنّ الدين هو مجموعة العقائد والأعمال والعبادات التي يشكل الحج أحدها؟ من الواضح أنَّ احتمال الثاني هو الصحيح، وعليه فإنَّ تفسير الدين بمعنى الحج هو تفسير غير مقبول ولا يقوم على دليل متين.

٣- إنَّ تحقق مضمون الآية الشريفة في إكمال الدين وإتمام النعمة في هذا





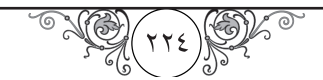


اليوم بأنَّ الله تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلّصهم من شرّ هؤلاء الأعداء، ولكن هل يصح هذا الكلام؟ فمن هم الأعداء الذين غُلبوا وشعروا باليأس؟ فبالنسبة إلى المشركين فقد استسلموا ودخلوا في الإسلام في السنة الثامنة للهجرة عند فتح مكة، وبالنسبة إلى اليهود المدينة وخيبر وقبائل بني النظير وبني قينقاع وبني قريظة فإنَّهم قد هزموا في سنوات سابقة في معركة خيبر والأحزاب فتركوا الجزيرة العربية وخرجوا إلى خارج الحكومة الإسلامية، وأمَّا بالنسبة إلى النصارى فقد أمضوا معاهدة الصلح مع المسلمين، وعليه فإنَّ جميع أعداء الإسلام قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة.

نعم، بقي خطر المنافقين الذين يمثّلون أخطر أعداء الإسلام حيث ما زال خطرهم ماثلاً أمام المسلمين، ولكنْ كيف يمكن القول بأنَّهم قد انهزموا وأصابهم اليأس؟ هنا نجد أنَّ هذا السؤال بقي بلا جواب مقنع كما هو حال السؤال المطروح في النظرية الأُولى والذي لم يتقدم أصحاب هذه النظرية بالجواب عن هذا السؤال.

أمَّا تفسير علماء الشيعة فكما تقدم آنفاً فإنّه يجيب عن جميع الأسئلة ويلقي ضوءاً خاصاً على مفهوم الآية وأجوائها.

اعتراف جذّاب من الفخر الرازي أنّه لما نزلت هذه الآية على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لم يعمر بعد نزولها إلَّا واحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً، ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتّة.



وعلى وفق مقولة الفخر الرازي يمكن حدس وقت نزول الآية الشريفة، والنتيجة هي أنَّ القرائن المختلفة التي تحفّ بهذه الآية الشريفة تشير إلى أنَّ هذه الآية تتعلّق بواقعة الغدير وأنَّها نزلت في شأن خلافة أمير المؤمنين الإمام عليٍّ عليه السَّلام.

أمَّا بشأن آية التبليغ الآية الثالثة من سورة المائدة:

فيمكن التساؤل عن أنّ بداية الآية الثالثة من سورة المائدة تتحدث عن اللحوم المحرمة وآخرها تتحد ث عن الاضطرار والضرورة وأحكامها، وفيما بينها تتحدث الآية عن الولاية والإمامة، فأيُّ تناسب وانسجام بين مسألة الولاية والإمامة وخلافة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله مع مسألة اللحوم المحرمة وحكم الاضطرار والضرورة ألَّا يكون.

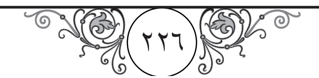
الجواب: إنّ آيات القرآن الكريم لم ترد بصورة كتاب منظم كما هو الحال في الكتب المتعارفة الكلاسيكية، بل نزلت متفرقة وعلى فترات مختلفة، وقد تكون آيات سورة واحدة قد نزلت في أوقات متباينة، وكان النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله يوصي بكتابة كلِّ آية في سورة معينة، وعلى هذا الأساس فيمكن أنْ يكون صدر الآية الذي يتحدث عن الأسئلة التي كان المسلمون يسألون النبيَّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله عنها وعن اللحوم المحرمة قد نزل قبل واقعة الغدير، وبعد مدّة حدثت واقعة الغدير ونزلت آية التبليغ وذكرها كتّاب الوحي بعد آية تحريم اللحوم، ثمَّ حدثت مسألة الاضطرار أو حدث مصداق من مصاديقها وحكم هذا الاضطرار، لذلك نجد أنَّ ذيل الآية الشريفة يتضمن هذا

الحكم الشرعي، وقد كتبه كتّاب الوحي بعد الحديث عن واقعة الغدير المذكورة في وسط الآية، وبملاحظة النكتة السابقة فليس بالضرورة أنْ يكون هناك انسجام معين في سياق الآية الشريفة، ومع الالتفات إلى هذه الملاحظة سوف تحل كثير من الشبهات والإشكالات حول هذه الآية، فضلاً عن أنَّ الأحاديث والروايات الشريفة الواردة في شأن نزول هذه الآية الشريفة كثيرة، وقد ذكر العلاّمة الأميني في كتابه القيم (الغدير) هذه الروايات مع الأبحاث المتعلّقة بها بصورة واسعة، فقد أورد حديث الغدير في هذا الكتاب من مائة وعشرة رواة من أصحاب النبيِّ، مضافاً إلى ذلك فقد نقله من ثمانين شخصاً من التابعين أيده فيها كثير من علماء السنة ومفسريهم خلصنا منها إلى أنَّ:

١- آية البلاغ تصرّح بقضية مهمّة جداً، وهي أنَّ ترك تنصيب عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام هو ترك لتبليغ الرسالة بأكملها.

٢-ممّا يؤكد أهميتها هو ما نجده واضحاً في أقوال الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله بعد تبليغ مقام الولاية وتعيين الولي للناس، حيث قال صلَّى الله عليه وآله: «فليبلغ الشاهد الغائب»[1] قد بلغت التواتر، بالإضافة إلى ما يكتنف الآية المباركة من القرائن الحالية الكثيرة والواضحة الدالة على أهمية هذا الأمر وتأثيره المباشر على مسيرة الإسلام كنزوله صلَّى الله عليه وآله في حرّ الهجير، وأمره صلَّى الله عليه وآله برجوع مَن تقدَّم وتقدُّم مَن تأخّر، مضافاً إلى حضور ذلك الجمّ الغفير من الصحابة والمسلمين

(١) انظر: لسان الميزان، ابن حجر: ج١ ص٣.



الذين حضروا لأداء مناسك الحج من سائر أطراف البلاد الإسلامية.

٣- دلالتها على تحديد معالم الأطروحة أنّ آية البلاغ التي بلّغها الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله في أواخر حياته، جاءت تحمل في طياتها الإشارة إلى قضية مهمّة جدّاً في الدين الإسلامي، وهي تحديد معالم أطروحة الإمامة في الإسلام، مؤكدة على أنَّ الإمامة شاملة لكلِّ الأبعاد القيادية السياسية منها والحكومية والمرجعية وغيرها، وأنَّ منصب الخلافة والحكومة يمثل أحد أبعاد الإمامة، وهذا هو موضع النزاع مع أتباع مدرسة الخلفاء، حيث إنّهم يختزلون دور الإمام في الحاكمية فقط، فإذا لم يستلم الحكومة لا يكون إماماً، على خلاف معتقد الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي تعتقد أنَّ منصب الحاكمية يمثّل أحد أبعاد الإمامة لا جميعها.

٤- دلالتها على الإعلان الرسمي بالولاية والإمامة

إنّ آية البلاغ جاء تبليغها بصيغة الإعلان الرسمي للولاية والإمامة والتتويج العام للإمام عليٍّ عليه السَّلام أمام المسلمين، ويشهد لذلك كيفية التبليغ، حيث أمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله الناس بأن يجتمعوا، وجمعت له صلَّى الله عليه وآله أقتاب الإبل وارتقاها آخذاً بيد أخيه عليٍّ عليه السَّلام أمام الملأ صادعاً بإبلاغ الولاية، وطلب بنفسه البيعة من الناس لعليٍّ عليه السَّلام، وبادر الناس لبيعته عليه السَّلام وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، وهنؤوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وعليّاً عليه السَّلام، وأوّل من تقدم بالتهنئة والبخبخة، أبو بكر ثمَّ عمر بن الخطاب وعثمان[1]،

(١) انظر المصادر: مسند أحمد: ج٤ ص ٢٨١؛ المعجم الكبير: ج٥ ص ٢٠٣؛ فيض القدير

وروى الطبري عن زيد بن أرقم أنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قال للناس آنذاك: «قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤديه إلى أولادنا وأهلنا لا نبتغي بذلك بدلاً»[1].

والحاصل: لو اقتصر في تبليغ الإمامة على تلك البيانات الخاصة للرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله والمقتصرة على حضور بعض الصحابة، لضاعت وأصبحت روايات ضعافاً، ولما وصلت إلينا بشكل واضح ومتواتر كما جاءتنا آيات وروايات البلاغ، وذلك بسبب منع تدوين حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله في عهد الخلفاء ولتولي بني أُمية وأعداء أهل البيت عليهم السَّلام تدوين الحديث فيما بعد؛ ولذا كان تبليغها في واقعة الغدير كفيلاً بأن يجعلها تصل إلى حدّ التواتر وإجماع المسلمين الذي لا يمكن تجاوزه.

وأخيراً ترجح تفسير الطباطبائي على الفخر الرازي ذلك لأنَّه فصّل مفردات الآيات وتقسمها، فأخذ القسم الأول من تعريف الإمامة ومحوريتها حول الهداية وقسمه إلى قسميه المعروفين وهما الإراءة للطريق والإيصال للمطلوب أو الهداية التشريعية والتكوينية، ثمَّ بنى على ذلك فاختار من الهدايتين الثانية وهي الإيصال إلى المطلوب تكوينياً وبالطبع فالأمر سيكون تكوينياً كذلك لأنَّه هو المناسب للهداية بمعنى الإيصال

شرح الجامع الصغير: ج٦ ص ٢٨٢ ح ١٢٠؛ تذكرة الخواص: ص٣٦؛ نظم الدرر ص ١٠٩؛ شواهد التنزيل الحاكم للحسكاني: ج١ ص ٢٠٠

(١) انظر: كتاب الولاية: محمد بن جرير الطبري: ص ٢١٤- ,٢١٦.

إلى المطلـوب، ولا يمكـن أنْ يكـون الأمـر تشريعياً مـع كـون الهدايـة تكوينيـة ولم يختـر الأمـر التشريعـي.

المصادر

١ - القرآن الكريم

٢- تفسـير الميـزان، محمـد حسـين الطباطبائـي، منشـورات مؤسسـة الأعلمـي، بـيروت.

٣- مفاتيـح الغيـب التفسـير الكبـير، النـاشر، دار الفكـر، فخـر الديـن الـرازي، ١٤٠١ - ١٩٨١، عـدد المجلـدات: ٣٢، الطبعـة الأُولى.

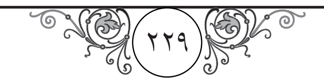
٤- مفاتيـح الغيـب التفسـير الكبـير، المؤلـف: أبـو عبـد الله محمّـد بـن عمـر بـن الحسـن بـن، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت الطبعـة: الثالثـة، ١٤٢٠ هـ.

٥- الإتقـان في علـوم القـرآن، السـيوطي، تـوفي ٩١١، طبعـة مـصر، تحقيـق: أبي الفضـل إبراهيـم.

٦- الاحتجـاج: الشـيخ الطـبرسي، تـوفي ٥٤٨، طبعـة النجـف الأشرف، العـراق.

٧- بحـار الأنـوار: العلامـة المجلـسي، تـوفي ١١١١، مؤسسـة الوفـاء، بـيروت.

٨- تفسـير الكشـاف: جـار الله الزمخشري، تـوفي ٥٢٨، منشـورات البلاغـة،



قم، مصورة عن الطبعة المصرية، ١٣٠٧.

٩- دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري - مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٨.

١٠- عيون أخبار الرضا: الصدوق، توفي سنة ٣٨١، منشورات الأعلمي طهران - ١٣٩٠.

١١- مجمع البحرين للعلامة فخر الدين بن محمد الطريحي، الطبعة الثانية ١٣٦٥ ش، مكتبة المرتضوي، طهران، إيران.

سبب نزول آيتي الإبلاغ والإكمال عند المسلمين دراسة نقدية

د. علي عبد الرزاق هادي

المقدمة

يدور البحث حول سبب نزول ايتي الإبلاغ و إكمال الدين في سورة المائدة لإيجاد السبب الصحيح لنزولها من خلال ما ورد عند المسلمين حول سبب نزولهما ولا يخفى على القارئ الكريم ان البحث يصب في حديث الغدير المتواتر عند المسلمين فللآيتين دور كبير في بيان معنى حديث الغدير او بعبارة اوضح معنى المولى الواردة في الحديث الشريف وتوجد محاولات كثيرة لصرف الايتين عن حديث الغدير كي لا يتعين معنى المولى الوارد في الحديث؛ لان وجوب الإبلاغ الوارد في الآية الكريمة و إكمال الدين الوارد في الآية الثانية لهما دلالة واضحة على ان المولى يعني المشرع والمعصوم الذي له نفس صلاحيات الرسول الأكرم ص الا انه لا نبي بعده.

تمهيد

تقرر ان يكون البحث المتواضع على ثلاثة مباحث وخاتمة فالمبحث الأول يتكلم عن نزول سورة المائدة؛ لانه يدخل بشكل مباشر في اثبات سبب نزول الايتين والمبحث الثاني يتكلم عن اية الإبلاغ و الثالث عن

اية إكمال الدين وفي النهاية خاتمة البحث والتي يتمخض عنها نتائج البحث.

طريقة البحث

اما طريقة البحث فهي تحليلية نقدية استنباطية من خلال ما ورد في كتب المسلمين في كتب الحديث او التفسير و يرتكز البحث على كتب السنة؛ لان الشيعة ثابت عندهم نتائج هذا البحث فلا داعي للتركيز على كتبهم ورواياتهم كي لا يطول المقام بنا ولا ندخل في تحصيل الحاصل.

المبحث الأول

كيفية نزول سورة المائدة

تكاد ان تتفق الأمة على نزول سورة المائدة في حجة الوداع دفعة واحدة لورود مجموعة أحاديث عند الفريقين حول نزولها على رسول الله ص دفعة واحدة وهو راكب على ناقته واليك بعض هذه الأحاديث:

١ - روى الإمام احمد باسناده «أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا». ١

٢ - وروى المجلسي باسناده «عن علي عليه السلام قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بآخره، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها

ولم ينسخها شيئ، فلقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء وثقل عليها الوحي حتى وقف وتدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض». ٢

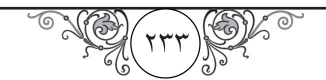
٣ – وروى الإمام احمد بالتحديث و الاخبار « عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لآخذة بزِمَام العَضْباء ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تَدُقّ عَضُد الناقةَ «. ٣

٤ – وروى البويصري خمس أحاديث في هذا الباب منها ما رواه عن ابي يعلى الموصلي» عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت المائدة جميعاً وأنا آخذة بزمام ناقة رسول العضباء، وكادت من ثقلها أن تدق عضد الناقة»٤.

٥ – وروى الطبري باسناده مجموعة أحاديث تدل على نزولها دفعة واحدة يوم عرفة منها ما رواه « عن عكرمة: أن عمر بن الخطاب قال: نزلت»سورة المائدة» يوم عرفة، ووافق يوم الجمعة»٥.

بالاضافة الى نقل أحاديث اخرى عن السنة٦ في هذا الباب كلها تدل على نزول سورة المائدة دفعة واحدة في حجة الوداع يقول الماوردي في كتابه النكت والعيون: «واختلف فى وقت نزول هذه السورة على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في يوم عرفة، روى شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت سورة المائدة جميعاً وأنا آخذة بزمان ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء وهو واقف بعرفة فكادت من ثقلها أن تدق عضد الناقة.





والثاني: أنها نزلت فى مسيره صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وهو راكب، فبركت به راحلته من ثقلها.

والثالث: أنها نزلت يوم الاثنين بالمدينة، وهو قول ابن عباس، وقد حُكِيَ عنه القول الأول»٧ مما يعني الاتفاق على نزولها جملة واحدة في شهر ذي الحجة وانما الاختلاف في اليوم الذي نزلت فيه.

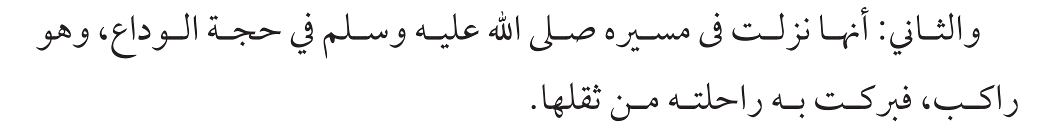
ومما تقدم يتبين ان سورة المائدة نزلت دفعة واحدة في حجة الوداع ويرجح الطبري نزولها يوم عرفة كما تقدم.

المبحث الثاني

سبب نزول آيه الإبلاغ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. ٨

عند تدبر هذه الآية الكريمة مع ملاحظة المبحث السابق يتحتم أن نقول بأن الله أوجب على رسوله إبلاغ أمر مهم غير القرآن نفسه؛ لأنك عرفت آنفاً انها نزلت في اخر ايام حياة الرسول الأكرم ص اي ان الرسول ابلغ كل القرآن الكريم قبل هذه السورة وهذه السورة على احسن الاحتمالات تشكل ٥٪ من القرآن الكريم أي ان النبي ص ابلغ ٩٥٪ من القرآن بدون اي مشكلة او خوف او اي شيء اخر فما الذي تتكلم عنه الآية الكريمة وقد التفت ابن عاشور لهذه المعضلة الكبيرة

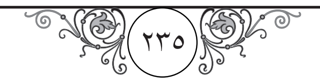


فقال: « إنّ موضع هذه الآية في هذه السورة معضل، فإنّ سورة المائدة من آخر السور نزولاً إن لم تكن آخرها نزولاً، وقد بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريعة وجميعَ ما أنزل إليه إلى يوم نزولها، فلو أنّ هذه الآية نزلت في أوّل مدّة البعثة لقلنا هي تثبيت للرسول وتخفيف لأعباء الوحي عنه، كما أنزل قوله تعالى: ﴿فاصْدَعْ بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين﴾ ٩ وقوله: ﴿إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً إلى قوله ﴿واصبِر على ما يقولون﴾ ١٠ الآيات، فأمّا وهذه السورة من آخر السور نزولاً وقد أدّى رسول الله الرسالة وأُكْمِل الدّينُ فليس في الحال ما يقتضي أن يؤمر بتبليغ»١١ لذا يرى البحث أن الذي يتلاءم مع نص الآية الكريمة والقرائن المحيطة بها هو ان يكون موضوع الآية شيئاً اخر غير ابلاغ آيات قرآنية وهو الذي ينسجم مع اعلان الولاية للأمة الإسلامية في حجة الوداع.

ويؤيد ذلك مجموعة أحاديث منها:

١ – «أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم، في علي بن أبي طالب «. ١٢

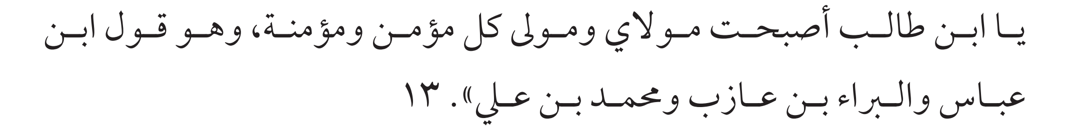
٢ – يقول الرازي: « نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: « من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه « فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك

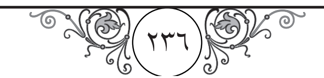


يا ابن طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي». ١٣

٣ - يقول شهاب الدين الآلوسي في تفسيره:» وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية في علي كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه أن يخبر الناس بولايته فتخوّف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسلام: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأخرج الجلال السيوطي في «الدر المنثور» عن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر راوين عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم في علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَعْمَلُونَ ياأيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ إن علياً ولي المؤمنين ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ «. ١٤

مع أن الآلوسي يتهم الشيعة بقوله:» وأخرج الشيعة عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله تعالى وجهه في غدير خم: من كنت مولاه فعلى مولاه فلما نزلت قال عليه الصلاة والسلام: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وولاية علي كرم الله تعالى وجهه بعدي، ولا يخفى أن هذا





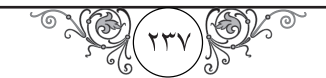
من مفترياتهم «. ١٥ ثم أنه روى الحديث عن كتبهم في نفس تفسيره فلا مجال لما يسميه بمفتريات الشيعة إلا أن حميته المذهبية دعته لاتهام الشيعة بالافتراء ثم أن الله اجرى الحق على لسانه من حيث لا يعلم فقد روى نفس الحديث الذي ادعى أنه من مفترياتهم.

٤ - يروي الثعالبي « عن ابن عباس في قوله ﴿الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ قال: نزلت في علي (رضي الله عنه) أمر النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن يبلغ فيه فأخذ (عليه السلام) بيد علي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه «. ١٦

٥ - ووافقهم ابن كثير بقوله:» إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسِيره إلى حجة الوداع. ثم رواه من طريق أبى جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس.

قلت: وقد روى ابن مَرْدُويه من طريق أبي هارون العَيْدي، عن أبي سعيد الخدري؛ أنها أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غَدِير خُم حين قال لعلي: من كنتُ مولاه فَعَلِيٌّ مولاه. ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع «. ١٧

٦ - يروي الواحدي بإسناده عن: « أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - يوم غدير خم في علي بن أبي طالب رضى الله عنه». ١٨



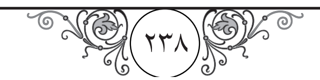


٧ - «أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ أن علياً مولى المؤمنين ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾». ١٩

زد على ذلك أن الواو في قوله تعالى والله يعصمك عاطفة وليست إستئنافية مما ينفي ما ورد في بعض الأحاديث كما سيأتي من انها تدل على حفظ رسول ص؛ لان الحفظ كان في مرحلة متقدمة وخاصة في مكة حيث أن الرسول الأكرم ص بلغ ثلثي القرآن في مكة مع كون الواو عاطفة لا يمكن استقطاع الآية والاستدلال بها يقول صافي محمود في اعراب هذه الآية الكريمة:» و جملة «اللهّ يعصمك... »: لا محلّ لها معطوفة على جواب النداء» ٢٠ يقصد مطلع الآية قوله تعالى: يا أيها الرسول.

وقد رويت مجموعة أحاديث تحاول ربط قوله تعالى والله يعصمك من الناس بخوف الرسول ص من الاغتيال حين ابلاغ الوحي وقد تقدم كلام ابن عاشور حول الآية الكريمة اضف الى ذلك أن سورة المائدة نزلت جملة واحدة في يوم عرفة كما تقدم فالأحاديث التي تتحدث عن حفظ الرسول ص وربطها بالعصمة المذكورة في الآية الكريمة غلفت عن وقت نزول الآية الكريمة وحاولت بجهود حثيثة تغيير القرائن والسياق كي لا تدل على ولاية الإمام علي عليه السلام.

وقد رويت مجموعة وقائع وأحداث في مكة ومدينة تدل على أن الرسول الأكرم ص محفوظ بأمر الله فلا داعي أن تنزل الآية في اخر ما

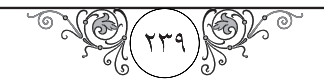


نـزل مـن القـرآن منهـا مـا رواه البخـاري بإسـناده عـن « ابْـنُ عَبَّـاسٍ قَـالَ أَبُـو جَهْـلٍ لَئِـنْ رَأَيْـتُ مُحَمَّـدًا يُصَـلِّي عِنْـدَ الْكَعْبَـةِ لأَطَـأَنَّ عَـلَى عُنُقِـهِ فَبَلَـغَ النَّبِـيَّ – صـلى الله عليـه وسـلم – فَقَـالَ لَـوْ فَعَلَـهُ لأَخَذَتْـهُ الْمَلاَئِكَـةُ «. ٢١

ويبـدو أن محاولـة توجيـه قولـه تعـالى والله يعصمـك مـن النـاس لـه شـاهد حديثي نقلـه السـيوطي بقولـه: « وأخـرج الطـبراني وأبـو الشـيخ وأبـو نعيـم في الدلائـل وابـن مردويـه وابـن عسـاكر عـن ابـن عبـاس قـال كان النبـي صـلى الله عليـه وسـلم يحـرس، وكان يرسـل معـه عمـه أبـو طالـب كل يـوم رجـلاً مـن بني هاشـم يحرسـونه، فقـال: يـا عـم، إن الله قـد عصمني لا حاجـة لي إلى مـن تبعـث «. ٢٢ ومـن ثـم اضيفـت الآيـة لهـذه الواقعـة واعتبرهـا الـرواة هـي سـبب نـزول الآيـة كـي لا يقعـوا في معضلـة قولـه تعـالى بلـغ مـا انـزل اليـك وغفلـوا عـن باقـي القضايـا اليقينيـة المحيـط بالآيـة كنزولهـا في حجـة الـوداع وقـد بلـغ الرسـول القـرآن في اصعـب واشـد الحـالات.

لـذا قـال ابـن كثـير في هـذه الايـة:» الصحيـح أن هـذه الآيـة مدنيـة، بـل هـي مـن أواخـر مـا نـزل بهـا «. ٢٣ فـلا تنسـجم مـع مـا ذكـر في بعـض الكتـب مـن انهـا نزلـت في مكـة زد عـلى ذلـك اذا قلنـا ان الآيـة تتكلـم عـن الحفـظ الالهـي للنبـي ص حتـى لـو كانـت آخـر مـا نـزل فهـذا غـير معقـول ولا متناسـب مـع البلاغـة القرآنيـة باعتبـار ان يجـب أن يحصـل عقـلاً بدايـة الدعـوة الإسـلامية لـذا هـذا النوع مـن الأحاديـث مـردود لمخالفتـه للثابـت قرآنيـاً وحديثيـاً وحتـى عقليـاً مـن أن الحفـظ كان في بدايـات الدعـوة الإسـلامية وذكرنـا نموذجـاً لـه.

مـن امثلـة هـذه الأحاديـث مـا رواه البيهقـي في سـننه عـن: «عائشـة قالـت





كان النبي صلى الله عليه و -وآله- سلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس﴾ فاخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله، ورواية الهلالي فقال لهم ايها الناس (قال الشافعي) يعصمك من قتلهم ان يقتلوك حتى تبلغهم ما انزل اليك فبلغ ما امر به فاستهزأ به قوم فنزل ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئ﴾ «٢٤ وقد عرفت أن النبي ص محفوظ بأمر الله تعالى ثم تأمل تعليق الشافعي على الآية الكريمة فهو يستشهد بقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر « و لا يختلف اثنان على أن نزول هذه الآية في مكة في بدايات الدعوة الإسلامية وهي تتحدث عن اعلان الدعوة المتضمن حفظ معلنها اذ أنه ص عليه أن يلعنها في قلب الشرك والجاهلية المقيتة فكأن الشافعي رد على نفسه من حيث لا يعلم.

وافترى الآلوسي على الشيعة بقوله: « ونسب إلى الشيعة أنهم يزعمون أنه عليه الصلاة والسلام كتم البعض تقية « ٢٥ فلم يذكر الجهة المفترية على الشيعة ولا المصدر الشيعي الذي يزعم تلك الفرية كأنه مصر على زرع الفتنة بين المسلمين وهو خبير بأن هذه الافتراءات تحتاج الى ادلة من امهات الكتب الشيعية زد على ذلك أن حديث الغدير المتواتر وذكر خلافة الإمام علي عليه السلام من بدايات الدعوة الى حجة الوداع دليل واضح على أنه ص لم يكتم الولاية ولا يحق لأحد أن يدعي أنه ص غفل أو تغافل عن ذكر الحقيقة حاشا له ص.

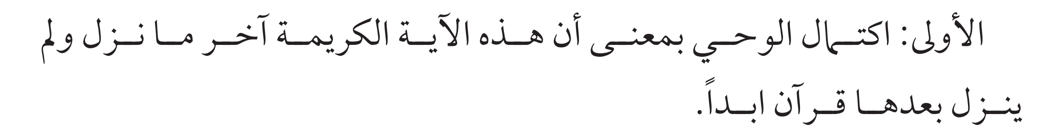
المبحث الثالث

سبب نزول اية إكمال الدين

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ٢٦

اختلفت الأمة حول سبب نزول هذه الآية الكريمة والموضوع الذي تتكلم عنه الآية والذي يسمى بشأن النزول إلا أن الآية الكريمة احتوت على لفظتين هما القرينة الدالة على المعنى الحقيقي الذي تتكلم عنه الآية الكريمة وتعين سبب نزولها؛ لأن ما ورد عند المسلمين في سبب نزول هذه الآية فيه تناقض وتهافت كثير يحتاج الباحث المدقق لجمع القرائن لتعيين المعنى الصحيح الذي نزلت من اجله الآية الكريمة.

أول قرينة هي لفظ الإكمال والإتمام والفرق اللغوي بينهما؛ لأنك تعرف أن القرآن الكريم معجزة بلاغية فالألفاظ المستخدمة في النص القرآنية اختيرت بعناية الهية فائقة يقول ابو هلال العسكري في الفرق بين الإكمال والإتمام: « قد فرق بينهما بأن الإتمام: لازالة نقصان الأصل والإكمال: لازالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل قيل: ولذا كان قوله تعالى: تلك عشرة كاملة أحسن من (تامة) فإن التام من العدد قد علم، وإنما نفي احتمال نقص في صفاتها وقيل: تم: يشعر بحصول نقص قبله وكمل: لا يشعر بذلك » ٢٧ وهذا يعني أن الدين قد كمل بحجة الوداع بمعنى عدم وجود نقص فيه ويمكن فهم عدم النقص في الدين من ناحيتين:



الأولى: اكتمال الوحي بمعنى أن هذه الآية الكريمة آخر ما نزل ولم ينزل بعدها قرآن ابداً.

الثانية: اكتمال الأحكام الشريعة بحيث لم ينزل بعدها أي حكم شرعي واذا نزلت آيات قرآنية أو أحكام شرعية فهذا يعني أن الآية الكريمة لا تتحدث عن إكمال الوحي او الأحكام الشرعية و إنما تتحدث عن استمرارية مصدر التشريع بواسطة خليفة الرسول الأكرم ص باعتبار أن هذه الآية نزلت في حجة الوداع.

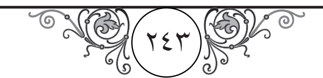
وروى الطبري في هذا المعنى مجموعة أحاديث منها ما رواه بإسناده: « عن السدي قوله: اليوم أكملت لكم دينكم، هذا نزل يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات » ٢٨ وهذا الادعاء لا يصمد أمام الاراء الموجودة في آخر ما نزل من القرآن الكريم حيث عدد السيوطي في هذا الموضوع مجموعة آراء غالبيتها لا تدل على أن هذه الآية آخر ما نزل - سواء كان قرآناً او أحكاماً - لذلك استدرك السيوطي بعد استعراضه للآراء في هذه المسألة بقوله: « تنبيه من المشكل على ما تقدم قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظاهرها إكمال الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدى فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام، مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى حجة المسلمون لا يخالطهم

المشركون « ٢٩ ووواضح أن تأويل الطبري لا يصمد أمام موضوع الإكمال الذي تتحدث عنه الآية الكريمة فكأنما حصر الله سبحانه المعنى المتوقع في الآية الكريمة عن طريق بلاغة القرآن الكريم الخارقة بولاية الإمام علي عليه السلام والتي تعني استمرارية النص التشريعي كي يكتمل الدين بولايته وولاية اوصيائه؛ لان الخلافات المذهبية بين المسلمين لا تنسجم مع إكمال الدين وتمام النعمة وخاصة أن هذه الخلافات كانت في الأصول والفروع وأدت الى اختلاف الأمة وافتراقها وحتى اقتتالها و التاريخ الإسلامي واضح وجلي للقاصي والداني ولا داعي لاستعراض الحروب الداخلية للفرق الإسلامية التي أدت بأرواح المسلمين.

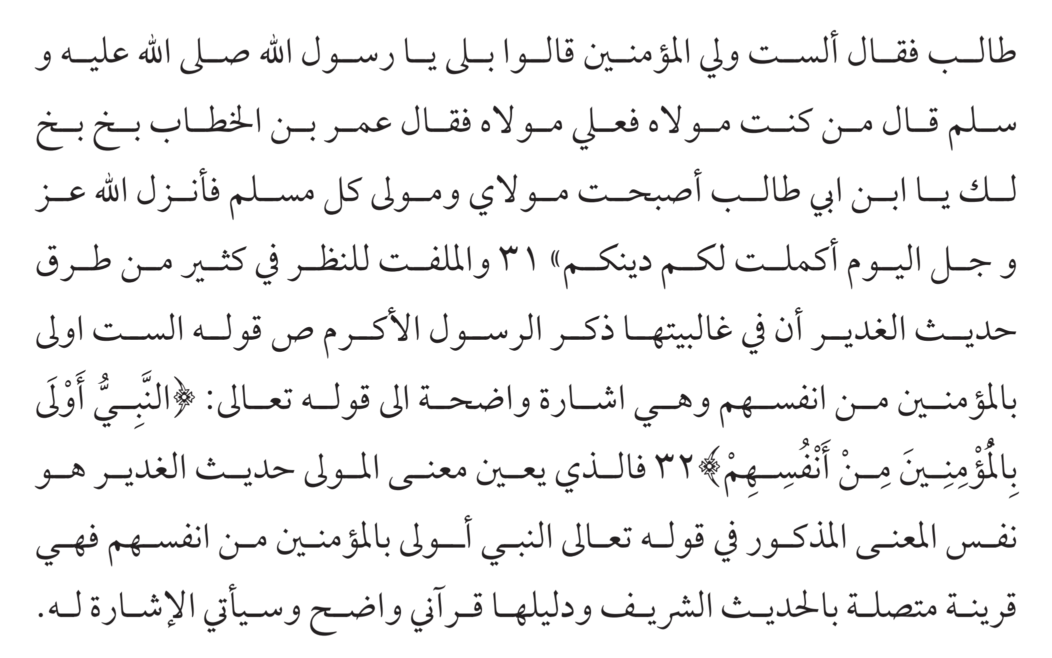
بعد هذا البيان الآنف الذكر يستعرض البحث مجموعة أحاديث تدل على المعنى المراد من هذه الآية الكريمة منها:

١ - «أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً يوم غدير خم فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه بهذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ «. ٣٠ ومن الطبيعي أن يعلق السيوطي قوله بسند ضعيف لما عرفت من أن هذه الآية دلالتها واضحة على ولاية الإمام علي عليه السلام السلام فإذا صحح اسانيدها وجب عليه القبول بمؤداها.

٢ - يروي صاحب كتاب العلل المتناهية بإسناده:» عن ابي هريرة قال من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا وهو يوم غدير خم لما اخذ النبي صلى الله عليه و سلم بيد علي بن ابي






طالب فقال ألست ولي المؤمنين قالوا بلى يا رسول الله صلى الله عليه و سلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن ابي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز و جل اليوم أكملت لكم دينكم» ٣١ والملفت للنظر في كثير من طرق حديث الغدير أن في غالبيتها ذكر الرسول الأكرم ص قوله الست اولى بالمؤمنين من انفسهم وهي اشارة واضحة الى قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾٣٢ فالذي يعين معنى المولى حديث الغدير هو نفس المعنى المذكور في قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم فهي قرينة متصلة بالحديث الشريف ودليلها قرآني واضح وسيأتي الإشارة له.

٣ - «وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه. فأنزل الله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾»٣٣ وهذه ثلاثة أسانيد مختلفة عن أبي هريرة فلماذا قيدها السيوطي بالضعف فهذا يعني أن لها توابع وشواهد.

٤ - يقول ابن كثير في هذه الاية: « قلت: وقد روى ابن مَرْدُويه من طريق أبي هارون العَبْدي، عن أبي سعيد الخدري؛ أنها أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غَدِير خُم حين قال لعلي: من كنتُ مولاه فَعَليٌّ مولاه ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية: أنها أنزلت يوم عرفة «

.٣٤

٥ - يقول ابن كثير بعد ذكره لحديث ابي هريرة الآنف الذكر: « وقد قال شيخنا الحافظ ابو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث هذا حديث منكر جدا ورواه حبشون الخلال واحمد بن عبد الله بن احمد النيري وهما صدوقان عن علي بن سعيد الرملي عن ضمرة قال ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية قال وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله وأما اللهم وال من والاه فزيادة قوية الاسناد وأما هذا الصوم فليس بصحيح ولا والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام والله تعالى أعلم» ٣٥ فهو يعترف بصدق الرواة إلا أنه يرى الحديث منكراً وهذا يعني لمخالفة متن الحديث مع مذهبه ومع وجود الأسانيد التي ذكرها فيقوى سند الحديث ومتنه إلا انه سيبقى مخالفاً لما يعتقده فيعنون تحت النكارة في الحديث أما نزول الآية قبل واقعة الغدير فهذا لا ينفي الموضوع التي تتحدث عنه الآية والتي قد عرفت من خلال القرينة المتصلة والأحاديث الواردة هو الولاية لإمام علي عليه السلام فنزول المائدة دفعة واحدة للحفاظ على آياتها واهم هذه الآيات هي ايات الغدير والتي تتمثل في سورة المائدة بالآيتين التي تخص البحث بالإضافة الى آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ٣٦ فهذه الآيات كلها نزلت مع سورة المائدة في يوم واحد ثم تبين سبب

نزولها او قبل شأن نزولها فيما بعد وهذا طبيعي؛ لان النزول الدفعي لسورة المائدة له سبب إلهي وحكمة ربانية اقتضت ذلك.

ويظهر من مجموعة أحداث وروايات أن صيغة حديث الغدير ذكرت قبل واقعة الغدير في حجة الوداع وهو الذي يفسر خوف الرسول ص الوارد ذكره في آية الإبلاغ والذي يعني خوف الرسول ص على أمته من الفتنة والافتراق لأنه ص رأى من بعض صحابته عدم تقبل ولاية الإمام علي ع.

من هذه الأحداث الآية الكريمة الآنفة الذكر حيث «أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال « وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة تطوّع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه ذلك، فنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » « ٣٧.

ومنها ايضا قوله تعالى:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾٣٨.

يقول ابو السعود في تفسيره: «قيلَ هو الحارثُ بنِ النعمانِ الفهريُّ وذلكَ أنَّه لما بلغَهُ قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في عليَ رضيَ الله

عنهُ من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ قالَ اللهمَّ إنْ كانَ ما يقولُ محمدٌ حقاً فأمطرْ علينا حجارةً من السماءِ، فما لبثَ حَتَّى رماهُ الله تعالَى بحجرٍ فوقعَ على دماغِهِ فخرجَ من أسفلِهِ فهلكَ من ساعتِهِ «. ٣٩ ونقل ابن عادل تفصيلاً اكثر للحادثة ٤٠

زد على ذلك أن سورة المعارج مكية وهو يتناسب مع ما يذكر من ذكر خلافة الإمام علي عليه السلام في مكة منها ما روي عن ابن عباس مستفيضاً في حديث طويل يرويه أهل السنة يذكر فيها ابن عباس عشرة فضائل لإمام علي عليه السلام عن لسان الرسول ص منها ذكر خلافة الإمام علي عليه السلام في مكة نذكر جزءاً منها حيث قال:» وَقَالَ لِبَنِي عَمِّهِ أَيُّكُمْ يُوَالِينِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ وَعَلِيٌّ مَعَهُ جَالِسٌ فَأَبَوْا فَقَالَ عَلِيٌّ أَنَا أُوَالِيكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ فَتَرَكَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَالَ أَيُّكُمْ يُوَالِينِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَأَبَوْا قَالَ فَقَالَ عَلِيٌّ أَنَا أُوَالِيكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... خرَجَ بِالنَّاسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أَخْرُجُ مَعَكَ قَالَ فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللهِ لَا فَبَكَى عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي قَالَ وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»٤١.

فحديث الغدير لا يمكن انكاره فهو متواتر وله طرق واسانيد ووقائع كثيرة ولا يرد عليه أن هذه الآية نزلت قبل واقعة الغدير نعم بقي الكلام في دلالة لفظ المولى الوارد في الحديث الشريف وقد رود في غالبية

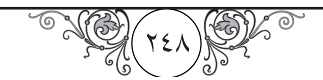


طرق حديث الغدير ذكر الرسول الأكرم ص لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾٤٢ فالذي يعين معنى المولى هو نفس تفسير هذه الآية فالمسفرون في تفسير هذه الآية الكريمة بينوا أن الأولوية هنا لا تعني الحب وانما تعني التشريع ونفوذ الحكم فيسري نفس الحكم للإمام علي عليه السلام بحكم حديث الغدير.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة: «(النَّبِيُّ) محمد(أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ) يقول: أحق بالمؤمنين به(مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد:(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز». ٤٣

ويضيف البغوي:» يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعتهم أنفسهم «. ٤٤

ويتابعهم الآلوسي في تفسير هذه الآية الكريمة بقوله:» أولويته عليه الصلاة والسلام في جميع الأمور ويعلم من كونه صلى الله عليه وسلم أولى بهم من أنفسهم كونه عليه الصلاة والسلام أولى بهم من كل من الناس، وقد أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة «. ٤٥



فيتعين أن المقصود من الولاية في حديث الغدير هي الولاية التشريعية الدالة على استمرارية النص التشريعية والذي بدوره يدل على عصمة الإمام علي عليه السلام وأنه ع خليفة رسول الله ص في الدنيا والأخرة.

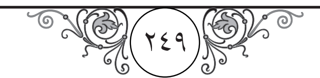
وكان على المسلمين وكحد وسط في التعامل مع حديث الغدير وغيره من الأحاديث الواردة في ولاية الإمام علي عليه السلام أن يقدموا الإمام علي عليه السلام علمياً ومصدراً تشريعياً حتى لو قدموا عليه غيره بالخلافة فإن الإمام علي عليه السلام مصدر العلم ومنبع المعرفة وباب علم رسول الله ص لكن للأسف نرى أن مدرسة الإمام علي عليه السلام غير جديرة بالاهتمام من الناحية العلمية عند الطرف الآخر ولو عاملوا مدرسة أهل البيت ع كرأي علمي قابل للمناقشة والقبول والرد لكان خيراً للأمة وتوحيداً لها فما يضرهم إذا عاملوا آراء أهل البيت ع كرأي عالم سني يعيش في القرن الثامن ويناقش علمياً ويصلح للقبول أو الرد فجفاء الأمة لأهل البيت ع مؤلم ومؤسف ومحزن.

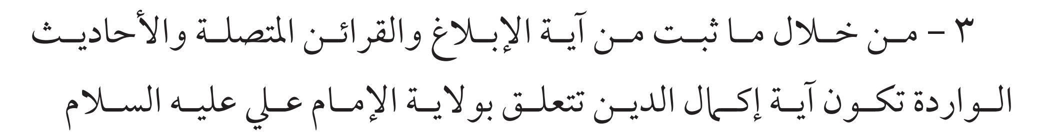
الخاتمة

تمخض عن البحث المتواضع النتائج الآتية:

١ - سورة المائدة نزلت دفعة واحدة في شهر ذي الحجة وهذا ثابت عند المسلمين.

٢ - إن آية الإبلاغ ومن خلال القرائن والأحاديث الواردة نزلت في حق الإمام علي عليه السلام وإبلاغ ولايته للأمة الإسلامية.





٣ - من خلال ما ثبت من آية الإبلاغ والقرائن المتصلة والأحاديث الواردة تكون آية إكمال الدين تتعلق بولاية الإمام علي عليه السلام

٤ - لا ضير من كون آية الإكمال نزلت قبل واقعة الغدير؛ لان سورة المائدة نزلت دفعة واحدة إنما الذي يعين المعنى الصحيح للآية الكريمة هو القرائن والأحاديث الواردة.

٥ - إن حديث الغدير كمفهوم ومنطوق ورد قبل حجة الوداع.

٦ - إن الذي يعين معنى المولى الوارد في حديث الغدير هو القرآن الكريم نفسه وقد ثبت عند المفسرين أن المولى هي المصدر التشريعي وصاحب الولاية النافذة على رقاب المسلمين.

٧ - وفي الختام يوصي البحث بالتعامل مع مدرسة أهل البيت ع كآراء علمية قابل للمناقشة والقبول والرد يكفي الجفاء لأهل البيت ع علمياً.

والحمد لله رب العالمين

المصادر

١ - اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري مكتبة الرشد الرياض - السعودية ط١ ١٩٩٨.

٢ - الاتقان في علوم القرآن، ابو الفضل عبد الرحمن الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د. ت)..

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي دار المصحف القاهرة - مصر ط١ ٢٠١٠.

٤- أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري دار الباز للنشر والتوزيع الرياض - السعودية ١٣٨٨ ه - ١٩٦٨ م.

٥- بحار الأنوار العلامة الشيخ محمد باقر المجلسيى مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان.

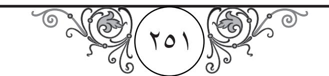
٦- البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء مكتبة المعارف - بيروت ط١.

٧- التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر تونس ط١ ٢٠٠٥.

٨- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر التوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٩- تفسير اللباب عمر بن علي بن عادل الدمشقي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط١ ١٩٩٨.

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ج٩ ص٥٢٨.



١١- الجامع الصحيح المختصر محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ٤٠٧ - 1987 حديث ٤٦٧٥.

١٢- الجدول في إعراب القرآن صافى محمود بن عبد الرحيم دار الرشيد الرياض - السعودية ط١ ١٩٩٨.

١٣- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ط١، مطبعة الفتح، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٦٥ هـ.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ط٢ ٢٠٠١.

١٥- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية عبد الرحمن بن علي بن الجوزي دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة الأولى، ٤٠٣

١٦- الفروق اللغوية ابو هلال العسكري مؤسسة النشر الإسلامي قم - ايرن الطبعة: الأولى التاريخ: شوال المكرم ١٤١٢.

١٧- الكشف والبيان احمد ابو اسحاق الثعلبي دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ط١ ٢٠٠٢.

١٨- المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط٢ ٢٠٠٢.

١٩- المعجم الأوسط سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني دار الحرمين

الرياض - السعودية ط١ 1995.

٢٠- السنن الكبرى احمد بن الحسين بن علي البيهقي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط١ ٢٠٠٣.

٢١- السنن الكبرى احمد بن شعيب بن علي النسائي مؤسسة الرسالة الرياض - السعودية ط١ ٢٠٠١.

٢٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الرياض - السعودية الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٣- معالم التنزيل محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض - السعودية الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٤- مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي دار الفكر بيروت - لبنان ط١ ١٩٨١.

٢٥- النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط٢ ٢٠٠٧.

الهوامش



١ – مسند الإمام أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الرياض – السعودية الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ج١١ ص٢١٨ ح٦٣٥٤.

٢– بحار الأنوار العلامة الشيخ محمد باقر المجلسيى مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ج١٨ ص٢٧١.

٣– المسند (٦/ ٤٥٥)

٤ – اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري مكتبة الرشد الرياض – السعودية ط١ ١٩٩٨ج٦ ص٦٦.

٥– جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ج٩ ص٥٢٨.

٦– انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم ح٣١٦٨. و المعجم الأوسط للطبرانيح٣١٢٢. و السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي

المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ح١٤٣٥٣.

٧– النكت والعيون أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ج١ ص٣٤٧.

٨– المائدة:٦٧.

٩- الحجرات: ٩٤، ٩٥.

١٠- المزمل: ١٠٥

١١- التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور ج٤ ص٢٤٠.

١٢- الدر المنثور في التأويل بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ج٣ ص٤١٨.

١٣- مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ج٣ ص١١٣.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي ج٥ ص٦٧.

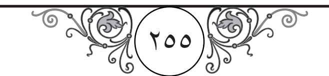
١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي ج٤ ص٣٧٦.

١٦- الكشف والبيان الثعلبي ج٥ ص١٣١.

١٧- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر التوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ج٣ ص٢٨.

١٨- أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري دار الباز للنشر والتوزيع الرياض - السعودية ١٣٨٨ ه - ١٩٦٨ م ج١ ص١٣٥.

١٩- الدر المنثور في التأويل بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال





الديـن السـيوطي ج٣ ص٤١٨.

٢٠- الجـدول في إعـراب القـرآن صـافى محمـود بـن عبـد الرحيـم ج٦ ص ١٧٣.

٢١- الجامـع الصحيـح المختـصر محمـد بـن إسـماعيل أبـو عبـد الله البخـاري الجعفـي دار ابـن كثـير، اليمامـة - بـيروت الطبعـة الثالثـة، ٤٠٧ - ١٩٨٧ حديـث ٤٦٧٥.

٢٢- الـدر المنثـور في التأويـل بالمأثـور عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر، جـلال الديـن السـيوطي ج٣ ص٤١٩.

٢٣- تفسـير القـرآن العظيـم أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير القـرشي الدمشـقي المحقـق: سـامي بـن محمـد سـلامة دار طيبـة للنـشر والتوزيع الطبعـة: الثانيـة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ج٣ ص١٥٤.

٢٤- السنن الكبرى البيهقي ج٩ ص٨.

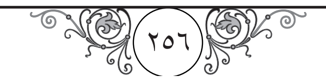
٢٥- تفسير روح المعاني الالوسي ج٥ ص ٦٢.

٢٦- المائدة:٣.

٢٧- الفـروق اللغويـة ابـو هـلال العسـكري مؤسسـة النـشر الإسـلامي قـم - ايـرن الطبعـة: الأولى التاريـخ: شـوال المكـرم ١٤١٢ ص ١٤.

٢٨- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن الطبري ج٩ ص ٥١٨.

٢٩- انظـر: الاتقـان في علـوم القـرآن جـلال الديـن السـيوطي ج١ ص ٣٠



وما قبلها.

٣٠- الدر المنثور في التأويل بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ج٣ ص٣٢٣.

٣١- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية عبد الرحمن بن علي بن الجوزي دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة الأولى، ٤٠٣

تحقيق: خليل الميس ح٣٥٦.

٣٢- الأحزاب:٦.

٣٣- الدر المنثور في التأويل بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ج٣ ص٣٢٣.

٣٤- تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٣ ص ٢٩.

٣٥- البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء مكتبة المعارف - بيروت ج٥ ص ٢١٤.

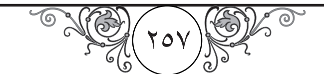
٣٦- المائدة:٥٥.

٣٧- الدر المنثور السيوطي ج٣ ص ٤٠٤.

٣٨- المعارج:١ ٢.

٣٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ج٦ ص٣٧٦.

٤٠- تفسير اللباب ابن عادل ج٦ ص٤٥٦.



٤١- مسند احمد احمد بن حنبل ج٦ ص٤٣٦ ح٢٩٠٣

٤٢- الأحزاب:٦.

٤٣- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر

الناشر: مؤسسة الرسالة الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ج٢٠ ص٢٠٨.

٤٤- معالم التنزيل محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض - السعودية الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ج٦ ص٣١٨.

٤٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي ج١٦ ص٤٢.

بلغ ما أنزل إليك من ربك بحث مختصر يثبت نزول الآية في الإمام علي عليه السلام

د. مروان صلاح خليفات

تمهيد

إن آية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)[1] تدل بلا شك على أن أمرا مهما قد نزل على رسول صلى الله عليه وآله، وأن عدم تبليغه اياه يعني عدم تبليغ الرسالة بأكملها، وفي هذا إشارة الى ارتباط سائر التشريعات بهذا الأمر. فالفعل (أُنزل) في قوله تعالى: (بلغ ما أنزل إليك من ربك) يشير إلى نزول أمر ما على رسول الله، لكنه لم يبلغه فور نزوله، ثم ذكره الله بهذا الأمر، فقال في تتمة الآية (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ثم وعده بالعصمة من الناس، مما يشير إلى كره الناس لهذا الأمر وعدم قبولهم له.

ليست الآية ناظرة إلى بداية الدعوة المحمدية كما قد يُظن، حيث أنه صلى الله عليه وآله صدح بما أمره الله، وواجه عتاة قريش دون خوف أو تردد، فلا شك أنه امر آخر، خاصة إذا عرفنا أن الآية قد نزلت في الشهور

(١) المائدة، ٦٧



الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وآله. قال ابن كثير: (والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها والله أعلم)[1]

لقد روى نزول الآية بشأن الإمام علي عليه السلام يوم غدير خم ثمانية من الصحابة، وتكاد أشهر الفرق الإسلامية تتفق على نزولها في علي ع، حيث روى نزولها يوم الغدير بعضٌ من أهل الرواية والحديث من جمهور المسلمين، وروى نزولها كذلك المعتزلة والزيدية والإسماعيلية، فضلا عن الإمامية الذين اتفقوا على شأن نزولها.

سنعرض في هذا البحث روايات الصحابة الثمانية حول سبب نزول الآية، ثم أذكر سبب نزولها لدى بعض الفرق الأخرى، خاتما بحثي برأي الإمامية مع بعض التعقيبات المرتبطة بالبحث، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: في كتب الجمهور

رواة نزول الآية في علي عليه السلام من الصحابة.

١ - أبو سعيد الخدري

روى ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في تفسيره: (حدثنا أبي ثنا عثمان بن حرزاد، ثنا إسماعيل بن زكريا، ثنا علي بن عابس عن الأعمش ابني الحجاب[2]، عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) في علي بن أبي طالب) عن

(١) تفسير القرآن العظيم، ج ٢ - ص ٨١

(٢) هكذا في الأصل والصحيح: (وابي الجحاف)

أبي الجحاف [داود بن أبي عوف])[1]

٢- ابن عباس

قال الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): (روى أبو محمد عبدالله بن محمد القايني نا أبو الحسن محمد بن عثمان النصيبي نا: أبو بكر محمد ابن الحسن السبيعي نا علي بن محمد الدّهان، والحسين بن إبراهيم الجصاص قالا نا الحسن بن الحكم نا الحسن بن الحسين بن حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله « (يا أيها الرسول بلغ)) قال: نزلت في علي (رضي الله عنه) أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ فيه فأخذ (عليه السلام) بيد علي، وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادي من عاده)

وروى الثعلبي[2] نزول الآية في علي ع، عن الإمام محمد بن علي الباقر ع.

وروى الحاكم الحسكاني الحنفي[3] نزولها في علي عليه السلام عن ابن

(١) تفسير القرآن العظيم، ج ٤ - ص ١١٧٢، والرواية عن أبي سعيد الخدري ذكرها أكثر من واحد. راجع: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر - ج ٤٢ - ص٢٣٧، أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري، ص ١٣٥، فتح القدير للشوكاني، ج ٢ ص ٦٠، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحاكم الحسكاني الحنفي، ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٨، تفسير الآلوسي للآلوسي، ج٦ - ص ١٩٣.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٤ - ص ٩٢

(٣) قال الذهبي في تاريخ الإسلام، ج ٣٢ - ص ٣٠٥ - ٣٠٦: (عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسكان.)) القاضي أبو القاسم بن الحذّاء القرشيّ



عباس، قال: (حدثني محمد بن القاسم بن أحمد في تفسيره قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الفقيه، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن عبد الله البرقي، عن أبيه، عن خلف بن عمار الأسدي عن أبي الحسن العبدي عن الأعمش، عن عباية بن ربعي: عن عبد الله بن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) [وساق] حديث المعراج إلى أن قال: وإني لم أبعث نبيا إلا جعلت له وزيرا، وإنك رسول الله وإن عليا وزيرك. قال ابن عباس: فهبط رسول الله فكره أن يحدث الناس بشيئ منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية حتى مضى [من] ذلك ستة أيام، فأنزل الله تعالى: (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) فاحتمل رسول الله [صلى الله عليه وآله] حتى كان يوم الثامن عشر، أنزل الله عليه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بلالا حتى يؤذن في الناس أن لا يبقى غدا أحد إلا خرج إلى غدير خم، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) والناس من الغد، فقال: يا أيها الناس إن الله أرسلني إليكم برسالة وإني ضقت بها ذرعا مخافة أن تتهموني وتكذبوني حتى عاتبني ربي فيها بوعيد أنزله علي بعد وعيد، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما [إبطهما « خ «] ثم قال: أيها الناس الله مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من

النَّيسابوريّ الحنفيّ الحاكم، الحافظ. شيخ متقن، ذو عناية تامّة بالحديث والسَّماع. أسنّ وعمّر، وهو من ذرّية عبد الله بن عامر بن كريز. سمع وجمع وصنَّف، وجمع الأبواب والطُّرق)

نـصره واخـذل مـن خذلـه. وأنـزل الله: (اليـوم أكملـت لكـم دينكـم)[1]

ورواه بسند آخـر، قـال: (أخبرنـا الحاكـم أبـو عبـد الله الحافـظ جملـة، [قال: أخبرنـا] عـلي بـن عبـد الرحمـان بـن عيسـى الدهقـان بالكوفـة، قـال: حدثنـا الحسين بـن الحكـم الحـبري قـال: حدثنـا الحسـن بـن الحسين العـرني قـال: حدثنـا حبـان بـن عـلي العنـزي قـال: حدثنـا الكلبـي عـن أبي صالـح: عـن ابـن عبـاس في قولـه عـز وجـل: (يـا أيهـا الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليـك مـن ربـك) الآيـة، [قـال:] نزلـت في عـلي، أمـر رسـول الله (صلى الله عليـه) أن يبلـغ فيـه، فأخـذ رسـول الله بيـد عـلي فقـال: مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه اللهـم وال مـن والاه وعـاد مـن عـاداه)

ثـم عقـب قائـلا: (رواه جماعـة عـن الحـبري وأخرجـه السـبيعي في تفسـيره عنـه، فـكأني سـمعته مـن السـبيعي ورواه جماعـة عـن الكلبـي. وطـرق هـذا الحديـث مسـتقصاة في كتـاب دعـاء الهـداة إلى أداء حـق المـوالاة مـن تصنيفـي في عـشرة أجـزاء)[2]

٣- أبو هريرة

قـال الحاكـم الحسـكاني: (أخبرنـا السـيد أبـو الحسـن محمـد بـن [عـلي بـن]

---

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٨

(٢) المصدر نفسه، ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٨، ممن ذكر نزول الآية في علي عليه السلام ابن مردويه كما في مناقب علي بن أبي طالب (ع) وما نزل من القرآن في علي (ع)، ص ٢٣٩ -٢٤١، والمحسن بن كرامة الجشمي (ت ٤٩٤هـ) في تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، ص ٦٤، والألوسي في تفسير الآلوسي، ج ٦ - ص ١٩٣.



الحسين الحسني رحمه الله قراءة قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن علي الأنصاري بطوس، قال: حدثنا قريش بن خداش بن السائب، قال: حدثنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم، عن إسماعيل، عن أبي معشر، عن سعيد المقبري: عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لما أسرى بي إلى السماء سمعت [نداء من] تحت العرش أن عليا راية الهدى وحبيب من يؤمن بي بلغ يا محمد، قال: فلما نزل النبي (صلى الله عليه وآله) أسر ذلك، فأنزل الله عز وجل: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) في علي بن أبي طالب، (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس)[1]

٤- عبد الله بن أبي أوفى

روى الحاكم الحسكاني: (أخبرنا أبو بكر السكري قال: أخبرنا أبو عمرو المقري قال: أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثني أحمد بن أزهر قال: حدثنا عبد الرحمان بن عمرو بن جبلة، قال: حدثنا عمر بن نعيم بن عمر بن قيس الماصر، قال: سمعت جدي قال: حدثنا عبد الله بن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يوم غدير خم وتلا هذه الآية: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثم

(١) المصدر نفسه، ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٨

قال: اللهم اشهد)[1]

٥- جابر بن عبد الله

روى الحاكم الحسكاني: (حدثني علي بن موسى بن إسحاق، عن محمد بن مسعود بن محمد، قال: حدثنا سهل بن بحر، قال: حدثنا الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة عن الكلبي عن أبي صالح: عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: أمر الله محمدا أن ينصب عليا للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقولوا حابا ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية، فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم)[2]

٦- عبد الله بن مسعود

قال السيوطي: (وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها لرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ان عليا مولى المؤمنين وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)[3]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٢ - ص ٢٩٨، وراجع نزولها في علي عن ابن مسعود: مناقب علي بن أبي طالب (ع) وما نزل من القرآن في علي عليه السلام لابن مردويه الأصفهاني، ص ٢٣٩ - ٢٤١، وتفسير الآلوسي، ج ٦ - ص ١٩٣.

٧- البراء بن عازب

قال الحكم الجشمي: (وقد ذكر أهل النظر والتفسير مثل ذلك، وروي عن ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن علي، انه لما نزل قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك) اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليا بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه « فقال عمر: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وحديث الموالاة وغدير خم قد رواه جماعة من الصحابة، وتواتر النقل به حتى دخل في حيز التواتر)[1]

وقال: (فلما بلغ غدير خم ونزل: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) على ما بينه من بعد، نزل في واد ليس بموضع النزول ونص عليه وبين فضله وشرفه، وانه القائم مقامه بعده، وكان المشركون يقولون إنه أبتر لا يقوم مقامه أحد إذ لا ولد له، فبين تعالى انهم نسوا من ذلك حين نص عليه، وثم بين الشرع والدين، وهذه فضيلة ظاهرة)[2]

وقال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) وهو يذكر وجوه نزول آية (بلغ): (العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه « فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا ابن طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس

(١) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، ص ٦٤

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩

والبراء بن عازب ومحمد بن علي)[1]

٨- حذيفة بن اليمان

روى الحاكم الحسكاني بسنده: (عن حذيفة بن اليمان قال: كنت والله جالسا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله (و) قد نزل بنا غدير خم، وقد غص المجلس بالمهاجرين والأنصار، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله على قدميه فقال: يا أيها الناس إن الله أمرني بأمر فقال: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ثم نادى علي بن أبي طالب فأقامه عن يمينه ثم قال: يا أيها الناس ألم تعلموا أني أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: اللهم بلى. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله. فقال حذيفة: فوالله لقد رأيت معاوية قام وتمطى وخرج مغضبا واضع يمينه على عبد الله بن قيس الأشعري ويساره على المغيرة بن شعبة ثم قام يمشي متمطئا وهو يقول: لا نصدق محمدا على مقالته ولا نقر لعلي بولايته. فأنزل الله تعالى: (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى) فهم به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرده فيقتله فقال له جبرئيل: لا تحرك به لسانك لتعجل به. فسكت عنه)[2]

تعقيب

---

(١) تفسير الرازي، ج ١٢ - ص ٤٩ - ٥٠

(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ٢ - ص ٣٩١ - ٣٩٢



تبين مما سبق رواية ثمانية من الصحابة نزول آية (بلغ) بحق أمير المؤمنين علي ع، وهذا العدد كافي لتواتر الرواية عند بعض أعلام الجمهور.

فابن حزم (ت ٤٥٦ه) عد رواية أربعة من الصحابة لأحد الأحاديث تواترا، لا يحل مخالفته. قال:(ورويناه أيضا مسندا من طريق جابر فهؤلاء أربعة من الصحابة، فهو نقل تواتر لا تحل مخالفته)[١]

وقال: (فهذا نقل خمسة من الصحابة بالطرق الثابتة فهو نقل تواتر)[٢]

وقال عن حديث رواه سبعة من الصحابة: (فهؤلاء شيخان بدريان. ورافع بن خديج. وجابر. وأبو سعيد. وأبو هريرة. وابن عمر كلهم يروى عن النبي... فهو نقل تواتر موجب للعلم المتيقن)[٣]

وعد ابن حجر الهيتمي (٩٧٣ه) حديثا رواه ثمانية من الصحابة متواترا بهذا العدد، وهو كحال روايات آية (بلغ) التي ذكرناها قال: (اعلم أن هذا الحديث متواتر فإنه ورد من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة)[٤]

فنخلص مما سبق إلى أن النقل قد تواتر لا سيما في طبقة الصحابة

---

(١) المحلى، ج ٢ - ص ١٣٥

(٢) المصدر نفسه، ج ٨- ص ٤٥٣

(٣)-. ج ٨ - ص ٢١٢

(٤) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ص ٢٣

بشأن نزول آية بلغ يوم غدير خم.

ينبغي الالتفات إلى أن الحديث المتواتر لا يُبحث في صحة سنده،

قال الشريف المرتضى من الإمامية: (... لأن الأخبار المتواترة لا يشترط فيها عدالة رواتها، بل قد يثبت التواتر وتجب المعرفة برواية الفاسق بل الكافر، لأن العلم بصحة ما رووه يبتني على أمور عقلية تشهد بأن مثل تلك الجماعة لا يجوز عليها وهي على ما هي عليه)[1]

وقال الألباني: (ولا يشترط في الحديث المتواتر سلامة طرقه من الضعف، لأنّ ثبوته إنّما هو بمجموعها، لا بالفرد منها، كما هو مشروح في المصطلح)[2].

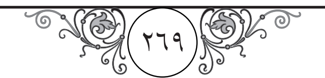
هل صح شيء من هذه الروايات؟

اشترط ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره أن لا يخرج رواياته إلا بأصح الأسانيد، حيث قال: (سألني جماعةٌ من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصحّ الأسانيد وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات وتنزيل السور، وأن نقصد لإخراج التفسير مجرداً دون غيره متقصّين تفسير الآي حتى لا نترك حرفاً من القرآن يوجد له تفسيرٌ إلا أخرج ذلك. فأجبتهم إلى ملتمسهم وبالله التوفيق وإياه نستعين ولا حول ولا

---

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج ٣ - ص ٣١١ - ٣١٢

(٢) إرواء الغليل، ج٦ ص٩٥.





قوة إلا بالله، فتحرّيت إخراج ذلك بأصحّ الأخبار إسناداً)[1]

قال السيوطي (ت ٩١١هـ) تعليقا على حديث في تفسير ابن أبي حاتم: (وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقد التزم أن يخرج فيه أصح ما ورد، ولم يخرج حديثا موضوعا البتة)[2]

وقد أوردنا رواية ابن أبي حاتم[3] نزول الآية في علي عليه السلام عن أبي سعيد الخدري، مما يعني صحة الرواية عند ابن أبي حاتم.

أما عنعنة الأعمش[4] التي قد يتذرع بها البعض لرد الرواية، فهي معتبرة عند ابن أبي حاتم، بدليل احتجاجه بها، كما أن البخاري احتج بعنعنة الأعمش في أكثر من ٢٠٠ مورد، واحتجّ مسلم بعنعنته أكثر من ٣٠٠ مرة، فمن لا يحتج بعنعنته فعليه أن يرمي أحاديثه التي خرّجها الشيخان والتي تربو على ٥٠٠ حديث.

المبحث الثاني: نزول الآية لدى سائر الفرق

الإمامية أولا:

تتفق المصادر الإمامية على نزول آية (بلغ) بشأن الإمام علي ع، بل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص ١٤

(٢) اللآلئ المصنوعة فِي الأحاديث الموضوعة للسيوطي، ص ١١

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ٤ - ص ١١٧٢

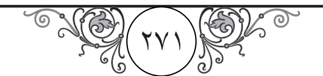
(٤) أي روايته بصيغة عن، وقد ذهب المتأخرون إلى رفض رواياته التي رواها بصيغة (عن) واتهموه بالتدليس.

نقل بعض أعلام الجمهور سبب نزول الآية عن بعض أئمة أهل البيت ع.

قال الثعلبي: (وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناه: بلّغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب، فلما نزلت الآية أخذ (عليه السلام) بيد علي، فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)[1].

ونقل الرواية الحسكاني الحنفي فقال: (أخبرنا عمرو بن محمد بن أحمد العدل بقراءتي عليه من أصل سماع نسخته، قال: أخبرنا زاهر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا المغيرة بن محمد، قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني أبي قال: سمعت زياد بن المنذر يقول: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك). فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنه يخاف، إن جبرئيل هبط على النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صلاتهم. فدلهم عليها، ثم هبط فقال: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على زكاتهم. فدلهم عليها، ثم هبط فقال: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صيامهم. فدلهم، ثم هبط فقال: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على حجهم ففعل، ثم هبط

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٤ - ص ٩٢



فقال: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة في جميع ذلك. فقال رسول الله: يا رب إن قومي قريبوا عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم وإني أخاف فأنزل الله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) يريد فما بلغتها تامة (والله يعصمك من الناس). فلما ضمن الله [له] بالعصمة وخوفه أخذ بيد علي بن أبي طالب ثم قال: يا أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه. قال زياد: فقال عثمان: ما انصرفت إلى بلدي بشيء أحب إلي من هذا الحديث)[1]

قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ): (وكان سبب نزوله في هذا المكان أي غدير خم نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين عليه السلام خليفة في الأمة من بعده، وقد كان تقدم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له فأخره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه، وعلم الله سبحانه أنه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلادهم وأماكنهم وبواديهم، فأراد الله تعالى أن يجمعهم لسماع النص على أمير المؤمنين عليه السلام تأكيدا للحجة عليهم فيه. فأنزل جلت عظمته عليه: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) يعني في استخلاف علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام والنص بالإمامة عليه (وإن لم تفعل فما

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٨

بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فأكد به الفرض عليه بذلك، وخوفه من تأخير الأمر فيه، وضمن له العصمة ومنع الناس منه...)[1]

وقال الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ): (وأن قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) نزل في هذا الموضع أي غدير خم)[2]

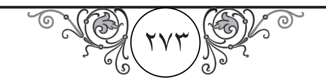
وقال في موضع آخر: (أنه تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله: « (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فأمر النبي صلى الله عليه وآله عند ذلك في غدير خم بجمع أصحابه)[3]

ومن الروايات في ذلك، ما رواه الشيخ الكليني بسند صحيح، قال: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة والفضيل بن يسار، وبكير بن أعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية وأبي الجارود جميعا عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة « وفرض ولاية أولي الامر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمدا صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية، كما فسر لهم الصلاة، والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من

(١) الإرشاد، ج ١ - ص ١٧٥ - ١٧٧

(٢) رسائل الشريف المرتضى، ج ٤ - ص ١٣٠

(٣) الشافي في الامامة، ج ٢ - ص ٢٥٩





الله، ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم، فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب. - قال عمر بن أذينة: قالوا جميعا غير أبي الجارود - وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا انزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض)[1]

(١) الكافي، ج ١ - ص ٢٨٩، والروايات من طرق الإمامية كثيرة، فراجع: الكافي، ج ١ - ص ٢٩٠ -٢٩١ و وص ٢٩٣ــ ٢٩٦، الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٤٣٥ - ٤٣٧ و ص ٥٨٢ ٥٨٤، بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) - ص ٥٣٥ - ٥٣٦، كتاب سليم بن قيس - سليم بن قيس الهلالي الكوفي - ص ٢٨٨ - ٢٨٩، تفسير أبي حمزة الثمالي لأبي حمزة الثمالي، ص ١٥٩ - ١٦٠، تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي - ج ١ - ص ٣٢٨، تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي - ج ١ - ص ١٧١، التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي - ج ٣ - ص ٥٨٨، روضة الواعظين للفتال النيسابوري - ص ٨٩ -، المسترشد لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي) - ص ٤٦٥ - ٤٦٧ و ص ٦٠٥ - ٦٠٦، الاحتجاج للشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٦٦ - ٧١، الثاقب في المناقب - ابن حمزة الطوسي - ص ١٢٧ - ١٣٠، المزار لمحمد بن جعفر المشهدي - ص ٢٦٣ - ٢٧٢ و ص ص ١٦ - ١٧، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار لابن البطريق - ص ٩٩ - ١٠٠، اقبال الأعمال للسيد ابن طاووس - ج٢ - ص ٢٤٤، بشارة المصطفى

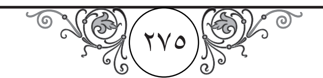
قال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ): (قوله سبحانه: « يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ذكر أبو عبيدة والنقاش وسفيان بن عيينة والواحدي وابن جريح والثوري وعطا وابن عباس والكلبي وأبو صالح والمرزباني وإبراهيم الثقفي وابن عقدة وغيرهم في روايات متفقات المعاني أنها نزلت في أمير المؤمنين وقد رواه أكثر الناقلين منهم أحمد بن حنبل وابن بطة وأبو بكر بن مالك وأبو سعيد الخركوشي وأبو المظفر السمعاني وأبو بكر الباقلاني مما يطول بذكره الكتاب ويؤيده إجماع أهل البيت (ع))[1]

الإسماعيلية ثانيا:

قال القاضي النعمان المغربي(ت ٣٦٣ه): (وروينا عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه أن رجلا قال له يا بن رسول الله، إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، قال له أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة، قال: لا، قال: أما والله إنه ليعلم ما هي ولكنه كتمها متعمدا، قال الرجل: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، وما هي، فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأمر الله عز وجل محمدا نبيه (صلع) أن يبين لهم كيف يصلون فأخبرهم

لمحمد بن أبي القاسم الطبري – ص ٢٧٥ – ٢٧٦.

(١) متشابه القرآن ومختلفه، ج ٢ – ص ٣٠





بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسرا وفرض الصلاة في القرآن جملة ففسرها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله في سنته، وأعلمهم بالذي أمرهم به من الصلاة التي فرض الله عليهم، وأمر بالزكاة فلم يدروا ما هي ففسرها رسول الله (صلع) وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع ولم يدع شيئا مما فرض الله من الزكاة إلا فسره لامته وبينه لهم، وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون ففسره لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون، وأمر بالحج فأمر الله نبيه (صلع) أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ففرض الله ولاية ولاة الأمر فلم يدروا ما هي فأمر الله نبيه عليه السلام أن يفسر لهم ما الولاية مثل ما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله (صلع) ذرعا وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين على ابن أبي طالب صلوات الله عليه يوم غدير خم ونادى لذلك: الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب وكانت الفرائض ينزل منها شيئ بعد شيئ، تنزل الفريضة ثم



تنـزل الفريضـة الأخـرى وكانـت الولايـة آخـر الفرائـض...)[1]

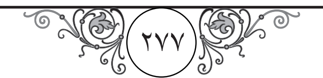
الزيدية ثالثا:

قـال يحيى بـن الحسين الزيـدي (ت ٢٩٨هــ): (وفيـه انـزل الله على رسـوله بغديـر خـم: (يـا أيهـا الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليـك مـن ربـك وإن لم تفعـل فـما بلغـت رسـالاته والله يعصمـك مـن النـاس) فوقـف صـلى الله عليـه وآلـه وقطـع سـيره، ولم يسـتجز أن يتقـدم خطـوة واحـدة، حتـى ينفـذ مـا عـزم بـه عليـه في عـلي عليـه السـلام، فنـزل تحـت الدوحـة مكانـه وجمـع النـاس ثـم قـال: (يـا أيهـا النـاس ألسـت أولى بكـم مـن أنفسـكم قالـوا: بـلى يـا رسـول الله فقـال: اللهـم اشـهد، ثـم قـال: اللهـم اشـهد، ثـم قـال: فمـن كنـت مـولاه، فعـلي مـولاه، اللهـم وال مـن والاه، وعـاد مـن عـاداه، واخـذل مـن خذلـه، وانـصر مـن نـصره)[2]

وقـال المرشـد بـالله يحيـى بـن الحسـين الحسـني الشـجري (ت٤٩٩هــ): (قـال أخبرنـا أبـو الحسـن بـن محمـد بـن أحمـد العتيقـي البـزاز، بقـراءتي عليـه، قـال: أخبرنـا أبـو عمـر عثـمان بـن محمـد بـن أحمـد المخزومـي، قـال: أخبرنـا الحسـن عـلي بـن عبـد الرحمـن بـن عيسـى بـن مـاتي الكاتـب، قـال: حدثنـي الحسـين بـن الحكـم الجـبري، قـال: حدثنـا الحسـن بـن الحسـين، عـن حيـان، عـن الكلبـي، عـن أبي صالـح، عـن ابـن عبـاس رضي الله عنـه، في قولـه عـز

(١) دعائم الإسلام، ج ١ – ص ١٤ –، وراجع كتاب شرح الأخبار للقاضي الاسماعيلي النعمان المغربي – ج ١ – ص ١٠١ – ١٠٤

(٢) الأحكام، ج ١ – ص ٣٧ – ٣٨



وجل: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)نزلت في علي عليه السلام، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام، فقال: « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[1]

الخلاصة:

روي نزول آية (بلغ) بحق أمير المؤمنين ع عن ثمانية من الصحابة، وهو ما يعد تواترا لدى بعض اعلام الجمهور، ثم ذكرنا اتفاق الإمامية والزيدية والإسماعيلية على نزول الآية بحق الأمير ع. وهذا التوافق يؤكد حقيقة نزول الآية يوم الغدير، على أنه لا ينبغي التشدد في دراسة أسانيد روايات التفسير، فهي ليست بأحكام شرعية، ومع ذلك قد سبق الإشارة إلى صحة إحدى الروايات لدى أحد المحدثين وهو ابن أبي حاتم الرازي.

وبهذا يتبين أهمية الغدير وعلاقة الآية بتلك الحادثة، ونزولها يوم غدير خم، وأن عدم تبليغ ولاية أمير المؤمنين هو عدم تبليغ الرسالة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، ج ١ - ص ١٩١

وليٌّ، ومَولى، وصالح المؤمنين

د. زهور كاظم زعيميان

المقدمة

تناولـت في هـذا البحـث مصطلحـات اختـص بهـا يعسـوب الديـن أمـير المؤمـنين عـليٌّ بـن أبي طالـب عليه السلام، وقـد وردت هـذه المصطلحـات في القـرآن الكريـم، أمَّـا كونهـا تخـصّ الإمـام عليّاً عليـه السـلام فهـو ما سـنتناوله في هـذا البحـث المتواضـع.

المبحث الأوّل

الوليُّ

قـال الله تعـالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١).

وليّ في اللغـة وليٌّ: مـن الفعـل ولى يـلي(٢)، والـولي: هـو الـذي يـلي النـصرة والمعونـة والـولي هـو الـذي يـلي تدبـير الأمـر، ويقـال لمـن يرشّـحه لخلافتـه عليهـم بعـده وليّ عهـد المسـلمين، والسـلطان ولي أمـر الرعيـة، قـال الكميـت

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) انظر: الدر المصون، ٤/ ٥٥.



يمدح عليّاً عليه السلام:

ونعم وليّ الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب[1]

والولي هو الناصر المتولي لأُمور العالَم القائم بها، وهناك فرق بين الوَلاية بفتح الواو والوِلاية بكسر الواو، فمكسورة الواو مصدر يدلّ على الحرفة، وهي من جنس الصناعة نحو الخياطة والصياغة[2] وهي من النصرة والنسب[3]، أمّا مفتوحة الواو ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[4]، فهذه الآية في توارث المهاجرين والأنصار فقوله: ﴿فما لكم من ولايتهم﴾ أي ما لكم من ميراثهم[5]. وقيل: معناه ليس عليكم نصرتهم[6].

أَمّا الوِلاية لله في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ فقد ذكر المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله: أصل الولي الذي هو أولى، أي أحقّ، ومثله المولى[7].

والولي الثالث بعد الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله في الآية

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ٣/ ٢٩٥.

(٢) مجمع البيان: ٤/ ٣٦٦- ٣٦٧.

(٣) لسان العرب مادة (ولي): ١٥/ ٢٨٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٥) لسان العرب مادة (ولي): ١٥/ ٢٨٢.

(٦) مجمع البيان: ٤/ ٣٦٧.

(٧) مجمع البيان: ٣/ ٢٩٥.

الكريمة من سورة المائدة لا ينطبق إلّا على عليٍّ عليه السلام، فـ (إنَّما) مخصصة تنفي حصول التخصيص لغير المخصصين بها، والولي تدلّ على ابن العمّ، قال أبو عبيدة: يعني الموالي أي بني العم[1]، وقال الخليل في معنى مولى: (الموالي: بنو العم من أهل بيت النبيّ، يحرم عليه الصدقة)[2]، ومن يتولاه أي يتولى علياً هم حزب الله، ومن يعرض عن ولايته فهو مع حزب الشيطان، قال البيضاوي بعد أنْ صرح بأنَّ الآية الكريمة نزلت بحق عليٍّ حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه: (ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون، وتنويهاً بذكرهم وتعظيماً لشأنهم وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً لمن يوالي غير هؤلاء بأنّه حزب الشيطان)[3].

والولي والمولى واحد في كلام العرب، قال ابن منظور الإفريقي في معنى (ولي): في قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» أي: من كنت وليه[4].

ووليٌّ وزنها فعيل ولوزن فعيل دلالات عدة فهي تأتي اسم مفعول، وصيغة مبالغة، وصفة مشبهة[5]، ومن اسم المفعول كلمة (قتيل) فهو

(١) لسان العرب مادة (ولي): ١٥/ ٢٨٢.

(٢) العين: ٨/ ٣٦٥.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٣٣. وانظر مجمع البيان: ٣/ ٢٩٦.

(٤) لسان العرب مادة (ولي): ١٥/ ٢٨٢.

(٥) ينظر: أطروحة الدكتوراه، ٢٠١٥ الدلالة القطعية والاحتمالية في القرآن الكريم، الدكتورة:



المقتـول، وكذلـك فـإنَّ المـولى اسـم مفعـول وهـي بمعنـى الـولي.

وهـو مـا ذهـب إليـه أبـو هـلال العسـكري بـأنَّ (الـولي) تكـون اسـم فاعـل واسـم مفعـول قائـلاً: (إنَّ الـوليَّ: يجْرِي فِي الصّفـة عـلى المُعَـان والمُعِـين تَقـولُ: (اللهُ وَلِيُّ المؤمنـين)؛ أَي: مُعِينُهُـم و(المُؤمـنُ وليُّ الله) أَي: المُعـانُ بنـصر الله عـزَّ وَجـلَّ)[1].

أمَّـا عمَّـن أتـى الـزكاة وهـو راكـع فقـد ذكـرت قصـة تصـدّق الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام بخاتمـه في معظـم التفاسـير العامـة والخاصـة عنـد تفسـيرهم للآيـة الكريمـة، وأجمعـت تفاسـير علـماء أهـل البيـت عليهـم السَّـلام بأنَّهـا نزلـت في عـليٍّ عليـه السـلام حـين تصـدق بخاتمـه وهـو راكـع، ونقـل الطبرسي الأحاديـث المرويـة عـن أبي جعفـر الباقـر عليـه السَّـلام وأبي عبـد الله الصـادق عليـه السَّـلام في الحادثـة[2]، وفي تفسـير القرطبـي قـال: (فقـد روي أنَّ عـليَّ بـن أبي طالـب عليـه السَّـلام أعطـى السـائل شـيئاً وهـو في الصـلاة)[3]. وذكـر الطـبري أحاديـث كثـيرة متصلـة السـند أنَّهـا نزلـت بحـق عـليٍّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام[4]، وقـال ابـن كثـير: (وحتـى أنَّ بعضهـم ذكـر في هـذا أثـراً عـن

زهور كاظم صادق.

(١) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٥١٤-٥١٥.

(٢) مجمع البيان: ٣/ ٢٩٧.

(٣) القرطبي: ٦/ ١٦٣.

(٤) الطبري: ١٠/ ٤٢٦.

عليٍّ بن أبي طالب)[١].

أمَّا الآلوسي فنقل حديثاً متصل الإسناد ونقل أبيات شعر لحسان بن ثابت تؤكد أنَّ الآية نزلت بحق عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام: فعن ابن عباس بإسناد متصل قال: إنَّه خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبصر بسائل، فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم، خاتم من فضة، فقال: من أعطاكه؟ فقال: ذلك القائم، وأومأ إلى عليٍّ - عليه السلام - فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله «**على أي حال أعطاك؟**»، فقال: وهو راكع، فكبّر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله ثمَّ تلا هذه الآية فأنشأ حسان يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلُّ بطيء في الهدى مسارع

أيذهب مديحك المحبر ضائعاً ... وما المدح في جنب الإله بضائع

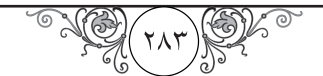
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا ... زكاة فدتك النفس يا خير راكع

فأنزل الله فيك خير ولاية ... وأثبتها أثنا كتاب الشرائع[٢]

ومن الأحاديث المعتبرة: عن ابن عباس قال: قال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله»، فبعث إلى عليٍّ وهو في الرحل يطحن، وما كان أحدكم يطحن، فجاؤوا به أرمد، فقال: «**يا نبيَّ الله، ما أكاد أُبصر**»، فنفث في عينيه، وهزَّ الراية ثلاث مرات، ثمَّ دفعها إليه، ففتح له، فجاء بصفية بنت حيي، ثمَّ قال لبني عمّه: «**أيكم يتولاني في الدنيا والآخرة؟**»، فقال لكلِّ رجل منهم: «**يا فلان، أتتولاني في**

(١) ابن كثير: ٣/ ١٣٩.

(٢) روح المعاني، للآلوسي: ٦/ ١٦٧.



الدنيا والآخرة؟ » ثلاثاً، فيقول: لا. حتى مرّ على آخرهم، فقال عليٌّ: « **يا نبيَّ الله، أنا وليّك في الدنيا والآخرة** »، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: « **أنت وليي في الدنيا والآخرة** »، قال: وبعث أبا بكر بسورة التوبة، وبعث علياً على أثره، فقال أبو بكر: يا عليُّ، لعلَّ الله ورسوله سخطا عليَّ، فقال عليٌّ: « **لا، ولكن قال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله: لا ينبغي أن يبلغ عني إلَّا رجل مني وأنا منه** »، قال: ووضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله ثوبه على عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ثمَّ قال: « **إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** »[1].

وأكد الطبراني أحمد بن حنبل في معجمه الكبير بأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله أوصى بالخلافة للإمام عليٍّ عليه السلام من بعده فقال عنه: قال: ثمَّ خرج بالناس في غزوة تبوك، فقال له عليٌّ: « **أخرج معك؟** »، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: « **لا** »، فبكى عليٌّ، فقال له نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله: « **أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّك لست بنبيّ، إنَّه لا ينبغي أنْ أذهب إلَّا وأنت خليفتي** »، قال: وقال له: « **أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي** »، قال: وسدَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله أبواب المسجد غير باب عليٍّ، فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال وقال: « **من كنت مولاه فعليٌّ مولاه** »[2]، قال عنه في النيسابوري

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم الحديث (٢٨٣٦): ج ٣/ ص ٣٨٩-٣٩٠، والمعجم الكبير: للطبراني (رقم الحديث ١٢٥٩٣): ج١٢/ ٩٨. ومسند أحمد بن حنبل رقم الحديث (٣٠٥٢): ج١/ ٣٣١.

(٢) هذه المصادر ذكرت الحديث وفيها عبارة (خليفتي) المعجم الكبير: للطبراني (رقم الحديث

بعد أن اقتطع منه (خليفتي من بعدي): (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[1]، ويقصد بهما البخاري ومسلم.

ومن الملفت للنظر أنْ يقول العسقلاني: (وقد ادّعى بعضهم أنَّ الباب كناية عن الخلافة، والأمر بالسدِّ كناية عن طلبها كأنَّه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلَّا أبا بكر فإنَّه لا حرج عليه في طلبها، وإلى هذا جنح ابن حبان فقال بعد أنْ أخرج هذا الحديث: في هذا دليل على أنَّه الخليفة بعد النبيِّ - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - لأنَّه حسم بقوله: سدّوا عني كلَّ خوخة في المسجد أطماع الناس كلّهم عن أنْ يكونوا خلفاء بعده)[2].

ثمَّ ينقل بعد ذلك رواية عن سعد بن أبي وقاص أنَّه قال فيها: أمرنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليٍّ[3]، وفي رواية للطبراني في - الأوسط - رجالها ثقات من الزيادة فقالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا، فقال: ما أنا سددتها ولكنَّ الله سدَّها، وعن ابن عباس قال: أمر رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) بأبواب المسجد

١٢٥٩٣): ج١٢/ ٩٨. ومسند أحمد بن حنبل مسند بني هاشم رقم الحديث (٣٠٥٢): ج١/ ٣٣١ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب جامع في مناقبه: ٩/ ١٢٠.

(١) المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري مسألة (١٦٥٤): ٣/ ٥٣٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: مسألة باب قول النبيِّ صلى الله عليه وآله سدّوا الأبواب إلا باب أبي بكر: صفحة ١٦.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله) سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر: صفحة ١٩. كما أخرج الحديث عن جابر بن سمرة في مجمع الزائد: مسألة ١٤٦٧.

فسدّت إلَّا باب عليٍّ، وفي رواية وأمر بسدِّ الأبواب غير باب عليٍّ فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره، أخرجهما أحمد والنسائي ورجالهما ثقات[1].

(ولقد أُعطي عليُّ بن أبي طالب ثلاث خصال لأنْ يكون لي واحدة منهن أحبّ إليَّ من حمر النعم: زوجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله ابنته وولدت له، وسدَّ الأبواب إلَّا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر)[2].

وعندما رفض ابن الجوزي حديث سدّ الأبواب إلَّا باب عليٍّ ردَّ عليه العسقلاني: (وزعم أنَّه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر انتهى، وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً فإنَّه سلك في ذلك ردّ الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة)[3].

وحيث ثبت أنَّ لفظة وليّكم تفيد من هو أولى بتدبير أُمور المسلمين وتجب عليهم طاعته بعد الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله، وأنَّ الولاية حُصرت به من بين الناس بـ(إنّما)، وأنَّه لا يجوز حمل النصِّ على دلالة

(١) فتح الباري: كتاب فضائل الصحابة مسألة (٣٤٥٤): ص ١٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: باب قول النبي صلى الله عليه وآله سدوا الأبواب إلّا باب أبي بكر: صفحة ١٩. وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: المسألة (٤٧٨٢) والترمذي في سننه: المسألة (٣٧٣٢) ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الجزء التاسع: باب جامع في مناقبه: صفحة ١٢٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله) سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر: صفحة ١٩.

الموالاة في الدين بين المؤمنين عامة لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقد حصر الذين يؤتون الزكاة أثناء ركوعهم بهذه الولاية؛ فعليٌّ عليه السلام هو ولي الله.

وهو المذكور في الحديث عن عمران بن الحصين، قال: «**عليٌّ مني وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي**»[(١)].

فالولاية له بالدلائل وقال عليه السلام: «**وَاعَجَبَاهُ! أَتَكُونُ الْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ وَلاَ تَكُونُ بِالصَّحَابة وَالْقَرَابَةِ؟**»[(٢)].

المبحث الثاني

المولى

أمَّا قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام في خطبة الوداع عند غدير خم: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[(٣)]، فقال الشافعي: يعني بذلك ولاء الإسلام، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[(٤)].

والمولى هو الولي كما قلنا بأنَّ الولي هو المولى؛ ففي تفسير الطبري

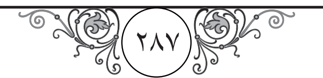
---

(١) أخرجه أحمد في المسند، والترمذي، والنسائي انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٥/ ٢٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة محمد عبدة:٣/ ١٩٥ برقم ١٩٠.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب للمغازلي: ٣١. وانظر: سير أعلام النبلاء: ٢٨/ ٢٣٣

(٤) سورة محمد، الآية: ١١.





لقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾: (قال مولاهم: وليهم)[1]، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2]: أنت ولينا[3].

والدليل الآخر على أنَّ المولى هو الولي قول ابن منظور: إنَّ أُسامة قال للإمام عليٍّ عليه السلام: لست مولاي، إنَّما مولاي رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقال صلَّى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، وكلُّ من ولي أمر واحد فهو وليّه، ويقال: بينهما ولاء، بالفتح، أي: قرابة[4].

وعندما قالها رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام قال عمر لعليٍّ عليه السلام: (أصبحت مولى كلِّ مؤمن) أي ولي كلِّ مؤمن[5].

وعن أبي هريرة أنَّه قال: من صام يوم ثماني عشرة خلت من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لمَّا أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بيد عليِّ بن أبي طالب فقال: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه**»[6].

---

(١) جامع البيان، للطبري: ٢٢/ ١٦٤.

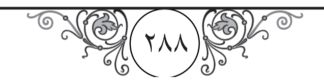
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢/ ١٦٤. وقد ذكر الحديث في عدد كبير من كتب المفسرين.

(٤) لسان العرب نفسه.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٨/ ٢٣٥. ومسند الإمام أحمد: مسألة ١٨٠١١. وسنن ابن ماجة: مسألة: ١١٦. والمصنف لابن أبي شيبة: ٧/ مسألة ٤٧٢٤. صفحة ٥٠٣.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب للمغازلي:٤٧. وسير أعلام النبلاء: ٢٨/ ٢٣٤.



والموالاة: ضدّ المعاداة، والولي: ضدّ العدو؛ فالذي يتخذ أحداً ولياً فهو ناصره، فقد روي أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قال: «**من تولاني فليتولَّ علياً**»؛ معناه من نصرني فلينصره. وقوله: «**اللهم والِ من والاه**»، أي أحبب من أحبه، وانصر من نصره(١).

وأخرج الحافظ النسائي في الخصائص: لما رجع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن ثمَّ قال: («**كأنِّي دعيت فأجبت، وإنِّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض...**»، ثمَّ قال: «**إنَّ الله مولاي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن**»، ثم أخذ بيد عليٍّ عليه السلام فقال: «**من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...**»، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال: نعم، وإنَّه ما كان في الدوحات أحد إلَّا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه)(٢).

---

(١) لسان العرب: ١٥/ ٢٨٢. وانظر: سير أعلام النبلاء: ٢٨/ ٢٣٢.

(٢) النسائي: الخصائص - ص ٣٩ - ٤٠ - ٤١. والمحب الطبري: ذخائر العقبى - ص ٦٧. الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٠٩ وأيضاً الحافظ الذهبي في تلخيصه. ومصادر أُخرى للحديث.. الإصابة، ابن حجر العسقلاني: ٢/ ١٥ - وأيضاً ج ٤/ ٥٦٨. والخطط، المقريزي: ٢/ ٩٢. ومسند أحمد: ١/ ٣٣١ ط ١٩٨٣. والاعتقاد البيهقي: ٢٠٤ - وأيضاً ٢١٧ ط بيروت - ١٩٨٦. والجامع الصغير، السيوطي: ٢/ ٦٤٢. وتاريخ الخلفاء، السيوطي:١٦٩. والرياض النضرة، المحب الطبري: ٢/ ١٧٢. ووفيات الأعيان، ابن خلكان: ٤/ ٣١٨، ٣١٩. وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٧/ ٤٣٧. والإمامة والسياسة، ابن قتيبة باب (وقوع عمرو بن العاص في علي): ١/ ١٠٩.

ولهـذا يقـول ابـن حجـر: (إنَّ حديـث الغديـر صحيـح لا مريـة فيـه، ولا يلتفـت لمـن قـدح في صحتـه ولا لمـن ردّه)[١].

وخطبـة رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في حجـة الـوداع مذكـورة في معظـم التفاسـير وكتـب الأحاديـث، لم ينكرهـا أحـد حتـى مـن نصـب العـداء لأهـل البيـت عليهـم السـلام، فقـد قـال ابـن تيميـة: (وثبـت في صحيـح مسـلم عـن زيـد بـن أرقـم أنَّـه قـال: خطبنـا رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه بغديـر يدعـى (خـم) بـين مكـة والمدينـة)[٢].

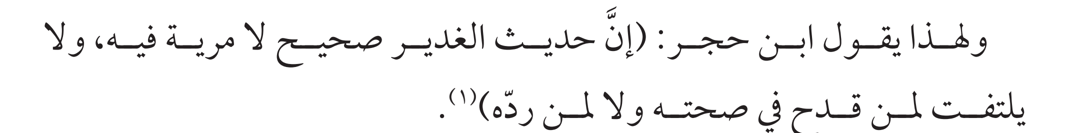
وربـما يكـون ذكـر أبي جعفـر الطـبري لواقعـة حديـث غديـر خـم هـو السـبب في تعرضـه لمحنـة شـديدة في أواخـر حياتـه بسـبب التعصـب المذهبـي، فلقـد وقعـت ضغائـن ومشـاحنات بـين ابـن جريـر الطـبري ورأس الحنابلـة في بغـداد أبي بكـر بـن داود السجسـتاني أفضـت إلى اضطهـاد الحنابلـة لابـن جريـر، وكان المذهـب الحنبـلي في هـذه الفـترة هـو المسـيطر عـلى العـراق عامـةً وبغـدادَ خاصـةً، وتعصـب العـوامّ عـلى ابـن جريـر ورمـوه بالتشـيّع وغالـوا في ذلـك، حتـى منعـوا النـاس مـن الاجتـماع بـه، وظـل ابـن جريـر محـاصرًا في بيتـه حتـى تُـوفّي[٣].

المبحث الثالث

(١) صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢ -١٢٣.

(٢) ابن تيمية: حقوق آل البيت: ١٣.

(٣) محمد بن جرير الطبري/ https://ar.wikipedia.org/wiki.



صالح المؤمنين عليٌّ عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

صالح المؤمنين في كتب الأحاديث

فقد وردت الرواية من طريق الخاص والعام أنَّ المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام وهو قول مجاهد وفي كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لقد عرَّف رسول الله صلَّى الله عليه وآله علياً عليه السَّلام أصحابه مرّتين، أمَّا مرَّة فحيث قال: **من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**، وأمَّا الثانية فحيث نزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله بيد عليٍّ عليه السلام فقال: أيها الناس هذا صالح المؤمنين»[2].

والحديث المذكور[3]، عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: « **صالح المؤمنين عليُّ بن أبي طالب** »[4]، وقوله

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٢) تفسير فرات: ٢/ ٤٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٨/ ١٧٦.

(٤) القرطبي: ١٨/ ١٧٨ مناقب آل أبي طالب:١/ ٥٦٢. أمالي الصدوق: ٢٠ وكشف الغمة: ٩٢-٩٣. فرات الكوفي: ٢/ ٤٩١. مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٦٢. بحار الأنوار: ٣٩/ ٣٠، وتاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣٥١- ٣٦١.

صلَّى الله عليه وآله: «**وصالح المؤمنين نزلت في عليٍّ خاصة**»[١].

ونقل القمِّي أيضاً حديثاً عن الباقر عليه السلام قال: «**صالح المؤمنين هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام**»[٢].

وعن رشيد الهجري قال: كنت أسير مع مولاي عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في هذا الظهر فالتفت إليَّ فقال: «**أنا والله يا رشيد صالح المؤمنين**»[٣].

وعن عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: «**دعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى يا رسول الله وما زلت مبشراً بالخير، قال: قد أنزل الله فيك قرآناً، قال: قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: قرنت بجبرئيل ثمَّ قرأ** ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ **فأنت والمؤمنون من بنيك الصالحين معاشر الناس، إنَّ ربكم جلَّ جلاله أمرني أنْ أُقيم لكم علياً علماً وإماماً وخليفةً ووصياً، وأنْ أتخذه أخاً ووزيراً**»[٤].

صالح المؤمنين في كتب التفاسير

في تفسير القمِّي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ

---

(١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ١/ ٢٣٩.

(٢) تفسير القمي رواية الإمام الباقر عليه السلام، نقلت بأسانيد معتبرة في كتاب: روضة الواعظين: ١/ ٨٩، والاحتجاج: ١ / ٦٦، واليقين: ٣٤٣ باب ١٢٧.

(٣) تفسير فرات: ٢/ ٤٢٠.

(٤) تفسير القمّي: ١ / ٨٩.

الْمُؤْمِنِينَ﴾: (وصالح المؤمنين يعني: أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ يعني: لأمير المؤمنين عليه السلام)[1].

وذلك يدلُّ على أنَّه أفضلهم؛ لأنَّ القائل إذا قال: فلان فارس قومه أو شجاع قبيلته أو صالحهم، فإنَّه يفهم من جميع ذلك أنَّه أفرسهم وأشجعهم وأصلحهم[2].

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**معاشر الناس، إنَّ علياً باب الهدى بعدي، والداعي إلى ربي، وهو صالح المؤمنين:** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]، **معاشر الناس، إنَّ علياً مني، ولده ولدي، وهو زوج حبيبتي، أمره أمري، ونهيه نهيي**»[4].

وفي حديث آخر قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ: «**أمَا ترضى أنْ تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى**»[5].

وعليٌّ وشيعته هم خير البرية يوم القيامة، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[6] جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**أنت**

---

(١) تفسير القمّي: ٦٧٧ - ٦٧٨.

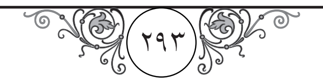
(٢) ا التبيان للطوسي.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٤) تفسير البرهان: ١٧.

(٥) صحيح البخاري/ كتاب فضائل الصحابة الحديث: [٣٥٠٣].

(٦) سورة البيّنة، الآية: ٧.



يا عليٌّ وشيعتك»[1].

ونقل فرات الكوفي عن الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: من الخير لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ما لم يقله لأحد، قال: أنت وشيعتك يا عليٌّ خير البرية؛ فعليٌّ والله خير البرية بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله**»[2].

وعن ابن عباس: إنَّ هذه الآية لَّما نزلت قال صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ: «**هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة، راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحي**»[3].

وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله فأقبل عليٌّ، وكان أصحاب محمّد صلَّى الله عليه وآله: إذا أقبل عليٌّ قالوا: قد جاء خير البرية[4].

وأخرج ابن مردويه، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: «**قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله: أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأُمم للحساب تدعون غراً محجلين**»[5].

وعن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله فأقبل

(١) تفسير الطبري: ٢٤ / ٥٤٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٢/ ٨٨٤.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٩٦، ١٥٩.

(٤) الحاكم الحسكاني – شواهد التنزيل: ٢/ ٤٦٠.

(٥) ابن عساكر – تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣٧١.

عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: « **قد أتاكم أخي** »، ثمَّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثمَّ قال: « **والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة** »، ثمَّ قال: « **إنّه أوّلكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرّعية وأقسمكم بالسويّة وأعظمكم عند الله مزيّة** »(1).

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن عدي، عن ابن عباس قال: (لَمّا نزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السَّلام: « **هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين** »)(2).

وعن أبي الجارود، عن محمد بن عليّ ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: « **أَنْتَ يا عَليُّ وَشِيعَتُك** »(3).

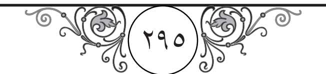
وعن عائشة قالت: قلت يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشة أمَا تقرئين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فأقبل عليٌّ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: « **والذي نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة** »، ونزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ فكان أصحاب محمّد إذا أقبل

---

(1) ابن حجر – الصواعق المحرقة: ٩٦، ١٥٩.

(2) السيوطي – الدر المنثور – الجزء: ٦/ ٣٧٩.

(3) تفسير الطبري: ٢٤/ ٥٤٢.



قالـوا: قـد جـاء خـير البريـة.

وهكـذا تبـيّن لنـا بـأنَّ الإمـام عليّـاً عليـه السـلام هـو الـولي بعـد الله تعـالى ورسـوله صـلَّى الله عليـه وآلـه، وهـو المـولى بعدهـم كذلـك، وهـو صالـح المؤمنـين، وهـو خـير البريـة، وهـو المقصـود بالولايـة في بيعـة الغديـر المباركـة.

فبايعـه الرجـال وقـد أمـر النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه النسـاء كذلـك بالبيعـة لعـليٍّ عليـه السـلام بإمـرة المؤمنـين وتهنئتـه، وقـد أكَّـد ذلـك بصـورة خاصـة عـلى زوجاتـه وأمرهـن أنْ يذهبـن إلى خيمتـه ويبايعـن.

فأمـر رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه بإحضـار إنـاء كبـير فيـه مـاء، وأنْ يـضرب عليـه بسـتار بحيـث إنَّ النسـاء كـنَّ يضعـن أيديهـن في الإنـاء خلـف السـتار، وأمـير المؤمنـين عليـه السـلام يضـع يـده في الإنـاء مـن الجانـب الآخـر، وبهـذه الصـورة تمـت بيعـة النسـاء.

وقـد أهـدى الرسـول الأعظـم صـلَّى الله عليـه وآلـه في يـوم الغديـر عمامتـه التـي تسـمى (السـحاب) ووضعهـا عـلى رأس أمـير المؤمنـين عليـه السـلام وألقـى بحنكهـا عـلى كتفـه، عـلى مـا كان مـن عـادة العـرب عنـد إعـلان رئاسـة شـخص.

عـليٌّ وأولاده هـم الثقـل الأصغـر قـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: «**توشـكون أنْ تـردوا عـليَّ الحـوض فأسـألكم حـين تلقونـني عـن ثقـلي، كيـف خلفتمـوني فيهـما**»، حتـى قـام رجـل مـن المهاجريـن وقـال: بـأبي أنـت وأُمِّـي أنـت نبـيُّ الله مـا الثقـلان؟ قـال صـلَّى الله عليـه وآلـه: «**الأكـبر منهـما كتـاب الله**

تعالى: طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تضلوا، والأصغر منه عترتي... ووليهما لي وليٌّ وعدوهما لي عدو»[1].

عليٌّ هو المخلوق من شجرة رسول الله صلَّى الله عليه وآله

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام بينما هما في عرفات: «**ادنُ مني يا عليُّ، خلقت أنا وأنت من شجرة فأنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة**»[2].

ذلك الغصن الذي لا يتعلق به إلَّا المؤمنون؛ ووصلهم وصل لرحم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وقاطع الرحم في القرآن الكريم هو من لا يتعلق بهم، فقد قال الفراء في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3]، قال المسيّب بن شريك والفرّاء: نزلت في بني أُمية وبني هاشم؛ ودليل هذا التأويل ما روى عبد الله بن مُغَفّل قال: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله يقول: «**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ**»، ثم قال: «هم هذا الحيّ من قريش أخذ الله عليهم إن وَلّوا النّاس ألّا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم»[4].

فلا يقطعوا أرحامهم أي: أرحام أهل البيت محمّد صلَّى الله عليه

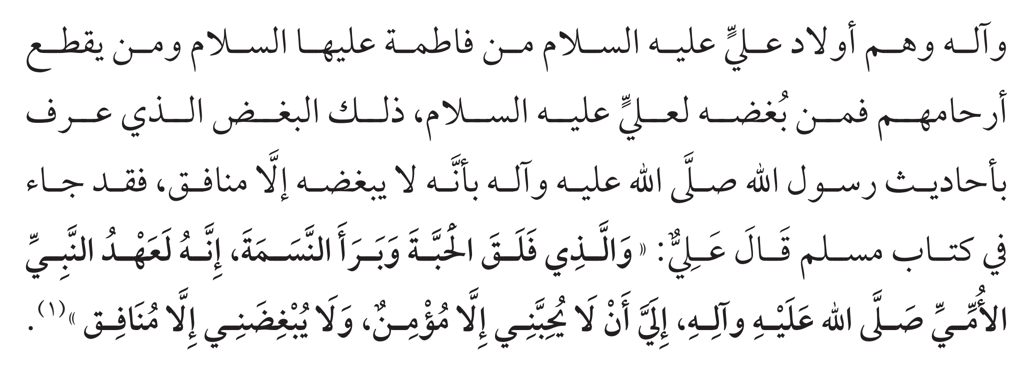
(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٤٥-٤٦.

(٢) المناقب: ١٤٧.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٢/١٧٨، وانظر تفسير الآية في البرهان وتفسير الثعلبي وتفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ الثعالبي.





وآلـه وهـم أولاد عـليٍّ عليـه السـلام مـن فاطمـة عليهـا السـلام ومـن يقطـع أرحامهـم فمـن بُغضـه لعـليٍّ عليـه السـلام، ذلـك البغـض الـذي عـرف بأحاديـث رسـول الله صلَّى الله عليـه وآلـه بأنَّـه لا يبغضـه إلَّا منافـق، فقـد جـاء في كتـاب مسـلم قَـالَ عَـلِيٌّ: «**وَالَّـذِي فَلَـقَ الْحَبَّـةَ وَبَـرَأَ النَّسَـمَةَ، إِنَّـهُ لَعَهْـدُ النَّبِـيِّ الأُمِّـيِّ صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وآلِـهِ، إِلَيَّ أَنْ لَا يُحِبَّنِـي إِلَّا مُؤْمِـنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِـي إِلَّا مُنَافِـق**»[١].

نقلـه النسـائي وقـال: الحديـث بـهِ سـبعة أنفس، ثـمَّ قـال: وهـؤلاء كلُّهـم ثقـات[٢].

ذلـك البغـض الـذي ذُكـر في القـرآن الكريـم في قولـه تعـالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣]، قـال الشـوكاني في تفسـيرها: (والأحاديـث في صلـة الرحـم كثـيرة جـداً... وفي قولـه (ولتعرفنهـم في لحـن القـول): قـال: ببغضهـم عـليّ بـن أبي طالـب)[٤].

وكذلـك في مناقـب ابـن المغـازلي الشـافعي، يرفعـه إلى أبي سـعيد الخـدري، في قولـه تعـالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، قـال: ببغضهـم عـليَّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام[٥].

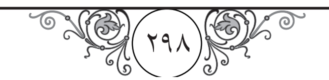
(١) في صَحِيح مسلم: (٢٦٨٢)، والنسائي:٨/ ١١٥، وفي السنن الكبرى: ٨٤٣٣، و: ٨٠٩٧ و:٨٤٣١ وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٢٤٦)، وشرح السنة، البغوي (٣٨١٨).

(٢) في السنن الكبرى: (٨٠٩٧) و(٨٤٣١).

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٤) فتح القدير/ الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ): ١/ ١٣٧٨.

(٥) المناقب: ٣٨١.



وقال الآلوسي: (ذكروا من علامات النفاق بغض عليٍّ كرم الله تعالى وجهه... وعندي أنَّ بغضه رضي الله تعالى عنه من أقوى علامات النفاق)[(١)].

وعن عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام قال: « **والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنَّه لعهد النبيِّ الأُميِّ إليَّ أنَّه لا يحبني إلَّا مؤمن ولا يبغضني إلَّا منافق** »[(٢)].

وهو وريث رسول الله صلَّى الله عليه وآله، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: « **لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارث، وإنَّ وصيي ووارثي عليُّ بن أبي طالب** »[(٣)].

وهو نفس رسول الله ومنه، فقد جاء في تفسير آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(٤) بأنَّ أنفسنا المقصود بها عليّ بن أبي طالب عليه السلام[(٥)].

ونقلت التفاسير عن الشعبي أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال: (« **لقد أتاني البشير بهلكة نجران حتى الطير على الشجر لو تموا على الملاعنة** »، وروي أنَّ أسقف نجران لَمَّا رأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله مقبلاً ومعه عليٌّ وفاطمة والحسنان - عليهم السلام -، قال: يا معشر النصارى: إنِّي

(١) روح المعاني، للآلوسي: ٢٦/ ٧٨.

(٢) المصنف: ج٧/ مسألة ٤٧٢٣ (١٨).

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٥) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٩٩.

لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أنْ يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا)[1].

وقال الزمخشري: (وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لأنَّه لم يروِ أحد من موافق ولا مخالف أنَّهم أجابوا إلى ذلك)[2].

وهو أعلم أُمَّته بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله: فعن سلمان الفارسي قال: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله من وصيك من أُمَّتك؟ فإنَّه لم يُبعث نبيٌّ إلَّا وكان له وصيٌّ من أُمّته، فقال صلَّى الله عليه وآله: «**يا سلمان سألتني عن وصيي من أُمَّتي، فهل تدري من كان وصي موسى من أُمَّته؟**»، فقلت: كان وصيه يوشع بن نون فتاه، فقال صلَّى الله عليه وآله: «**فهل تدري لم كان أوصى إليه؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال صلَّى الله عليه وآله: «**أوصى إليه لأنَّه كان أعلم أُمَّته بعده، ووصيي هو أعلم أُمَّتي بعدي عليّ بن أبي طالب**»[3].

فقد جاء في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾[4].

فكيف يؤدي الخلافة أحد بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله غير عليٍّ

---

(١) روح المعاني، للآلوسي: ٣/ ١٨٩.

(٢) الكشاف: ١/ ٥٦٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٤) بصائر الدرجات، للصفار: ١٤١.

عليه السلام، وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**عليٌّ مني وأنا منه، ولا يؤدّي عني إلاّ عليّ**»[(١)].

وقد روي عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «**لمَّا نزلت عشر آيات من براءة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله دعا أبا بكر ليقرأها على أهل مكة، فقال لي: أدرك أبا بكر، فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه فاقرأه على أهل مكة، فلحقته فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر، وقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: لا، ولكنَّ جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلَّا أنت أو رجلٌ منك**»[(٢)].

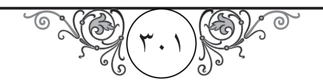
وعن أبي جعفر محمد بن عليٍّ بن حسين بن عليٍّ عليهم السلام قال: «**لمَّا نزلت براءة على رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس؛ قيل له: يا رسول الله، لو بعثت إلى أبي بكر! فقال: لا يؤدّي عني إلَّا رجل من أهل بيتي!... فقام عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله**»[(٣)].

المصادر

(١) المصنف لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ): ج ٧، مسألة ٤٧٢٣ فضائل علّي بن أبي طالب عليه السلام ص ٤٩٦. وسنن الترمذي: مسألة ٣٧١٩:ج ٥/ ٥٩٥. وسنن ابن ماجة: مسألة ١١٩ والسنن الكبرى، والمعجم الكبير للطبراني: مسألة ٣٥١٢.

(٢) فتح القدير، للشوكاني: ١/ ٥٥٦. وانظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، العسقلاني: الحديث ٤٣٧٩/ صفحة ١٦٩. ومجمع الزوائد: التفسير: مسألة ١١٠٣٩ ومسند أحمد بن حنبل (العشرة المبشرين بالجنة): مسألة: ١٢٩٩. الكشاف: ١٤/ ١٠٧.

(٣) الكشاف: ١٤/ ١٠٨.



القرآن الكريم

١- الاحتجاج: العلامة أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، ملاحظات السيد محمد باقر الخرسان.

٢- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى البيهقي أبو بكر (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ط١، ١٤٠١هـ.

٣- أمالي الصدوق: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٢٨١هـ)، ط١ مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩ م.

٤- الإمامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء: ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم تحقيق: الأستاذ علي شيري، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر ١٩٩٠م.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- البرهان في تفسير القرآن: العلامة المحدّث المفسّر السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة في قم.

٧- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن القمّي الصفار (ت القرن

الثالـث)، ط الأحمـدي، طهـران.

٨- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن عليّ بْن ثابت بْن أَحْمَد بْن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩- تاريخ خلفاء المسلمين: الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١ مكتبة نزار مصطفى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٠- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، ط دار الفكر.

١١- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن عليّ الطوسي قدم له: الشيخ اغا بزرك الطهراني، تصحيح: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.

١٢- تفسير الحبري - أبو عبد الله الحسين ابن الحكم بن مسلم الحبري (ت٢٨٦هـ)، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني، ١٩٨٧م.

١٣- تفسير الصافي، المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، ط٣ مكتبة الصدر، إيران - طهران.

١٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة.

١٥- تفسير القمّي، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمّي (القرن الثالث



الهجري)، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ط٣ قم - إيران.

١٦- تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، من أعلام الغيبة الصغرى، تحقيق: محمد كاظم، مؤسسة التاريخ العربي ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٧- جامع الأحاديث (الجامع الصغير) وزوائده والجامع الكبير ويليه الجامع الأزهر في حديث النبيِّ الأنور ويليه الأحاديث الموضوعة من الجامع الكبير ويليه المسانيد والمراسيل: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - عبد الرؤوف بن محمد المناوي، تحقيق: صقر وعبد الجواد، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المعارف - مصر.

١٩- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.

٢٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) (ت٨٧٥هـ): المؤلف: عبد الرحمن ابن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي: تحقيق: علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان.

٢١- حقوق أهل البيت بين السنة والبدعة: ابن تيمية رسالة نادرة

لابـن تيميـة، نشرهـا أبـو تـراب الظاهـري، وكذلـك الأسـتاذ عبـد القـادر عطـا، وقـد نشرهـا أيضـاً بكـر أبـو زيـد في كتابـه جامـع الرسـائل المنشـورة الجـزء٣ / ٦٩-١١٥.

٢٢- خصائـص أمـير المؤمنين عـليٍّ بـن أبي طالـب عليـه السلام: المؤلـف: أحمـد بـن شـعيب النسـائي أبـو عبـد الرحمـن: تحقيـق: أحمـد ميريـن البلـوشي، مكتبـة المعـلا - الكويـت، ١٤٠٦هــ - ١٩٨٦م.

٢٣- الـدر المصـون: أحمـد بـن يوسـف المعـروف بالسـمين الحلبـي، دار القلـم.

٢٤- الـدر المنثـور: جـلال الديـن السـيوطي، ط١، مركـز هجـر، ١٤٢٤هــ - ٢٠٠٣م.

٢٥- الدلالـة القطعيـة الاحتماليـة في القـرآن الكريـم: د. زهـور كاظـم صـادق، أطروحـة الدكتـوراه، ٢٠١٥ جامعـة بغـداد، ٢٠١٥.

٢٦- ذخائـر العقبـى في مناقـب ذوي القربـى: محـبّ الديـن أبـو العبـاس أحمـد بـن عبـد الله بـن محمـد الطـبري المكـي (ت٦٩٤هــ)، تحقيـق: أكـرم البـوشي ومحمـود الأرنـاؤوط ط١/ ١٤١٥هــ.

٢٧- روح المعـاني في تفسـير القـرآن العظيـم والسـبع المثـاني: لأبي الثنـاء السيد محمـود بـن عبـد الله الآلـوسي (ت١٢٧٠هــ)، تحقيـق: محمد أحمـد الأمد، وعبـد السـلام السـلامي، ط١، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ٢٠٠٠م.

٢٨- الريـاض النـضرة في مناقـب العـشرة: الحافـظ أبـو العبـاس أحمـد بـن عبـد الله بـن محمـد، محـب الديـن الطـبري الشـافعي (ت٦٩٤هــ) ط مطبعـة

الخانجي مصر، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، بيروت.

٢٩- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٠- شواهد التنزيل: الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ(الحاكم الحسكاني) الحنفي النيسابوري (القرن الخامس الهجري)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان.

٣١- صحيح البخاري: ط بولاق.

٣٢- صحيح مسلم: مسلم بن حجاج، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبي قتيبة، ط١، دار طيبة، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.

٣٣- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، طبعة مصر ١٨٨٩.

٣٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن عليٍّ بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٣٥- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت ١٢٥٠هـ) ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق.

٣٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي، ط، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، بيروت - لبنان.

٣٧- لسان العرب: للإمام العلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: ياسر سليمان أبي شادي ومجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣٨- مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو عليٍّ الفضل بن المحسن الطَبرسي (ت٥٤٨هـ)، ط٢، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين عليٍّ بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤١- مسند أسماء بنت عميس، ط الموصل.

٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ) دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٣- المصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ط١، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٤- معالم التنزيل: للإمام محيي الدين أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ -



١٩٨٩م.

٤٥- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف بالطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور: محمد الطحان أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط١، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٦- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف بالطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

٤٧- مناقب عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: للحافظ أبي الحسن علي بن محمد الواسطي المعروف بابن المغازلي (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، ط١، صنعاء ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٨- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية): تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور أيمن فؤاد سيد، ط١، مؤسسة الفرقان بلندن.

٤٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس، ط، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.

٥٠- اليقين باختصاص مولانا عليٍّ عليه السلام بإمرة المؤمنين ويتلوه التحصين لأسرار ما زاد من أخبار اليقين: السيد رضي الدين عليٍّ بن الطاووس الحلي، تحقيق: الحافظ الذهبي في تلخيصه، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري)، قم - إيران ١٤١٣هـ.

دلالة الأسبقية وقياس الأولوية في القرآن الكريم/ آيات الغدير أنموذجاً

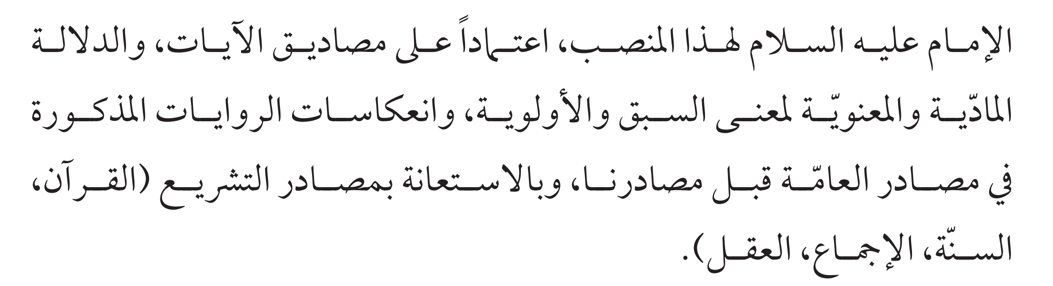
م. د. فردوس هاشم أحمد العلوي

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمَّد صلّى الله عليه وآله وعلى ابن عمّه سيّد الوصيّين وقائد الغرّ المحجّلين ورحمة الله وبركاته وبعد...

فإنّ الباحث في سيرة الإمام عليٍّ عليه السلام ينال من الشرف والعلم والمعرفة ما لم ينله أحدٌ غيره، فهو باب مدينة العلم وسراجها الوهّاج الذي ملأ الكون نوراً وعلماً، وهو الذي نصّبه الله تعالى ليكون خليفة نبيّه صلّى الله عليه وآله؛ لذلك كان بحثي المتواضع الموسوم: (دلالة الأسبقية وقياس الأولوية في القرآن الكريم/ آيات الغدير أُنموذجاً) من الموضوعات المهمة في العلوم التفسيرية والمباحث العقائديّة على حدٍّ سواء، إذ يعدّ من البحوث المهمّة التي تلامس عقيدة المسلم في حقيقة اختياره لمن هو أَولى وأَحقّ لمنصب الزعامة من بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو الإمام عليّ عليه السلام فهو عدل القرآن وباب علم مدينة رسول الله صلّى الله عليه وآله، إذ تبيّن القرائن العقليّة والنقليّة والدلاليّة أحقيّة





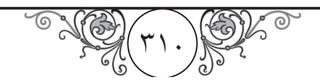
الإمـام عليـه السـلام لهـذا المنصـب، اعتـماداً عـلى مصاديـق الآيـات، والدلالـة المادّيـة والمعنويّـة لمعنـى السـبق والأولويـة، وانعكاسـات الروايـات المذكـورة في مصـادر العامّـة قبـل مصادرنـا، وبالاسـتعانة بمصـادر التشريـع (القـرآن، السـنّة، الإجمـاع، العقـل).

لـذا كان البحـث متكونـاً مـن مقدّمـة تبـيّن الإطـار العـام للبحـث، وتمهيـد تَضَمَّـن السـبق، والأسـبقيّة في اللغـة والاصطـلاح، وتعريـف قيـاس الأولويّـة عنـد المفسّريـن والأصوليـين في اللغـة والاصطـلاح.

والمبحـث الأَوّل الموسـوم: (حـقّ السـبق والأولويّـة مـن وجهـة نظـر تفسـيريّة)، والـذي يتضمـن نـماذج مـن الروايـات التـي جُعلـت مصداقـاً لتفسـير الآيـات القرآنيّـة الدالّـة عـلى السـبق والأولويّـة، والتـي تبـيّن أنّ حقيقـة السـبق إنّـما جُعلـت لفئـة معيّنـة مـن النـاس، ممّـن تتجـلّى بهـم صفـات القربـى إلى الله تعـالى، وحيازتهـم المراتـب الأُولى مـن الجـزاء الإلهـي وليسـت عامّـة لـكلِّ النـاس.

أمّـا المبحـث الثـاني الموسـوم: (الأسـبقية والأولويّـة بـين المادّيـة والمعنويّـة) فهـو يتضمـن التفريـق بين الدلالتـين المادّيـة والمعنويّـة للسـبق، إذ إنّ الأُولى تعني الأسـبقيّة في الزمـن، والثانيـة تعني الأسـبقية في المكانـة والتي تسـمّى(الأولويّة)، وكـذا التفريـق بـين معنـى الأولويّـة عنـد المفسّريـن، و(قيـاس الأولويّة)عنـد الأُصوليـين، إذ إنّ لـكلٍّ منهـا دلالات مختلفـة قـد تجتمـع في هـذا البحـث.

والمبحـث الثالـث الموسـوم: (الأولويّـة في الآيـات الغديريّـة) الـذي يتضمـن



ملخصاً لخطبة النبيِّ صلّى الله عليه وآله يوم الغدير، وتطبيقات على الآيات التي نزلت يوم الغدير، وبيان دلالاتها عند المفسّرين، والدلالات الماديّة والمعنويّة، لإظهار حقّ السبق والأولوية لتسنّم هذا المنصب الإلهي، وكذا بيان الآراء في ذلك عند الفريقين.

وكذا تضمّن البحث خاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي أعانت الباحثة في بحثها.

وأخيراً نسأل المولى العليَّ القدير أنْ يجعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام، ومن السائرين على نهجه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد:

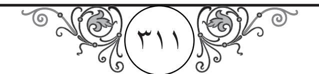
القياس في اللغة والاصطلاح:

القياس في اللغة من قيس: و(قاسَ الشيء يَقيسُه قَيْساً وقياساً واقْتاسه وقَيَّسه إِذا قدَّره على مثاله)[1].

والمِقياس: المِقْدار، وقاسَ الشيء يَقوسُه قَوْساً: لغة في قاسَه يَقِيسه، ويقال: قِسْته وقُسْته أَقُوسُه قَوْساً وقِياساً، ولا يقال أَقَسْته، بالأَلف[2].

(١) ابن منظور، لسان العرب: ٦/ ١٨٧.

(٢) ينظر: م. ن.



والمِقْياس: ما قِيسَ به، المُقايَسة مُفاعَلَة من القياس[١].

والقياس: بكسر القاف مصدر قاس، التقدير. أو القياس يعني إلحاق أصلٍ بفرعٍ في الحكم لاتحادهما في العلّة وهو على نوعين:

١- قياس جلي: قياس العلّة، ما قطع فيه بنفي الفارق، ما تبادرت علّته إلى الفهم عند سماع الحكم.

٢- قياس خفي: قياس الشبه، ما لم يقطع فيه بنفي الفارق ما لم تدرك علته إلّا بالفكر والتأمل.

٣- قياس الأولى: ما كانت العلّة فيه في الفرع أظهر منها في الأصل[٢]، حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما[٣].

وقال الآمدي: (مساواة فرع بأصل في علّة حكمه)[٤].

ويرى المرتضى وصاحب الذريعة أنّ القياس هو إثبات حكم مثل المقيس عليه للمقيس[٥]، وقيل هو: إثبات حكم الأصل في الفرع

---

(١) ينظر: م. ن.

(٢) محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء: ٣٧٣.

(٣) ابن جزي، تقريب الوصول إلى علم الأصول: ١٨٥.

(٤) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ١٧٠.

(٥) المرتضى، الذريعة: ٢/ ٦٦٩. ينظر: الطوسي، العدة: ٢/ ٦٤٧.

لاشـــتراكهما في علّـــة الحكـــم[1].

يبـدو مـن خـلال مـا تقـدّم أنّ للقيـاس جنبتيـن إحداهمـا الجنبـة الماديّـة التـي تعنـى بالمقاديـر، والأُخـرى معنويّـة تعنـى بالمقارنـة بـين الأحـكام.

الأولويـــة في اللغـــة: والأَوّل والأولى بمنزلـــة أفعـــل وفعـــلى، وجمـــع أول: أولـــون: وجمـــع أولى: أوليـــات، كـــما أنَّ جمـــع الأُخـــرى: أُخريـــات[2].

والأولى بالـشيء: الأحـق بـه مـن غـيره، وهـم الأولـون، والاثنـان: الأوليان، وكذلـك كلّ كلمـة في آخرهـا ألـف إذا جمعتـه بالنـون، كان اعتـماد الـواو واليـاء اللتـين قبـل النـون عـلى نصبـه، نحـو: مثنـى، وأولى: معـروف، وهـو وعيـد وتهـدد وتلهـف[3].

أولى، الأولويـة: الأولى: الأحـق. الأجـدر. الأحـرى. ترجيـح أحـد القولـين أو الاحتمالـين عـلى الآخـر بوجـهٍ مـا، أي اسـتناداً عـلى دليـل، الأولويـة: حـال كـون الـشيء أولى[4].

تعريف قياس الأولوية:

مفهـوم الموافقـة أو قيـاس الأولويـة: وهـو مـا كان اقتضـاء الجامـع فيـه

(١) الغزالي، شفاء الغليل: ١٨.

(٢) الفراهيدي، العين: ٨/ ٣٦٨.

(٣) م. ن: ٨/ ٣٧٠.

(٤) مركز المعجم الفقهي، المصطلحات: ٥٦٣.



للحكم بالفرع أقوى وأوكد منه في الأصل[١]، ومثاله ما ورد في القرآن الكريم من النهي عن التأفف من الوالدين، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[٢] القاضي بتحريم ضربهما، وتوجيه الإهانة إليهما[٣].

أمَّا فحوى الخطاب: (وهو ما دُلَّ عليه بالتنبيه، ويُشترط فيه أنْ يكون المسكوت عنه أَولى بالحكم، ولذلك يسمّى التنبيهَ بالأدنى على الأعلى)[٤].

أو هو: أنْ يكون المسكوت عنه أَولى بالحكم، كالضرب مع التأفيف[٥].

أو (المعنى المستنبط من النصّ، الذي لم يرد النصّ من أجله)[٦].

والمعروف عند الأُصوليين أنَّ فحوى الخطاب هو ما لا يدلُّ عليه اللفظ بمنطوقه، وإنَّما هو مسكوت عنه، لكن يستفاد من اللفظ بكون الحكم فيه أولى منه في المنطوق، كتحريم الضرب المستفاد من تحريم التأفيف بطريق أَولى[٧].

سبق: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدلّ على التقديم،

---

(١) الحكيم، الفقه المقارن: ١/ ٣٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) الحكيم، الفقه المقارن: ١/ ٣٥٧.

(٤) الداماد، الرواشح السماوية: ٢٩٧.

(٥) الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ١/ ٥٣.

(٦) محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء: ٦٨.

(٧) الكركي، جامع المقاصد: ٨/ ١٨٦.

يقال سبق يسبق سبقاً، فأمَّا السبق فهو الخطر الذي يأخذه السابق[1].

والسبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به: سبق يسبق سبقاً وتسابق تسابقاً، وسابقة مسابقة واستبقوا استباقاً، وسبقه تسبيقاً إذا أعطاه السبق[2].

والسبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به: (سبق يسبق سبقاً وتسابقاً، وسابقة مسابقة واستبقوا استباقاً وسبقه تسبيقاً إذا أعطاه السبق)[3].

والسبق مصدر: سبق، وهو في اللغة: (القدمة في الجري وفي كلِّ شيء)[4].

والأَسْبَقِيَّة: (اسم) مصدر صناعيّ من أسبقُ: أقدميَّة، تقدُّم في الزمان، أولويّة وتقدُّم على الآخرين نال الترقية بالأسبقية، لهذا الكتاب أسبقيّة في بحث الموضوع المطروح الأسبقيّة رتبة: الأولويَّة، الأسبقيَّة زمانًا: الأقدميَّة[5].

الأولوية: حال كون الشيء أولى. (انظر: أولى): الأسبقية، السبق: حق السبق، وهو ما يؤدي إلى عدم مزاحمة غيره، فمثلاً عبارة فلان له الأولويّة في تملك أرض الموات تعنى أنَّه لا يجوز لغيره مزاحمته فيها[6].

(١) أحمد بن زكريا ابن فارس، مقاييس اللغة: ٣/ ١٢٩.

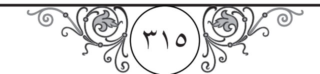
(٢) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ١٤٧.

(٣) م. ن.

(٤) محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ٢/ ٢٣٩.

(٥) معجم المعاني الجامع.

(٦) مركز المعجم الفقهي، المصطلحات: ٥٦٣.



يبدو من خلال التعريفات السابقة أنّ هناك فرقاً بسيطاً بين تعريف وآخر بحسب الأهمية والأولوية، وعدم المزاحمة.

المبحث الأول: حقّ السبق والأولوية من وجهة نظر تفسيرية:

للسبق في القرآن الكريم دلالتان إحداهما ماديّة وهي (الأسبقية)، والأُخرى معنوية وهي (الأولوية)؛ لذا لابدَّ من التمييز بينهما لبيان دلالة كلٍّ منهما.

الأسبقيّة: قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[2].

روي في ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أنّها نزلت في عليٍّ عليه السلام، وروى أحمد بن حنبل في مسنده في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[3] أنّها نزلت في عليٍّ عليه السَّلام، والصديقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجار، وهو مؤمن آل يس، وحزقيل، وهو مؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي طالب، وهو أفضلهم، رواه أحمد بن حنبل في مسنده بثلاث

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٠.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.

طرق، ورواه الثعلبي في تفسيره بطريقين[1].

و بإسناده عن عليٍّ عليه السلام قال: «﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فيَّ **نزلت**»[2].

وعن جابر الجعفي قال: (قال أبو عبد الله عليه السَّلام: «**يا جابر إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[3] **فالسابقون هم رسل الله عليهم السَّلام وخاصةُ الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح أيّدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عزَّ وجلَّ وأيَّدهم بروح القوّة فبه قدروا على طاعة الله، وأيّدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عزَّ وجلَّ وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون**»[4].

يبدو من خلال ما تقدّم وباتفاق الفريقين أنَّ المقصود بالأسبقية هم

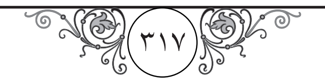
---

(١) ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة: ٣/ ٦٢٧، ح١٠٧٢. وينظر: كنز العمال: ١١/ ٦٠١، ح٣٢٨٩٨. الدرّ المنثور: ٧/ ٥٣. الصواعق المحرقة: ٧٥. إحقاق الحق: ٥/ ٥٩٧، و٣/ ٢٤٣، نقلًا عن أحمد.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٧١.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٧-١٠.

(٤) الكليني: لكافي: ١/ ٢٧٢



الثلّة السابقة إلى التصديق بالدين السماوي، سواء أكان دين الإسلام أم غيره، فهم نالوا رتبة الأسبقية في التصديق، وبذلك فهم أفضل من غيرهم في الرتبة والمنزلة والشرف.

يقول الكليني: (ولو جاز أنْ يكون الأفضل أنقص درجة؛ لبطل الفضل، ولم يكن له معنى ولا رغب فيه راغب، وليس للفضل معنى إلّا أمر الله تعالى بتعظيم الأرفع في الدنيا وترفيع منزلته في الجنة)(١).

وقيل هم الذين عرفت في السبق حالهم وعلمت في التقديم مآلهم فلا يحتاجون إلى بيان كمالاتهم وتوضيح حالاتهم(٢).

أمّا قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٣)، فقد سئل عنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقال: «**أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعليّ بن أبي طالب وصيي أفضل الأوصياء**»؟ قالوا: «**اللهم نعم**».

ويرى آخرون أنّ الاستباق من الله تعالى: هو الفضل واللطف والرحمة والإحسان، وأمّا العدل والحساب والجزاء المتعادل: فإنّما هي في المرتبة اللاحقة، والاستباق من العبد: هو المسارعة في الخيرات والمجاهدة في الأعمال الصالحة والملازمة بالطاعات(٤).

---

(١) ابن حزم: المحلىّ: ١/ ٤٤

(٢) المازندراني: مولى محمد بن صالح: شرح أصول الكافي: ٧/ ٧٣

(٣) الواقعة: ١٠-١١

(٤) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٥/ ٤٠.

أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1]: أي من أخذت عناية الله بأيديهم في ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بإضافة نور الهداية عليهم إلى تميّز الحقّ من الباطل وأولئك هم عن النار مبعدون[2].

وقيل: (أي سبقت لهم في علم الله وقضائه ومشيئته، الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة، أو البشرى بالجنة، أو العاقبة الحسنى)[3].

وقيل في دلالة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.[4] و﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾[5]، ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[6]، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[7]. والمعنى في جميع هذه الموارد هو التحرك في برنامج بحيث يكون متقدّماً وفي الصفّ الأوّل ويلحق به الآخرون.

يقول المرتضى: (ويختص مخالفونا بشرط آخر يذكرونه على مذاهبهم، وهو أنَّهم يشترطون في هذه الآية وفي أمثالها من آيات الوعد بالثواب على

---

(١) سورة الأنبياء، الآية:١٠١.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٣٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ٣٤/ ١٧٦.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٩.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١١.

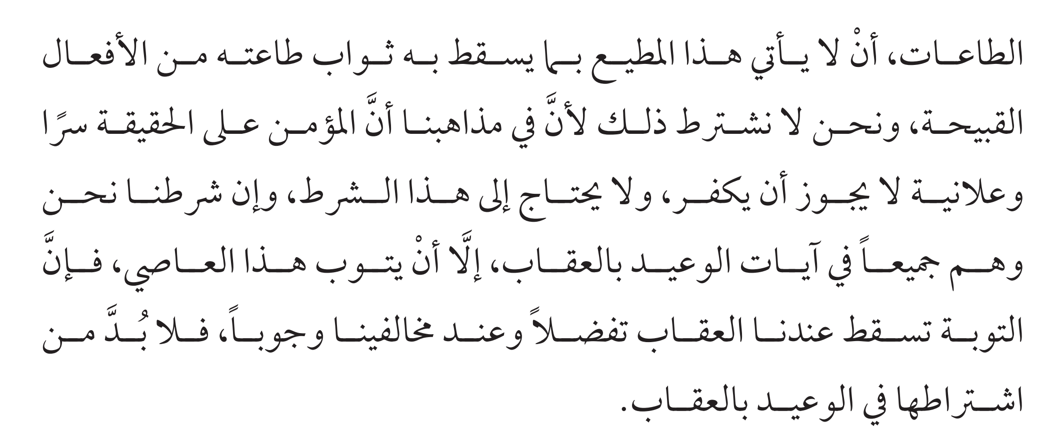
(٧) سورة الحجر، الآية: ٥.



الطاعات، أنْ لا يأتي هذا المطيع بما يسقط به ثواب طاعته من الأفعال القبيحة، ونحن لا نشترط ذلك لأنَّ في مذاهبنا أنَّ المؤمن على الحقيقة سرًا وعلانية لا يجوز أن يكفر، ولا يحتاج إلى هذا الشرط، وإن شرطنا نحن وهم جميعاً في آيات الوعيد بالعقاب، إلَّا أنْ يتوب هذا العاصي، فإنَّ التوبة تسقط عندنا العقاب تفضلاً وعند مخالفينا وجوباً، فلا بُدَّ من اشتراطها في الوعيد بالعقاب.

وقال أيضاً: (فمن أين لمخالفينا إذا ثبت لهم دخول من يريدون دخوله في الآية، مضافاً (إلى إيمانه باطناً وظاهراً أنَّه ما أتى طول عمره بما يسقط ثواب سبقه إلى الإسلام)[1].

وأضاف المرتضى قائلاً: ليس يخلو المراد بالسابقين المذكورين في الآية، هو السابق الذي لم يتقدمه غيره، أو يراد به من سبق سواه، وإنْ كان مسبوقاً، في نفسه بغيره، وإنْ كان المراد هو الأول، فالذين هم بهذه الصفة في السبق إلى الإسلام أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة وجعفر وخباب بن الأرت وزيد بن حارثة وعمار بن ياسر رحمة الله عليهم، ومن الأنصار سعد بن معاذ وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين[2].



المبحث الثاني: (الأسبقية والأولويّة بين الماديّة والمعنويّة):

يتضمن هذا المبحث التفريق بين الدلالتين الماديّة والمعنويّة للسبق،

(١) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ٣/ ٨٩-٩٠.

(٢) م.ن.

إذ إنّ الأُولى تعني الأسبقيّة في الزمن، والثانية تعني الأسبقية في المكانة والتي تسمّى(الأولويّة)، وكذا التفريق بين معنى الأولويّة عند المفسّرين، و(قياس الأُولويّة)عند الأصوليين، إذ إنّ لكلٍّ منها دلالات مختلفة قد تجتمع في هذا البحث.

هناك فرق واضح بين دلالة السبق مادياً ومعنوياً، ويتجلّى ذلك في الموارد التي ورد فيها السباق، إذ إنّه يدلّ على السرعة في الزمن ومحاولة الوصول إلى الهدف والغاية، أمَّا الأولويّة فهي قيمة مكانيّة لأشخاص أو أشياء حصلت على السبق معنوياً.

ولعلّ الآيات القرآنية خير دليل على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾[1].

يقول صاحب البحار: (والسابقات سبقاً) فيه أقوال[2]:

أحدها: إنَّها الملائكة لأنَّها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح، وقيل: إنَّها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، وقيل: إنَّها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، عن عليٍّ عليه السلام.

وثانيها: إنَّها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور، شوقاً إلى رحمة الله ولقاء ثوابه وكرامته.

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٤.

(٢) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار: ٥٦/ ١٧٠.



وثالثها: إنَّها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير(١).

ورابعها: إنَّها الخيل يسبق بعضها بعضاً في الحرب.

في حين يرى آخرون أنَّ الاستباق يتحقق عندما نتخلّى عن عالم المادة، وهو بذلك استباق معنويٌّ (ويتحقّق الاستباق في السير عن عوالم المادّة)(٢).

والحقّ أنَّ هذا الرأي يميل إلى الفلسفة وليس إلى الأدلّة العقلية والنقلية، فهو بذلك يطابق الرأي الثاني من الآراء المذكورة آنفاً.

أمَّا قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ...﴾.(٣) فهو يميل إلى الجنبة المعنوية للمسابقة، إذ إنَّه السباق في مضمار السعادة.

يقول الشيرازي: (هذه الآيات تشبه سعي المطيعين واجتهادهم بالسباق، والمسابقة المعنوية التي تهدف الوصول إلى الرحمة الإلهية، والنعم والعطايا الربانية الخالدة)(٤).

والحق أنّ السباق في كلتا الحالتين المادية والمعنوية يبتغي الوصول إلى غاية وهدف جُعل لأجله هذا السباق، والهدف هنا هو المغفرة والجنّة.

---

(١) هذا رأي السيوطي أيضاً: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٦/ ٣١١.

(٢) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: ٩/ ٧١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢/ ٦٩٢.

ثـمَّ إنَّ هنـاك فرقـاً بـين المسـابقة والمسـارعة، إذ إنَّ سـورة الحديـد ورد فيهـا (سـابقوا)، أمَّـا سـورة آل عمـران فقـد ورد فيهـا (وسـارعوا) في قولـه تعـالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

ولعـلّ الفـرق بـين معنيـي (سـابقوا وسـارعوا) يكمـن في كـون المسـابقة في المرحلـة الأُولى مـن السـباق، والمسـارعة تـأتي لتسريـع السـباق[٢].

حقيقة السبق:

هنـاك فـرق بـين دلالتـي السـبق والاسـتباق، إذ إنَّ إحداهمـا مقدمّـة لحـدوث الفعـل والأُخـرى هـي القيـام بحـدوث الفعـل، ويتأتـى هـذا الفـرق مـن دلالـة قولــه تعــالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[٣].

فـالأَوّل هـو المقدمـة للدخـول في السـباق، والثـاني هـو المشـاركة في السـباق، والوصـول إلى الغايـة، وهنـا يكمـن الفـرق بـين الصيغتـين.

وقـال صاحـب المنـار في تفسـير هـذه الآيـة: (فالاسـتباق تكلـف السـبق، وهـو الغـرض مـن المسـابقة، والتسـابق بصيغتـي المشـاركة التـي يقصـد بهـا الغلـب، وقـد يقصـد لذاتـه أو لغـرض آخـر في السـبق ومنـه)[٤].

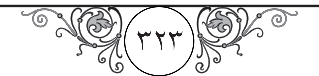
---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

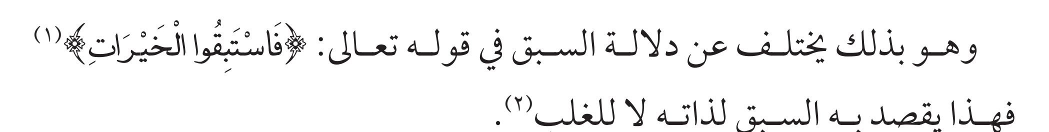
(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٦٩٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٤) محمد رشيد، المنار: ٧/ ٢١١.







وهـو بذلك يختلـف عن دلالـة السـبق في قولـه تعـالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1] فهـذا يقصد بـه السـبق لذاتـه لا للغلب[2].

ويـرى الطباطبائـي أنّ دلالـة الاسـتباق والتسـابق واحـدة مـع اختـلاف الغايـة، وذلـك في قولـه تعـالى: (واسـتبقا البـاب)، فـإنَّ المـراد بـه قطعـاً أنَّ كلًّا منهـما كان يريـد أن يسـبق الآخـر إلى البـاب هـذا ليفتحـه، وهـذه لتمنعـه مـن الفتـح وهـو معنـى التسـابق، فالحـق أنَّ معنيـي الاسـتباق والتسـابق متحـدان صدقـاً عـلى المـورد[3].

وروى العامـة في التلخيـص والحاكـم في المسـتدرك وفيهـا: (لا يسـتوحشـون إلى أحـد ولا يفرحـون بأحـد يدخـل فيهـم، عـلى عـدّة أصحـاب بـدر، لم يسـبقهم الأولـون ولا يدركهـم الآخـرون، وعـلى عـدّة أصحـاب طالـوت الذيـن جـاوزوا معـه النهـر).

فـإذا كان التابـع سـابقاً عـلى الأولـين، وحائـزاً لمقـام القـرب المختـص بالسـابقين ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[4]، ولم يدركه في الاسـتباق إلى الكـمالات الآخـرون، فـما أعظـم مقـام المتبـوع الـذي هـو بـاب الله، وديّـان دينـه وخليفـة الله ونـاصر حقّـه وحجـة الله ودليـل إرادتـه، إنَّـه عليـه السـلام

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) ينظر: محمّد رشيد، المنار: ٧/ ٢١٢.

(٣) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١١/ ١٠٢.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠-١١.



مظهر للرسول صلَّى الله عليه وآله[1].

ولو جاز أنْ يكون الأفضل أنقص درجة لبطل الفضل ولم يكن له معنى، ولا رغب فيه راغب، وليس للفضل معنى إلّا أمر الله تعالى بتعظيم الأرفع في الدنيا وترفيع منزلته في الجنة[2] والسابقون الأَولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فأجمعوا على أنَّ السبق إلى الإسلام من أفضل الفضائل التي تفاضل المؤمنون بها، وقد ذكرنا فيما تقدم أنَّ علياً عليه السلام أَوّل من آمن بالله وبرسوله من ذكور هذه الأُمَّة[3].

أَمَّا قوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[4]. فإنَّما ذكر فيها الأولون منهم، ومن ذكرناه ممّن دفع النصّ لم يكن من السابقين الأَولين لأنَّهم أمير المؤمنين عليه السلام وجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وخباب بن الإرث، وغيرهم ممّن دفع النصّ كان إسلامه متأخراً عن إسلام هؤلاء.

على أنَّ من ذكروه لو ثبت له السبق فإنَّما يثبت له السبق إلى الإسلام في الظاهر والباطن لا يعلمه إلَّا الله، وليس كلُّ من أظهر السبق إلى الإسلام كان سبقه على وجهٍ يستحق به الثواب، والله تعالى إنَّما عنى من يكون

(١) الشيخ وحيد الخراساني، منهاج الصالحين: ١/ ٤٨٣.

(٢) ابن حزم، المحلى: ١/ ٤٤.

(٣) ينظر: القاضي النعمان المغربي: ٢/ ٢١٣.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢١.



سبقه مرضياً على الظاهر والباطن، فمن أين لهم أنَّ من ذكروه كان سبقه على وجه يستحق به الثواب[1].

المبحث الثالث: (قياس الأولويّة في الآيات الغديريّة):

اختلفت دلالة الأولوية في القرآن الكريم بين المفسرين والأُصوليين، فالأولوية عند المفسّرين تقاس بحسب المكانة، والرتبة، والمنزلة، وتقاس عند الأُصوليين بحسب فحوى الخطاب الذي تتضمّنه الآية.

فالأَولى بالشيء: الأحق به من غيره، وهم الأولون، والاثنان: الأوليان، وكذلك كلّ كلمة في آخرها ألف إذا جمعته بالنون، كان اعتماد الواو والياء اللتين قبل النون على نصبه، نحو: مثنى، وأولى: معروف، وهو وعيد وتهدد وتلهف[2].

وبهذا يكون معنى الأولوية عند أصحاب اللغة والمفسرين بمعنى الأحقيّة، فالأَولى بالشيء يعني الأَحق به.

وكذا الأولوية تعني الأجدر والأَحرى، ترجيح أحد القولين أو الاحتمالين على الآخر بوجهٍ ما، أي استناداً على دليل، الأولوية: حال كون الشيء أَولى[3].

يبدو من خلال التعريفات أنّ الأولويّة تختصّ بمكانة الشيء ومنزلته

(١) المفيد، مسألتان في النص على علي عليه السلام: ٢/ ٣١.

(٢) م. ن: ٨/ ٣٧٠.

(٣) مركز المعجم الفقهي، المصطلحات: ٥٦٣.

لقربه من الصواب والحقيقة، أو لكونه عين الصواب والحقيقة ذاتها، فهو بذلك أجدر من غيره.

أَمَّا الأُصوليون فإنَّ قياس الأولوية لديهم مختلف من حيث الدلالة الخارجية للمعنى، أمّا من حيث الجوهر فالمعنى متّحد.

ويسمّى أيضاً (مفهوم الموافقة) أو قياس الأولوية: وهو ما كان اقتضاء الجامع فيه للحكم بالفرع أقوى وأوكد منه في الأصل[1]، ومثاله ما ورد في القرآن الكريم من النهي عن التأفف من الوالدين، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[2] القاضي بتحريم ضربهما، وتوجيه الإهانة إليهما[3].

أي أنّ المعنى العام للحكم في الآية أقوى ممَّا هو عليه في الأصل، وهو بذلك أَولى من غيره.

أَمَّا فحوى الخطاب:(وهو ما دُلَّ عليه بالتنبيه، ويُشترط فيه أنْ يكون المسكوت عنه أَولى بالحكم؛ ولذلك يسمّى التنبيهَ بالأدنى على الأعلى)[4].

أو هو: أنْ يكون المسكوت عنه أَولى بالحكم، كالضرب مع التأفيف[5].

---

(١) الحكيم، الفقه المقارن: ١/ ٣٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) الحكيم، الفقه المقارن: ١/ ٣٥٧.

(٤) الداماد، الرواشح السماوية: ٢٩٧.

(٥) الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ١/ ٥٣.



كقوله تعالى: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1].

فالمراد من فحوى الآية منع كلّ أذى، وكلّ ظلم عن الوالدين، لكنّه لم يصرّح به علناً، بل جاء مسكوتاً عنه، لكنّه أَولى بالحكم؛ ولذلك يسمّى التنبيهَ بالأدنى على الأعلى.

ويرى آخرون أنّ مفهوم الموافقة هو من باب الأولوية العقلية، نحو: لا تقل لهما أفٍّ فمفهومه عدم جواز الضرب أيضاً من طريق أَولى ويسمّى بالأولوية العقلية[2].

وكذا الحال في دلالة قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[3] فقد عُدّت من فحوى الخطاب كون المسكوت عنه هو عدم البقاء على الجنابة، وعدمِ إفساده للصوم.

ومنهم من أدخلها في باب دلالة الإشارة؛ لأنّ جواز الإصباح جنباً لم يُقصد بالآية، ولكن لزم من المقصود فيها، وهو جواز استغراق الليل بالرفث والمباشرة، والحقّ هو الأوّل[4].

وعليه فالمسكوت عنه، رغم كونه لم يصرّح به إلّا أنّه سبق غيره بالمكانة والرتبة، وأصبح هو الأَولى بالأخذ به.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) ينظر: ياسين عيسى العاملي، الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية: ٧٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) ينظر: الداماد، الرواشح السماوية: ٢٩٧.

أمّا الآيات التي نزلت في يوم الغدير، في غدير خم، أو في حجّة الوداع على اختلاف الروايات والآراء، فإنَّ لها وقعاً في نفوس الحاضرين، وتأثيراً على مديات تفكيرهم وعقيدتهم وانتماءاتهم القبلية؛ لذا كان صدى الآيات مؤثراً في نفوس الحاضرين، وذلك لما تتضمنه تلك الآيات من دلالة عامة، وفحوى خطاب.

وأوّل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

فلو تدبرنا الآية من الجانب التفسيري نجد أنّها تبيّن إكمال النبيِّ محمّد صلّى الله عليه وآله التكليف الإلهي، وأنّه أدّى الذي كان عليه على أتمّ وجه، وأنّ هذا الدين من النِّعم الإلهية التي منّ الله بها علينا؛ لذا سُميت هذه الآية بآية إكمال الدين وتمام النعمة.

أمّا من ناحية الفحوى، فليس الغرض التبليغ بإكمال الدين، ونهاية التبليغ، بل يأمر باختيار الإمام المكلّف للمرحلة القادمة، وهي مرحلة ما بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله، وبذا يكون فحوى الخطاب أولى بالتقديم من مضمون الآية؛ كون الفحوى يتحدّث عن إكمال مهمّة الدين الإسلامي الحنيف الذي أراده الله تعالى أنْ يكون آخر الأديان السّماويّة.

وهنا يتوارد إلى الأذهان تقديم الكمال على التمام في الآية، إذ إنّ هناك

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.





فرقاً في معنى الكلمتين يتبيّن من خلاله الأولوية لإحداهما دون الأخرى.

قال الفراهيدي: (الكمال: التمام الذي يجزأ منه أجزاؤه، تقول: لك نصفه وبعضه وكماله، وأكملت الشيء: أجملته وأتممته، أعطيته المال كَمَلاً: أي كاملاً لا يُثنّى ولا يُجمع)[1].

ويرى آخرون عكس ذلك، فالتَّمام: هو الذي تُجَزَّأُ منه أجزاؤُه[2].

وقال جماعة: (التمام: الإتيان بما نقص من الناقص، والكمال الزيادة على التمام، فلا يفهم السامع عربياً أو غيره من رجل تام الخلق إلَّا أنَّه لا نقص في أعضائه، ويفهم من كامل، وخصّه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضل الذاتي أو العرضي)[3].

يبدو من خلال التعريفات السابقة أنّ هناك تضارباً في معنى الكمال والتمام من حيث الأجزاء، فبعض يميل إلى أنّ الكمال هو لتتمّة الأجزاء من النقص، ويرى آخرون أنّ الكمال إتمام لنقص للعوارض الخارجية، في حين يرى غيرهم أنّ التمام كذلك، وهكذا.

ولكنَّ الرأي الراجح من جملة هذه الآراء، والذي يتلاءم مع المعنى القرآني لآية كمال الدين وتمام النعمة، هو أنّ الكمال للشيء الذي لا يحتوي على أجزاء، والتمام للشيء الذي فيه أجزاء (الفرق بين الكلمتين هو أنّ

---

(١) أحمد الفراهيدي، العين: ٥/ ٣٧٨.

(٢) الزبيدي، تاج العروس: ١٥/ ٦٦٧.

(٣) العاملي، الانتصار: ٣/ ٤٧٩.

الإتمام يطلق حيث يأتي آخر أجزاء الشيء المتتابعة بعضها وراء بعض، أمّا الإكمال فليس الأمر كذلك فلا ينطوي الشيء على جزء ناقص ليقال له غير تام، فقد لا يكون الشيء ناقصاً، وليس له جزء يتمّمه، ولكنّه مع ذلك هو غير كامل حتى الآن، إذ إنَّ الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل)[1].

وبذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أنّ الكمال الحقيقي للدين الإسلامي الذي لا يشوبه نقص، لا في داخله، ولا في عوارضه، فهو كامل لا يتجزّأ حتى يحتاج إلى إتمام، على عكس النعم التي تأتي متجزئة الواحدة تلو الأُخرى، فيتمّم بعضها بعضاً.

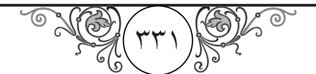
وكذا روي عن الإمام أبي جعفر الصادق عليه السلام: «**إنّا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيه صلَّى الله عليه وآله في قوله:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ **والأرض لا تخلو ممّن يكمل هذه الأُمور التي يقصر عنها غيرنا**»[2].

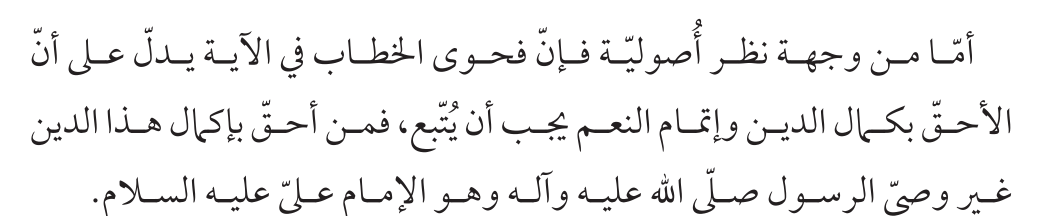
فالذي نستشفّه ممّا تقدّم أنّ الكمال أَولى بالأهميّة من التمام، وبذلك يكون كمال الدين هو الأجدر بالأولوية من تمام النعمة، لذلك كان له الأسبقيّة في الآية، والأولوية من حيث المكانة.

---

(١) م. ن.

(٢) ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل: ١٤/ ٧٩.





أمّا من وجهة نظر أُصوليّة فإنّ فحوى الخطاب في الآية يدلّ على أنّ الأحقّ بكمال الدين وإتمام النعم يجب أن يُتّبع، فمن أحقّ بإكمال هذا الدين غير وصيّ الرسول صلّى الله عليه وآله وهو الإمام عليّ عليه السلام.

وقد جاءت هذه الآية بعد الأمر الإلهي بالتبليغ، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١].

يدلُّ أُسلوب الخطاب مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أنَّ الله سبحانه قد أمره بتبليغ أمرٍ مهم للغاية، وأنّض النبيَّ قد ضاق به ذرعاً، لأنَّه ثقيل على أنفس جماعة من الصحابة.

وذكر الرازي في سبب نزول هذه الآية وجوهاً، منها: (أنَّها نزلت في فضل عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، ولمَّا نزلت هذه الآية أخذ النبيُّ بيد عليٍّ عليه السَّلام وقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن عليٍّ بن الحسين عليهما السلام)[٢].

وقيل: عندما نزلت الآية صدع النبيُّ صلّى الله عليه وآله بأمر الله عزَّ ذكره، فقام بولاية عليٍّ عليه السلام يوم غدير خم، فنادى: الصلاة

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) محمد جواد مغنية، التفسير المبين: ١٥٠.

جامعة، وأمر الناس أنْ يبلغ الشاهد الغائب.

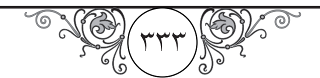
وقال عمر بن أُذينة: (قالوا جميعاً غير أبي الجارود: قال أبو جعفر عليه السَّلام: «وكانت الفريضة الأُخرى، **وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عزَّ وجلَّ:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾»، قال أبو جعفر عليه السلام: «يقول الله عزَّ وجلَّ **لا أُنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض**»)[1].

والحق أنَّ هذا الحديث متواتر عند الفريقين وقد رواه جمع من رواة الحديث من كلا الفريقين، إذ قيل: ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنا عليّ بن زيد، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلَّى الله عليه - وآله - تحت شجرتين فصلَّى الظهر وأخذ بيد عليٍّ كرم الله وجهه فقال: «**ألستم تعلمون أنّي أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: بلى. قال: «**ألستم تعلمون أنّي أَولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟**»، قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد عليٍّ عليه السلام فقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: (هنيئاً يا بن أبي طالب ! أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة)[2].

يتبيّن لنا من خلال دلالة روايات الفريقين أنّ الأمر المهم الذي أراد

(١) محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ١٦.

(٢) الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال: ٢٥.



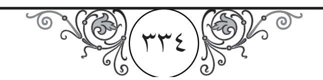


النبيُّ صلّى الله عليه وآله تبليغه للنّاس هو ولاية عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام لمنصب الإمامة، وكان هو الأَولى بالتخصيص لعِظم مكانته، وعظم الموقف الذي أُعلِن فيه تنصيبه.

وبذا يكون فحوى خطاب آية التبليغ (المسكوت عنه) في الآية هو تعيين الإمام بعد الرسول صلّى الله عليه وآله، وهو الأحقّ بالتقديم، وله السبق في الإسلام، والأَولويّة في المكانة، وبدلالة آراء الفريقين، وبمرأى ومسمع جميع الناس.

ومن الأدلّة الأُخرى حديث الغدير الذي عضّد سبب نزول آية التبليغ، وهو حديث معروف متواتر، وحاصله أنّ النبيَّ عندما وصل إلى غدير خم من الجحفة عند منصرفه من حجّة الوداع، أمر بردّ من تقدّم من الحجاج، وحبس من تأخر عنهم، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، فقال: «**ألستم تشهدون أن لا إله إلَّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟**»، قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «**اللّهمّ اشهد**»، ثمّ قال: «**أيّها الناس، ألا تسمعون؟**»، قالوا: نعم. قال: «**فإنّي فرط على الحوض، فانظروني كيف تخلفوني في الثقلين**»، فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «**الثقل الأكبر، كتاب الله، والآخر الأصغر عترتي، إنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا**».

ثمّ أخذ بيد عليٍّ عليه السَّلام فرفعها، حتى رُؤي بياض آباطهما، وعرفه



القوم أجمعون، فقال: «**أيّها الناس من أَولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أَولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه، فعليٌّ مولاه**» - يقولها ثلاث مرّات - ثمّ قال: «**اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»، ثمَّ لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحيّ الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1]، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربِّ برسالتي والولاية لعليٍّ من بعدي**»[2].

الخاتمة ونتائج البحث:

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على شفيع الأُمّة وابن عمّه وعلى آلهما الطيبين الطاهرين وبعد..

فإنَّ الخوض في حديث الغدير وما ينتج عنه من رحمة إلهية نتيجتها تنصيب وليّ الأُمّة على هذه الأُمَّة ليثير الاشتياق إلى البحث في طيّات كتب علوم القرآن والحديث، ليس للتأكّد من هذا الحدث، بل يثير شغفاً وحباً لهذا الدين الذي كان منقذه الإمام عليٌّ عليه السَّلام، وقد كانت الآيات القرآنية واضحة الدلالة على إكمال الدين وتمام النعمة

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) الشيخ جعفر السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية: ١٧١.



بهذه الولاية، فتارة كان القول صريحاً وتارة فحوى خطاب، لكن بكلِّ الأحوال النتيجة واحدة وهي ولاية عليٍّ عليه السَّلام، والتي كان لها السبق على بقية الناس بدلالات متعدّدة، فكان من نتائج البحث الآتي:

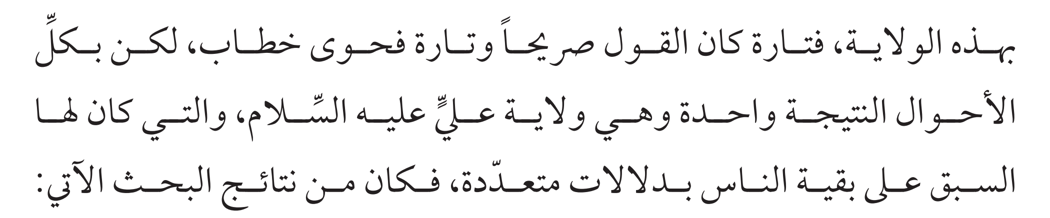
١- إنّ للقياس جنبتين إحداهما الجنبة الماديّة التي تعنى بالمقادير، والأُخرى معنويّة تعنى بالمقارنة بين الأحكام.

٢- إنَّ المقصود بالأسبقية هم الثلّة السابقة إلى التصديق بالدين السماوي، سواء أكان دين الإسلام أَم غيره، فهم نالوا رتبة الأسبقية في التصديق، وبذلك فهم أفضل من غيرهم في الرتبة والمنزلة والشرف.

٣- إنَّ الأولويّة تختصّ بمكانة الشيء ومنزلته لقربه من الصواب والحقيقة، أو لكونه عين الصواب والحقيقة ذاتها، فهو بذلك أجدر من غيره.

٤- إنَّ هناك تضارباً في معنى الكمال والتمام من حيث الأجزاء، فبعض يميل إلى أنّ الكمال هو لتتمّة الأجزاء من النقص، ويرى آخرون أنّ الكمال إتمام لنقص للعوارض الخارجية، في حين يرى غيرهم أنّ التمام كذلك، وهكذا.

٥- يتبيّن لنا من خلال دلالة روايات الفريقين أنّ الأمر المهم الذي أراد النبيُّ صلّى الله عليه وآله تبليغه للنّاس هو ولاية عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام لمنصب الإمامة، وكان هو الأَولى بالتخصيص لعِظم مكانته، وعظم الموقف الذي أُعلِن فيه تنصيبه.



٦- إنّ فحوى خطاب آية التبليغ (المسكوت عنه) في الآية هو تعيين الإمام بعد الرسول صلّى الله عليه وآله، وهو الأحقّ بالتقديم، وله السبق في الإسلام، والأَولويّة في المكانة، وبدلالة آراء الفريقين، وبمرأى ومسمع جميع الناس.

المصادر:

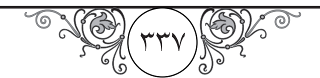
خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

الآلوسي: السيد محمود البغدادي(ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تح: محمد أحمد الآمد، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٠م.

الآمدي: علي بن محمّد، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه، العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، طبع بإذن فضيلة الشيخ المحقق، ومؤسسة النور، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ. الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ. بيروت.

الأصفهاني: الراغب (ت: ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأُولى: بيروت، ١٩٩٦م.

ابن حزم: المحلى، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ. طبعة مصححة ومقابلة على عدّة مخطوطات ونسخ معتمدة، كما قوبلت على النسخة التي حققها الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر.





البحراني: كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم، المتوفى سنة ٦٧٩هـ، شرح نهج البلاغة، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوبِلَ بعِدَّة نُسَخ مَوثوقٌ بها، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه قم.

التبريزي: الخطيب: شيخ ولي الدين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال، تعليق: أبي أسد الله ابن الحافظ محمّد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام شارع فاطمي - قم المقدسة.

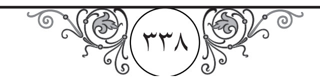
الحلي: مبادئ الوصول إلى علم الأُصول، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين محمّد علي البقال، الناشر: مركز النشر - مكتب الإعلام الإسلامي، طباعة وتصحيف: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.

الداماد محمّد باقر الحسيني الاسترآبادي؛ الرواشح السماوية، التحقيق: غلام حسين قيصريه ها، ونعمت الله الجليلي. - قم.

الزبيدي: محبّ الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.

السبحاني: جعفر، الحديث النبويّ بين الرواية والدراية، المطبعة: اعتماد. قم، الطبعة: الأُولى، ١٤١٩ هـ.

السيوطي: جلال الدين: ت:٩١١ه، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: دار الفكر بيروت - لبنان.



الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، نشر: دار القرآن الكريم – قم.

الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.

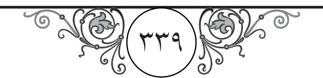
الصدوق: أبو جعفر: محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّي (قده) المتوفى سنة ٣٨١: عيون أخبار الرضا، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأُولى.

الطباطبائي: محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، في قم المقدسة.

الطبرسي: أبو عليّ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبرسي: الحاج ميرزا حسين النوري، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ الطبعة المحققة الأُولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ بيروت.

الطبرسي: ميرزا حسين النوري: المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام



لإحيـاء الـتراث، الطبعـة المحققـة الأُولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

الطـوسي: أبـو جعفـر محمّـد بـن الحسـن (رحمـه الله)، ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ، العـدّة في أُصول الفقـه، تحقيـق: محمد رضـا الأنصـاري القمّـي، الطبعـة الأُولى: ذو الحجـة ١٤١٧ هـ ق، قـم.

الطـوسي: أبـو جعفـر محمّـد بـن الحسـن، التبيـان في تفسـير القـرآن، تحقيـق وتصحيـح: أحمـد حبيب قصير العامـلي، النـاشر: مكتـب الإعـلام الإسـلامي، الطبعـة: الأُولى ١٢٠٩ هـ. ق.

العامـلي الجزينـي، الشـهيد الأَوّل محمّـد بـن جمـال الديـن مكـي قـدس سرّه الشريـف: ت٧٣٤ - ٧٨٦ هـ ق، ذكـرى الشيعة في أحـكام الشريعـة، تحقيـق: مؤسسـة آل البيـت عليهـم السـلام لإحيـاء الـتراث.

العامـلي: الانتصـار: أهـم مناظـرات الشـيعة في شـبكات الإنترنـت بحـوث تمهيديـة، دار السـيرة، بـيروت - لبنـان، الطبعـة الأُولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

العامـلي: الحـر محمّـد بـن الحسـن الحـر العامـلي، المتـوفى سـنة ١١٠٤ هـ، وسـائل الشـيعة إلى تحصيـل مسـائل الشريعـة، تحقيـق: مؤسسـة آل البيـت عليهم السَّـلام لإحيـاء الـتراث.

العامـلي: ياسـين عيسـى: الاصطلاحـات الفقهيـة في الرسـائل العمليـة: الاصطلاحـات الفقهيـة في الرسـائل العمليـة، دار البلاغـة، الطبعـة الأُولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

ابـن فـارس: أبـو الحسـين أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا، معجـم مقاييس

اللغة: حققه: عبد السلام محمّد هارون، الرئيس قسم الدراسات النحويّة بكلية دار العلوم سابقا.

الفراهيدي: الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد ١٧٥ هـ، كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة: الثانية في إيران١٤٠٩هـ.

قلعجي: محمّد: معجم لغة الفقهاء: جامعة الملك سعود بالرياض، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٥م.

القمِّي: تفسير القمِّي: أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمِّي (رحمه الله)، صححه وعلق عليه وقدم له: حجة الإسلام العلامة: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.

الكركي: الشيخ عليّ بن الحسين، المتوفى سنة ٩٤٠ هـ، جامع المقاصد في شرح القواعد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، الطبعة: الأُولى - ربيع الأول ١٤٠٨ هـ. ق.

المازندراني: محمّد صالح، شرح أُصول الكافي المعروف كتاب الكافي في الأُصول والروضة لأبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني مع شرح الكافي الجامع للمولى محمّد صالح المازندراني، المتوفى ١٠٨١ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الثانية المصححة/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.





محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، القاهرة.

المرتضى: الشريف: الذريعة إلى أُصول الشريعة، تصنيف، سيد مرتضى علم الهدى (أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي)، قسمت أول (از آغاز تا پايان مباحث نسخ) تصحيح ومقدمه وتعليقات از دكتر أبو القاسم گرجی.

المصطفوي: حسن: التحقيق في كلمات القرآن، الطبعة الأُولى: ١٤١٧ ه.

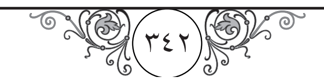
مغنية: محمّد جواد: التّفسير الكاشف، دار العلم للملايين، الطبعة الأُولى، بيروت، الطبعة الثالثة، آذار (مارس) ١٩٨١.

مغنية: محمّد جواد: التفسير المبين: طبعة ثانية منقحة ومزيدة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

المفيد: محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ)، مسألة في النص على عليٍّ عليه السلام، تحقيق: الشيخ مهدي نجف.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ق.

الهيتمي المكي: أحمد بن حجر: ت: ٨٩٩ - ٩٧٤ هـ الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، خرّج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ المساعد بكلية أُصول الدين بجامعة الأزهر، الطبعة الثانية.



المناهج التفسيريّة لآيات الغدير المنهج اللغوي والنقدي أُنموذجاً

د. قاسم شهيد محمد

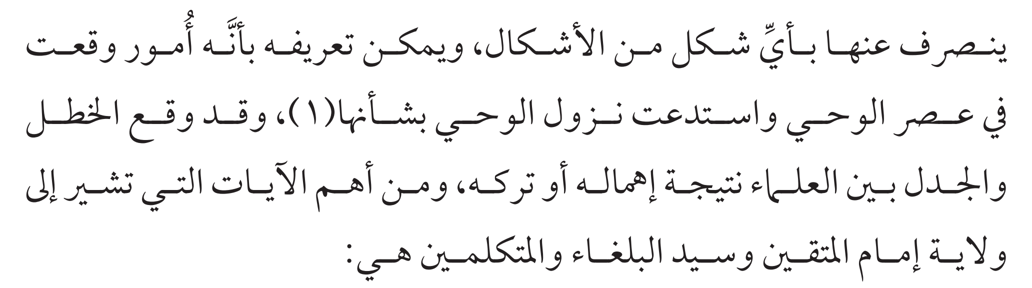
المقدمة

الغدير عنوان كبير جداً يحمل في مضامينه ثروات فكريّة هائلة لها أعماق جمّة واسعة، ومن العسير أنْ يتضمن بحثٌ ما جلَّ محاورها إلَّا أنَّنا تناولنا الجانب التفسيريَّ فيها، وقد اشتمل البحث على ثلاثة مباحث: فالأَوَّل أسباب النزول، وقد جمعت فيه عدداً لا بأس به من الآيات المباركات، فقد أكد نزولها في ولاية عليٍّ عليه السَّلام، فضلاً عن تواترها ورواياتها من العامة والخاصة، وقد أبان المبحث الثاني كيف أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله بلَّغ المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً وألزمهم مبايعة أمير المؤمنين عليه السَّلام، وأمَّا الجانب الخطابي فقد بَيَّن فيه حقَّ الرعية عليه وحقَّه عليهم وأبان أنَّهم يريدونه لأنفسهم وهو يريدهم لله، فهو مسؤول في تبليغهم وهم مسؤولون ومحاسبون في طاعته والتزام أوامره التي هي من طاعة الله في تبليغه بولاية عليٍّ والأئمة من ولده، حتى انتهى بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وثماره.

المبحث الأول: أسباب نزول آيات الغدير

أسباب النزول من العلوم التي لها أهميتها ولا يمكن لأيِّ باحث أنْ




ينصرف عنها بأيِّ شكل من الأشكال، ويمكن تعريفه بأنَّه أُمور وقعت في عصر الوحي واستدعت نزول الوحي بشأنها(١)، وقد وقع الخطل والجدل بين العلماء نتيجة إهماله أو تركه، ومن أهم الآيات التي تشير إلى ولاية إمام المتقين وسيد البلغاء والمتكلمين هي:

أَوّلاً: قول الله تعالى في محكم كتابه المجيد ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾(٢)(٣).

حدّث الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) بإسناده عن زيد بن أرقم كما في كتابي الولاية في طرق حديث الغدير قال: (لمَّا نزل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بغدير خم في رجوعه من حجّة الوداع، وكان في وقت الضحى وحر شديد أمر بالدوحات فقمت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا، فخطب خطبة بالغة، ثمَّ قال: «إنَّ الله تعالى أنزل إليَّ: ﴿بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٤)، وقد أمرني جبرئيل عن ربِّي أنْ أقوم في هذا المشهد وأعلم كلَّ أبيض وأسود... معاشر الناس هذا أخي ووصي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي»، وفي رواية «اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقَّه، اللهم إنَّك أنزلت عند تبيين ذلك في عليٍّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بإمامته، فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون...»(٥).

حدثنا أحمد بن محمَّد عن الحسن بن عليٍّ النعمان عن محمّد بن مروان عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السَّلام في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٦)، قال: «هي الولاية وهو في قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قال: هي الولاية»(٧).

وفي تفسير ابن جريح، وعطاء، والثوري، والثعلبي أنَّها نزلت في فضل عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام، إبراهيم الثقفي بإسناده عن الخدري وبريدة الأسلمي ومحمّد بن عليٍّ أنَّها نزلت يوم الغدير في عليٍّ عليه السَّلام، تفسير الثعالبي قال جعفر بن محمد: «معناه بلغ ما أُنزل إليك من ربك، في فضل عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام فلمَّا نزلت هذه الآية أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بيدِ عليٍّ فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»(٨).

وعنه بإسناده عن الكلبي نزلت أنْ يبلغ فيه فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله بيد عليٍّ فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، فقوله: يا أيّها الرسول فيه خمسة أشياء: كرامة، وأمر وحكاية وعزل، وعصمة، أمر الله نبيَّه أنْ ينصب علياً إماماً فتوقف فيه لكراهته تكذيب القوم فنزلت ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ...﴾(٩)، فأمرهم رسول الله أنْ يسلموا على عليٍّ بالإمرة، ثمَّ نزل بعد أيام ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾(١٠)(١١).

وجـاء في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى﴾(١٢)، ليلـة المعراج في علـيٍّ عليـه السَّـلام فلـمَّا دخـل وقتـه قـال: بلـغ مـا أُنـزل إليـك مـن ربِّـك ومـا أوحـى، أي بلِّـغ مـا أُنـزل إليـك في علـيٍّ عليـه السَّـلام ليلـة المعـراج.

محمـد بـن يحيـى، عـن محمّـد بـن الحسـين، عـن الحجـال، عـن عبـد الصمـد بـن بشـير، عـن حسـان الجـمال قـال: حملـت أبـا عبـد الله عليـه السَّـلام مـن المدينـة إلى مكـة فلـمَّا انتهينـا إلى مسـجد الغديـر نظـر إلى ميسـرة المسـجد فقـال: «ذلـك موضـع قـدم رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه حيـث قـال: مـن كنـت مـولاه فعـليٌّ مـولاه»، ثـمَّ نظـر إلى الجانـب الآخـر فقـال: «ذلـك موضـع فسـطاط أبي فـلان وفـلان وسـالم مـولى أبي حذيفـة وأبي عبيـدة الجـراح، فلـمَّا أنْ رأوه رافعـاً يديـه قـال بعضهـم لبعـض: انظـروا إلى عينيـه تـدور كأنَّهـما عينـا مجنـون، فنـزل جبرئيـل عليـه السَّـلام بهـذه الآيـة: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾(١٣)(١٤).

يبـدو لي أنَّ هـؤلاء الذيـن اتهمـوا النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه بـما لا يليـق مـن الأوصـاف هـم جماعـة مـن المنافقـين، وهـذا مـا وضحتـه الروايـة الآتيـة: «أمَّـا الجانـب الآخـر فذلـك موضـع فسـطاط المنافقـين الذيـن لـمَّا رأوه رافعـاً يـده قـال بعضهـم لبعـض انظـروا إلى عينيـه تـدوران كأنَّهـما عينـا مجنـون، فنـزل جبرئيـل عليـه السَّـلام بهـذه الآيـة ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾»، أخـبر الصـادق عليـه السَّـلام بذلـك حسـان الجـمال لمـا حملـه مـن

المدينـة إلى مكـة فقـال لـه: «يـا حسـان لـولا أنَّـك جمـالي مـا حدثتـك بهـذا الحديـث»(١٥).

ثانيـاً: قـال الله تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(١٦).

حدثنـا دارم بـن قبيصـة قـال: حدثنـا نعيـم بـن سـالم قـال: سـمعت أنـس بن مالـك يقـول: سـمعت رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه يقـول يـوم غديـر خـم وهـو آخـذ بيـد علـيٍّ عليـه السَّـلام: «ألسـت أَولى بالمؤمنـين مـن أنفسـهم؟»، قالـوا: بلى. قـال: «فمـن كنـت مـولاه فهـذا علـيٌّ مـولاه، اللهـم والِ مـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه، وانـصر مـن نـصره، واخـذل مـن خذلـه»(١٧).

جـلال الديـن بـن عبـد الرحمن بـن أبي بكـر السيوطي (ت ٩١١هــ) روى في تفسـيره عـن أبي سـعيد الخـدري قـال: لمَّا نصـب رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآله علياً يـوم غديـر خـم فنـادى لـه بالولايـة هبـط جبرئيـل عليـه بهـذه الآيـة(١٨) أي آيـة الولايـة.

ثالثـاً: آيـة الولايـة ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾(١٩).

معنـى تأويلـه: أنَّـه لمَّـا أراد الله سـبحانه أنْ يبـين لخلقه مـن الأوليـاء قال: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُـمُ اللهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا﴾ فالـولي هنـا هـو الأَولى بالتـصرف لقولـه تعـالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(٢٠) والـولي أيضـاً هـو الـذي تجب طاعتـه ومـن تجـب طاعتـه تجـب معرفتـه؛ لأنَّـه لا يطـاع إلَّا مـن يعـرف، ولأنَّ





الولي وليّ نعمة والمنعم يجب شكره ولا يتم شكره إلَّا بعد معرفته، فلـمَّا بين سبحانه الأولياء بدأ بنفسه ثمَّ ثنّى برسوله، ثمّ ثلّث بالذين آمنوا، فلـمَّا علم سبحانه أنَّ الأمر يشتبه على الناس وصف الذين آمنوا بصفات خاصة لم يشركهم بها أحد فقال ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾(٢١)، وعلى هذا حيث ثبتت الولاية كثبوت هذه الرسالة صارت شيئاً واحداً، وإذا كانت إمامته كرسالته صار نفس هذه كنفس هذه، وفضلها كفضلها، إذ ليس يوجد من خلق الله تعالى من نفسه كنفس رسول الله صلَّى الله عليه وآله سواه، بدليل قوله تعالى في آية المباهلة ﴿... وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾(٢٢) فجعله تعالى نفس رسوله صلَّى الله عليه وآله، فإذا كان نفس الرسول صلَّى الله عليه وآله وولايته كولايته مماثلة من جميع خلق الله تعالى(٢٣).

قال الإمام عليه السَّلام: «قال العالم موسى بن جعفر: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله لـمَّا وقف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام يوم الغدير موقفه المشهور المعروف، ثمَّ قال: يا عبيد الله انسبوني من أنا، فقالوا: أنت محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثمَّ قال: أيُّها الناس، أ لست أَولى بكم من أنفسكم؟ وأنا مولاكم وأَولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فنظر إلى السماء وقال: اللهم اشهد يقول ذلك ثلاثاً، ويقولون ذلك ثلاثاً، ثمَّ قال: ألا من كنت مولاه وأَولى به فهذا عليٌّ مولاه وأَولى به، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ثمَّ قال: قم يا



أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، ففعل، ثمَّ قال بعد ذلك لتمام تسعة، ثمَّ لرؤساء المهاجرين والأنصار، فبايعوه كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، ثمَّ تفرقوا عن ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق، ثمَّ إنَّ قوماً من متمرديهم وجبابرتهم، تواطؤوا بينهم لئن كانت لمحمّد صلَّى الله عليه وآله كائنة لندفعن هذا الأمر عن عليٍّ ولا نتركه له، فعرف الله تعالى ذلك من قبلهم، وكانوا يأتون رسول الله صلَّى الله عليه وآله ويقولون: لقد أقمت علياً أحبَّ الخلق إلى الله وإليك وإلينا، فكفيتنا به مؤونة الظلمة لنا والجبارين في سياستنا، وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض، وأنَّهم على العداوة مقيمون، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون، فأخبر الله عزَّ وجلَّ محمّداً عنهم، فقال يا محمد، ومن الناس من يقول آمنا بالله - الذي أمرك بنصب عليٍّ إماماً وسائساً ولأُمَّتك مدبراً - وما هم بمؤمنين(٢٤)، بذلك ولكنَّهم يتواطؤون على هلاكك وهلاكه ويوطئون أنفسهم على التمرد على عليٍّ، إنْ كانت بك كائنة وقوله تعالى: ﴿يُخادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ﴾»(٢٥)(٢٦).

قال الإمام عليه السَّلام: «قال العالم موسى بن جعفر: في قوله تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(٢٧) وإذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فتشوشون عليهم دينهم، وتحيرونهم في



مذاهبهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لأنّنا لا نعتقد دين محمّد ولا غير دين محمّد ونحن في الدين متحيرون، فنحن نرضى في الظاهر بمحمّد بإظهار قبول دينه وشريعته، ونقضي في الباطن إلى شهواتنا، فنتمتّع ونترفّه ونعتق أنفسنا من رقِّ محمد، ونفكّها من طاعة ابن عمِّه عليٍّ، لكي إنْ أُديل في الدنيا كنّا قد توجهنا عنده، وإن اضمحل أمره كنّا قد سلمنا من سبي أعدائه، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ...﴾(٢٨) بما يقولون من أُمور أنفسهم لأنَّ الله تعالى يعرِّف نبيَّه صلَّى الله عليه وآله نفاقهم، فهو يلعنهم ويأمر المؤمنين بلعنهم، ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين، لأنّهم يظنون أنَّهم ينافقونهم أيضاً، كما ينافقون أصحاب محمَّد صلَّى الله عليه وآله، فلا يرفع لهم عندهم منزلة، ولا يحلون عندهم محلَّ أهل الثقة، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾»(٢٩)(٣٠).

قال الإمام: «قال العالم موسى بن جعفر عليه السَّلام: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله لمَّا أوقف أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السَّلام في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف، ثمَّ قال: يا عباد الله، انسبوني، فقالوا: أنت محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثمَّ قال: أيُّها الناس، ألست أَولى بكم من أنفسكم؟ فأنا مولاكم، أَولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، فنظر رسول الله صلَّى الله عليه وآله إلى السَّماء، فقال: اللهم اشهد، يقول هو ذلك صلَّى الله عليه وآله، وهم يقولون ذلك، ثلاثاً، ثمَّ قال: ألا فمن كنت مولاه وأَولى به، فهذا



مولاه وأَولى به، اللهم، والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ثمَّ قال: قم - يا أبا بكر - فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام ففعل ذلك، ثمَّ قال: قم - يا عمر - فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام فبايع، ثمَّ قال بعد ذلك لتمام التسعة، ثمَّ لرؤساء المهاجرين والأنصار، فبايعوا كلُّهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب، فقال: بخٍ بخٍ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، ثمَّ تفرقوا عن ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق...»(٣١).

عن أبي عبد الله عليه السَّلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾(٣٢) قال: «إنَّما يعني أَولى بكم أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم الله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السّلام إلى يوم القيامة، ثمَّ وصفهم الله عزَّ وجلَّ فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وكان أمير المؤمنين عليه السَّلام في صلاة الظهر وقد صلَّى ركعتين وهو راكع وعليه حلّة قيمتها ألف دينار، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله قد كساه إياها وكان النجاشي أهداها له فجاء سائل فقال: السلام عليك يا ولي الله وأَولى بالمؤمنين من أنفسهم تصدّق على مسكين، فطرح الحلّة إليه وأومى بيده إليه أن احملها، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية وصيَّر نعمة أولاده بنعمته، فكلُّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون، والسائل الذي سأل أمير المؤمنين عليه السّلام من الملائكة، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة»(٣٣).

وفي رواية أنَّه عليه السَّلام ناول السائل الخاتم من إصبعه، وقد روته العامة أيضاً، ولعلَّه عليه السَّلام تصدَّق في ركوعه مرَّة بالحلّة، وأُخرى بالخاتم، والآية نزلت بعد الثانية، فإنَّ (يؤتون) يُشعر بالتكرار والتجدد، كما أنَّه يُشعر بفعل أولاده أيضاً(٣٤).

وفي أُصول الكافي الحسين بن محمّد عن معلى بن محمّد عن أحمد بن محمّد عن الحسن بن محمّد الهاشمي قال: حدثني أبي عن أحمد بن عيسى قال: حدثني جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده ❁ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٥) قال: «لمَّا نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٣٦) اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إنْ كفرنا بهذه الآية نكفر بسايرها وإنْ آمنا فإنَّ هذا ذلٌّ حين يسلط علينا ابن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أنَّ محمداً صادق فيما يقول ولكنَّا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يعرفون ولاية عليٍّ، وأكثرهم الكافرون بالولاية»(٣٧).

رابعاً: قال عزَّ وجلَّ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾(٣٨)

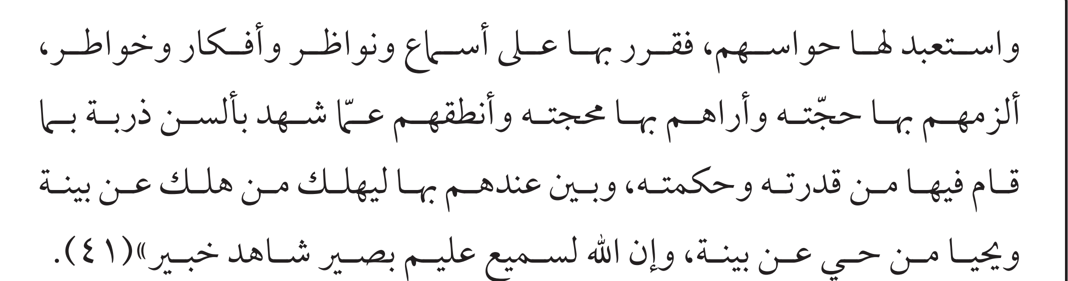
عن الصّادق عن آبائه عليهم السَّلام «لمّا نصب النّبيُّ عليّاً عليهما السَّلام يوم الغدير شاع ذلك في البلاد، فقدم النّعمان بن الحارث الفهريّ فقال: أمرتنا أنْ نشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنّك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد

والحجّ والصّوم والصّلاة والزّكاة فقبلناها، ثمّ لم ترضَ حتّى نصبت لنا هذا الغلام وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فهذا أمر منك أَم من الله؟، فقال صلَّى الله عليه وآله: والله الَّذي لا إله إلَّا هو إنّ هذا من الله، فولَّى نعمان وهو يقول: اللَّهم إنْ كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل الله: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾»(٣٩)، وحكى عنه أبو جعفر محمّد بن عليٍّ الباقر أنَّه قال: «كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أمَّا الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأمَّا الأمان الباقي فالاستغفار قال الله تعالى: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾»، (وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط)(٤٠).

المبحث الثاني: التفسير البلاغي - الخطب -

امتاز القرآن ببلاغته المتعالية التي لا تعلو عليها أيّ بلاغة أُخرى، وتأتي خطب أمير المؤمنين عليه السَّلام بالمرتبة الثانية بعد كتاب الله الثقل الأكبر، حيث إنَّ خطبه عليه السَّلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وقد أخذنا جانباً مهماً من خطبه عليه السَّلام وإليك منها:

ففي مصباح شيخ الطائفة خطبة لأمير المؤمنين عليه السَّلام خطبها في يوم الغدير وفيها: «ولم يدع الخلق في بهم صماً ولا في عمياء بكماً بل جعل لهم عقولاً مازجت شواهدهم وتفرقت في هياكلهم وحققها في نفوسهم


واستعبد لها حواسهم، فقرر بها على أسماع ونواظر وأفكار وخواطر، ألزمهم بها حجّته وأراهم بها محجته وأنطقهم عمّا شهد بألسن ذربة بما قام فيها من قدرته وحكمته، وبين عندهم بها ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم بصير شاهد خبير»(٤١).

فقوله عليه السَّلام: «ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة»، قال: يعلم من بقي أنَّ الله عزَّ وجلَّ نصره قال عزَّ من قائل ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ...﴾ الآية(٤٢).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: «كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين في أعين الكفار ويكثر الكفار في أعين المسلمين فشدَّ عليه جبرئيل عليه السَّلام بالسيف فهرب منه وهو يقول: يا جبرئيل إنِّي مؤجل، إنِّي مؤجل حتى وقع في البحر»، قال زرارة: فقلت لأبي جعفر عليه السَّلام: لأيِّ شيء كان يخاف وهو مؤجل؟ قال: «يقطع بعض أطرافه»(٤٣).

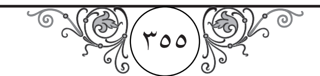
أمَّا البيعة في كلام الإمام عليٍّ عليه السَّلام فهناك في نهج البلاغة كلمات تؤكد البيعة وقد عول الإمام عليٌّ عليه السَّلام عليها مراراً وأنَّ الناس بايعوه، ومن جملتها أنَّه قال في بعض خطبه: «أيها الناس إنَّ لي عليكم حقاً ولكم عليَّ حقٌّ، فأمَّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا»، ثمَّ يضيف عليه السَّلام: «وأمَّا حقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة بالمشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم»(٤٤).

وتوفير فيئكم عليكم، معناه توفيره بترك الظلم فيه وتفريقه في غير وجوه ممّا ليس بمصلحة لكم، كما فعله من كان قبله(٤٥)، وممَّا يدلُّ على عدالة أمير المؤمنين عليه السَّلام أنَّه عليه السَّلام قام خطيباً بالمدينة حين ولي الخلافة وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، يا معشر قريش، اعلموا - والله - إنِّي لا أرزؤكم من فيئكم شيئاً ما قام لي عذق بيثرب، أفتروني مانعاً نفسي وولدي ومعطيكم؟! ولأسوين بين الأسود والأحمر»، فقام إليه (أخوه) عقيل بن أبي طالب فقال: لتجعلني وأسود من سودان المدينة واحداً؟! فقال له: «اجلس رحمك الله تعالى، أمَا كان ههنا من يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليهم إلَّا بسابقة أو تقوى»(٤٦).

فيا ليت شعري أيّ بيعة قد وفوا بها وأيّ نصيحة بالمشهد والمغيب، وهل أجابوه وأطاعوه؟

ويقول عليه السَّلام في مكان آخر: «**لمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، ولَيْسَ أَمْرِي وأَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ لله وأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وأيْمُ الله لأُنْصِفَنَّ المَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ولأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الحَقِّ وإِنْ كَانَ كَارِهاً**»(٤٧).

الفلتة: الأمر يقع بغير تدبّر ولا رويّة، بل كانت بيعتكم لي عن تدبّر واجتماع رأي منكم، لم يكن لأحدكم بعدها أنْ يخالف أو يندم عليها وقوله: «وليس أمري وأمركم واحداً»، إشارة إلى الاختلاف بين حركاته ومقاصدهم، ثمّ بيّن الفرق بقوله: «إنّي أريدكم لله» أي إنّما أريد طاعتكم لإقامة دين الله، وإقامة حدوده، «وأنتم تريدونني لأنفسكم» أي لحظوظ



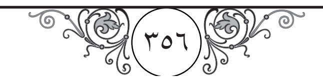


أنفسكم من العطاء والتقريب وساير منافع الدنيا، ثمّ لمّا وبّخهم بذلك أيّه بهم، وطلب منهم الإعانة على أنفسهم: أي بالطاعة له وامتثال أوامره، فأقسم لينصفنّ المظلوم وليقودنّ الظالم بخزامته، وكذلك استعار لفظ المنهل للحقّ، ووجه الاستعارة كونه مورداً يشفى به ألم المظلوم كما يشفى به ألم العطشان(٤٨).

وفي خطبته التي خطبها قبل حرب الجمل والتحرك من المدينة نحو البصرة أشار إلى بيعة الناس إياه وأنْ يثبتوا على ما بايعوه فقال عليه السلام: «وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين»(٤٩).

ونقرأ أخيراً في بعض كتبه لمعاوية حين لم يبايع الإمام علياً عليه السَّلام وكان يريد الانتقام من عليٍّ عليه السَّلام قوله: وروي أنّ جريراً لمّا أراد بعثه قال: والله يا أمير المؤمنين ما أدّخرك من نصرتي شيئاً، وما أطمع لك في معاوية، فقال عليه السَّلام: «قصدي حجّة أقمتها»، ثمَّ كتب معه: «أمّا بعد فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، لأنّه بايعني القوم الَّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أنْ يختار ولا للغائب أن يردّ»(٥٠).

ويستفاد من بعض عبارات النهج أنَّ البيعة ليست أكثر من مرّة واحدة ولا سبيل لتجديد النظر فيها وليس فيها اختيار الفسخ، ومن يخرج منها فهو طاعن، ومن يتريث ويفكر في قبولها أو ردِّها فهو منافق [إنَّها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج



منها طاعن والمروي فيها مداهن]، ويستفاد من مجموع هذه التعابير أنَّ الإمام عليه السَّلام استدلَّ على من لم يقبلوا بأنَّ إمامته منصوص عليها من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وكانوا يتذرعون بحجج واهية، بالبيعة التي كانت عندهم من المسلّم بها، ولم تكن لهم الجرأة على أنْ يرفضوا طاعة الإمام ويسمعوا لمعاوية وأمثال معاوية، فكما أنَّهم يرون مشروعية الخلافة للخلفاء الثلاثة السابقين، فعليهم أنْ يعتقدوا بأنَّ خلافة الإمام مشروعة أيضاً وأنْ يذعنوا له، بل إنَّ خلافته أكثر شرعية؛ لأنَّ بيعته كانت أوسع وكانت حسب رغبة الناس ورضاهم، فبناء على هذا لا منافاة بين الاستدلال بالبيعة ومسألة نصب الإمام بواسطة الله والنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وتأكيد البيعة؛ لذلك فإنَّ الإمام يشير في مكان من (نهج البلاغة) نفسه بحديث الثقلين الذي هو من نصوص الإمامة: «أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين صلَّى الله عليه وآله، إنَّه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببالٍ، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنَّ أكثر الحقِّ فيما تنكرون، وأعذروا من لا حجّة لكم عليه - وهو أنا - ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، قد ركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي»(٥١)(٥٢).

إنْ قلت: فهل يمكن أنْ يقال: إنَّ الضمير يعود إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، لأنَّه قد ذكره في قوله: (خاتم النبيين) فيكون التقدير: أنَّه يموت

من مات منا والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله ليس بميت، ويبلى من بلى منا والنبيُّ ليس ببالٍ، قلت: هذا أبعد من الأَوّل، لأنَّه لو أراد ذلك لقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله لا تبليه الأرض، وإنَّه الآن حيٌّ، ولم يأتِ بهذا الكلام الموهم، ولأنَّه في سياق تعظيم العترة وتبجيل أمرها، وفخره بنفسه وتمدحه بخصائصه ومزاياه، فلا يجوز أنْ يدخل في غضون ذلك ما ليس منه(٥٣).

فإن قلت: فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعاً؟ قلت: بل ذكره مرفوعاً، ألا تراه قال: «خذوها عن خاتم النبيين»، ثمَّ نعود إلى التفسير فنقول: إنَّه لمَّا قال لهم ذلك علم أنَّه قال قولاً عجيباً، وذكر أمراً غريباً، وعلم أنَّهم ينكرون ذلك ويعجبون منه، فقال لهم: «فلا تقولوا ما لا تعرفون»، أي لا تكذبوا إخباري، ولا تكذبوا إخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لا تعلمون صحته، ثمَّ قال: فإنَّ أكثر الحقِّ في الأُمور العجيبة التي تنكرونها كإحياء الموتى في القيامة، وكالصراط والميزان والنار والجنة وسائر أحوال الآخرة، هذا إنْ كان خاطب من لا يعتقد الإسلام، فإنْ كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام، فإنَّه يعنى بذلك أنَّ أكثرهم كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة، ومن يعتقد أفضلية غيره عليه، ومن يعتقد أنَّه شرك في دم عثمان، ومن يعتقد أنَّ معاوية صاحب حجّة في حربه، أو شبهة يمكن أنْ يتعلق بها متعلق، ومن يعتقد أنَّه أخطأ في التحكيم، إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها. ثمَّ قال: «واعذروا من لا حجّة لكم عليه وهو أنا»، يقول: «قد عدلت فيكم، وأحسنت السيرة

وأقمتكم على المحجة البيضاء، حتى لم يبقَ لأحد منكم حجّة يحتج بها عليَّ»، ثم شرح ذلك، فقال: «عملت فيكم بالثقل الأكبر»، يعني الكتاب، و«خلفت فيكم الأصغر»، يعني ولديه؛ لأنَّهما بقية الثقل الأصغر، فجاز أنْ يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنَّهما الثقل الأصغر، وإنَّما سمَّى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله الكتاب، والعترة الثقلين؛ لأنَّ الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه، فكأنَّه صلَّى الله عليه وآله لَّما شارف على الانتقال إلى جوار ربِّه تعالى، جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه؛ لأنَّهما أخصّ الأشياء به، قوله: «وركزت فيكم راية الإيمان»، أي غرزتها وأثبتّها، وهذا من باب الاستعارة، وكذلك قوله: «ووقفتكم على حدود الحلال والحرام»، من باب الاستعارة أيضاً، مأخوذ من حدود الدار وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها، قوله: «وألبستكم العافية من عدلي» استعارة فصيحة، وأفصح منها قوله: «وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي»، أي جعلته لكم فراشاً، وفرش ها هنا: متعدٍّ إلى مفعولين، يقال: فرشته كذا أي أوسعته إياه(٥٤).

ويشير في مكان آخر إلى مسألة الوصية والوراثة «لا يقاس بآل محمَّد صلَّى الله عليه وآله من هذه الأُمَّة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقِّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله»(٥٥).



ويشير عليه السَّلام في بعض عباراته الأُخرى إلى لزوم الوفاء بالبيعة وعدم إمكان الفسخ والنكث وتجديد النظر وعدم الحاجة إلى التكرار: «أَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ، قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، ونَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا، اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وظَلَمَانِي، ونَكَثَا بَيْعَتِي وأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ولَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وعَمِلَا، ولَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، واسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ ورَدَّا الْعَافِيَةَ»(٥٦)، فالعوذ: جمع عوذة وهي الناقة المسنّة، والمطافيل: جمع مُطفل بضم الميم وهي قريبة العهد بالنتاج، والتأليب: التحريص، وأبرمت الأمر أحكمته، واستثبّتها بالثاء المعجمة بثلاث نقط: طلبت رجوعهما، يروى بالتاء من التوبة، واستأنيت: انتظرت(٥٧).

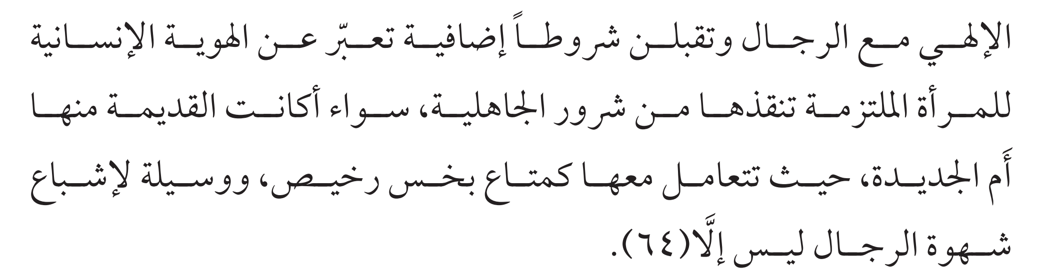
فهو احتجاج على طلحة والزبير ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله: فأقبلتم، إلى قوله: فجاذبتموها، يجرى مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل، وتلخيصها أنّكم اجتهدتم عليَّ في طلب البيعة حتّى بايعتكم وأخذت عهودكم، وتقدير الكبرى وكلّ من اجتهد اجتهادكم إلى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده، والصغرى مسلّمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(٥٨)، و﴿أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ﴾(٥٩)، وقد شبّه إقبالهم عليه طالبين للبيعة بإقبال مسنّات النوق على أطفالها، ووجه التشبيه شدّة الإقبال والحرص على مبايعته، وخصّ المسنّات لأنّها أقوى حنّة على أولادها، ونصب البيعة على الإغراء، وفائدة

التكرير في الإغراء تأكيد الأمر الدالّ على شدّة الاهتمام بالمأمور به، وهذه هي مسائل مقبولة بالنسبة للبيعة أيضاً(٦٠)، ويستفاد من هذه التعابير ضمناً بصورة جيدة أنَّ البيعة إذا كانت فيها جنبة إكراه أو إجبار أو أُخذت على حين غرّة من الناس فلا عبرة بها ولا قيمة لها، بل البيعة الحقّ التي تكون في حال الاختيار والحرية والإرادة والتفكر والتدبر(٦١).

يمكن أنْ يرد هنا هذا السؤال وهو: لماذا كانت البيعة مع النساء مشروطة بهذه الشروط، في حين أنَّ بيعة الرجال لم تكن مشروطة إلَّا بالإيمان والجهاد؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إنَّ الأُمور الأساسيّة المتعلقة بالرجال في ذلك المحيط هي الإيمان والجهاد، ولأنَّ الجهاد لم يكن مشروعاً بالنسبة للنساء؛ لذا ذكرت شروط أُخرى أهمّها ما أكدته الآية الشريفة التي تؤكد أمر صون المرأة من الانحراف في ذلك المجتمع(٦٢).

وممَّا يجدر التذكير به هنا أنَّ مسألة بيعة النساء للرسول صلَّى الله عليه وآله كانت بشروط بناءة ومربية كما نصّت عليها الآية ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٦٣)، (إنَّ هذه النقطة على خلاف ما يقوله الجهلة والمغرضون في أنَّ الإسلام حرم المرأة من الاحترام والقيمة والمكانة التي تستحقها، فإنَّ هذه الآية أكدت أمر الاهتمام بالمرأة في أهم المسائل ومن ضمنها موضوع البيعة سواء أكانت في الحديبية في العام السادس للهجرة أَم في فتح مكة، وبذلك دخلن العهد





الإلهي مع الرجال وتقبلن شروطاً إضافية تعبّر عن الهوية الإنسانية للمرأة الملتزمة تنقذها من شرور الجاهلية، سواء أكانت القديمة منها أَم الجديدة، حيث تتعامل معها كمتاع بخس رخيص، ووسيلة لإشباع شهوة الرجال ليس إلّا(٦٤).

فقد أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله النساء بالبيعة لعليٍّ عليه السَّلام بإمرة المؤمنين وتهنئته، وقد أكَّد ذلك بصورة خاصة على زوجاته وأمرهن أنْ يذهبن إلى خيمته ويبايعنه، فأمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله بإحضار إناء كبير فيه ماء، وأنْ يضرب عليه بستار بحيث إنَّ النساء كنَّ يضعن أيديهن في الإناء خلف الستار، وأمير المؤمنين عليه السَّلام يضع يده في الإناء من الجانب الآخر، وبهذه الصورة تمت بيعة النساء، فبايعته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، وكذا نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله جميعهن، وأُمُّ هاني أُخت أمير المؤمنين عليه السَّلام وفاطمة بنت حمزة عمّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وأسماء بنت عميس، كما بايعه سائر النساء الحاضرات. وهكذا نرى أنَّ المرأة منذ صدر الرسالة كان لها دور مهم وفعال، وأنَّ الإسلام لم يهمش دورها وأعطاها واجبات وفرض عليها ما فرض على الرجال مع استثناء بعض الأحكام الخاصة بهم في قبال أحكام وفرائض خاصة بالمرأة أيضاً، وكان الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله مهتماً بالنساء يوم غدير خم المبارك، وأمر بنصب خيمة خاصةٍ بهنَّ ليبايعن بها أميرهن وإمامهن عليّاً عليه السَّلام.... وفي الوقت نفسه نرى حرص رسول الله صلَّى الله عليه وآله الشديد في الحفاظ على

حشمة النساء و سترهن؛ لذا أمر أنْ يضرب ستار بين النساء وبين أمير المؤمنين عليه السَّلام وأنْ تضع المرأة يدها في إناء يحوي ماءً كي لا تضطر إلى ملامسة يد الأمير عليٍّ عليه السَّلام وهو رجل أجنبي بالنسبة لأكثر النساء الحاضرات في ذلك اليوم، وهكذا نرى توازن الإسلام في إعطاء حقِّ المرأة و في الحفاظ على سترها وعفافها، بحيث لا يحدّ الأَوّل من الثاني ولا العكس! ولم تذهب بيعة النساء يوم الغدير عبثاً فقد كان للمرأة دور مهم أسهمت به في الدفاع والذبِّ عن صاحب البيعة عليه السَّلام، ولنتأكد أكثر فإنَّ يوم الغدير الذي تعرّض للغدر من قبل المنافقين والتخاذل من قبل المتخاذلين لم يدافع عنه ويذكر به سوى امرأةٍ واحده وهي سيدتنا الزهراء عليها السَّلام، فالمرأة يمكن أنْ تقوم بأعمالٍ يعجز عنها الرجال الأشداء؛ لذا اعتنى الإسلام بها لأنَّها عامل مهم جداً لنصرة دين الله على مدى التاريخ(٦٥).

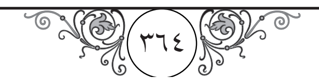
المبحث الثالث: التفسير الروائي

من النصوص على إمامته ما ورد في يوم الغدير عن ابن عباس وجابر قالا: أمر الله محمداً - صلَّى الله عليه وآله - أنْ ينصب علياً -عليه السَّلام- للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم أنْ يقولوا حابى ابن عمِّه وأنْ يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾(٦٦)، فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية عليٍّ عليه السَّلام يوم غدير خم(٦٧)، فلم يكن تخوف



رسول الله صلَّى الله عليه وآله إلَّا لكون قومه حديثي عهد بالجاهلية، فقد روي عن زياد بن المنذر أنَّه كان يقول: كنت عند أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليه السَّلام وهو يحدِّث النّاس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، إنَّ الحسن يخبرنا أنَّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ فقال: «لو أراد أنْ يخبر به لأخبر به، ولكنَّه يخاف، إنَّ جبرئيل هبط إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله... »، إلى قوله: «فقال: إنَّ الله يأمرك أنْ تدلَّ أُمَّتك على وليِّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رب إنَّ قومي قريبو عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلَّا وقد وتره وليُّهم، وإنِّي أخاف - أي من تكذيبهم - فأنزل الله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾»(٦٨)، يريد فما بلغتها تامة، والله يعصمك من الناس «فلمَّا ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد عليٍّ...»(٦٩).

الرواية فيها إشارة واضحة على ولاية الإمام عليٍّ عليه السَّلام ووصايته إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عصم الرسول صلَّى الله عليه وآله من أذى الناس إليه بعد أنْ أبدى مخاوفه تجاه قومه، وإذا بلغ الرسالة بدون تبليغ ولاية عليٍّ عليه السَّلام فستكون وصايته ناقصة غير تامة، فرسول الله مسؤول



وهـم مسـؤولون.

وروى الحاكـم الحسـكاني عـن ابـن عبـاس في حديـث المعـراج، أنَّ الله عـزَّ اسـمه قـال لنبيِّـه في مـا قـال: «وإنِّي لم أبعـث نبيـاً إلَّا وجعلـت لـه وزيـراً، وإنَّـك رسـول الله وإنَّ علياً وزيـرك»، قـال ابـن عبـاس: فهبـط رسـول الله صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلَّم، فَكَـرِهَ أنْ يحـدث النـاس بـشيء منهـا إذ كانـوا حديثـو عهـد بالإسـلام إلى قولـه: فاحتمـل رسـول الله صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلَّم حتـى إذا كان اليـوم الثامـن عـشر أنـزل الله عليـه ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾(٧٠)، إلى قولـه فقـال: «يـا أيُّها النـاس، إنَّ الله أرسـلني إليكـم برسـالة، وإنِّي ضقـت بهـا ذرعـاً، مخافـة أنْ تتهمـوني وتكذبـوني، حتـى عاتبنـي ربِّي فيهـا بوعيـد أنزلـه علـيَّ... »(٧١).

إنَّ قـوم رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه كـما عهدهـم صـلَّى الله عليـه وآلـه حديثـو عهـد بالإسـلام فوعيـد الله عـزَّ وجـلَّ لرسـوله صـلَّى الله عليـه وآلـه وعصمتـه مـن النـاس جعلتـه يصدع بـما أخبره الله مـن أمـر الوصايـة والولاية.

وروى الحسـكاني وابـن عسـاكر عـن أبي هريـرة: أنـزل الله عـزَّ وجـلَّ ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾(٧٢)، قصـد أبـو هريـرة أنَّ المقصـود أنْ يبلـغ مـا نـزل في عـليٍّ عليـه السَّـلام(٧٣).

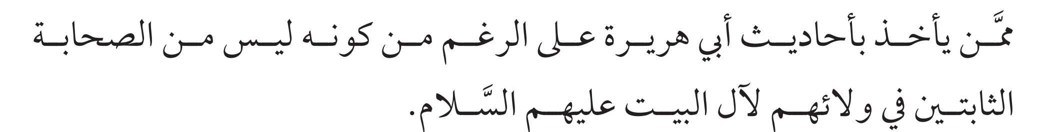
تأويـل مـا صرح بـه أبـو هريـرة في نـزول الآيـة في عـليٍّ عليـه السَّـلام يعطـي جانبـاً كبـيراً مـن الدعامـة للروايـة، فهنالـك كثـير مـن إخواننـا أهـل السـنة

ممَّن يأخذ بأحاديث أبي هريرة على الرغم من كونه ليس من الصحابة الثابتين في ولائهم لآل البيت عليهم السَّلام.

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾(٧٤) ثمَّ رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه، ثمَّ قال: «ألا من كنت مولاه...»(٧٥).

دليل حسي قد رآه المسلمون يوم غدير خم بأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله قد رفع يديه حتى رأوا بياض إبطيه، وهذا الدليل يضاف إلى الأدلة الكثيرة التي صرَّحت بها الآيات الكريمة والروايات الشريفة بولاية عليٍّ عليه السَّلام.

عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: «لمَّا نزل جبرئيل عليه السَّلام على رسول الله صلَّى الله عليه وآله في حجّة الوداع بإعلان أمر عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾(٧٦)»، إلى آخر الآية، قال: «فمكث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله ثلثاً حتى أتى الجحفة فلم يأخذ بيده فرقاً من الناس، فلمَّا نزل الجحفة يوم الغدير في مكان يقال له مهيعة، فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: من أَولى بكم من أنفسكم؟ قال: فجهروا فقالوا: الله ورسوله، ثمَّ قال لهم الثانية، فقالوا: الله ورسوله، ثمَّ قال لهم الثالثة، فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد عليٍّ عليه السَّلام فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه و انصر من نصره واخذل من خذله، فإنَّه منِّي وأنا منه، وهو منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»(٧٧).



أُسلوب خطابيٌّ استخدمه رسول الله صلَّى الله عليه وآله ألا وهو التكرار، عندما قال لهم صلَّى الله عليه وآله: «من أولى بكم من أنفسكم» كررها ثلاثاً لأهمية شأن الرسالة بالتبليغ في ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام، فاستعان بالألفاظ الموحية المثيرة واختار الكلمات الجزلة لملائمتها لمستوى السامعين والإلحاح على النقطة الرئيسة في الموضوع حتى تستقر في أذهان السامعين، ألا وهي الموالاة التي تأتي بمعنى الأَولى بكم(٧٨)، عن بعض أصحابنا عن حنان بن سدير، عن سالم الحنّاط قال: قلت لأبي جعفر عليه السَّلام: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(٧٩)؟ قال: «هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السَّلام»(٨٠)، فقوله قال هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السَّلام، اعلم أنَّ في القرآن ظاهراً وباطناً ومجملاً ومؤولاً ومحكماً ومتشابهاً، وأنَّهم أعلم الأُمَّة بجميع ذلك، وأنَّ ظاهر هذه الآية هو أنَّ الضمير في «به» راجع إلى القرآن، وما بعده بيان لمآله وغايته، ولكنَّه عليه السَّلام أرجعه إلى الولاية باعتبار المنزل وأَوَّله بأنَّ معناه نزل بها الروح الأمين وهو جبرئيل عليه السَّلام على قلبك يا محمّد لتكون من المنذرين عن مخالفة ولي أمرك، بلسان عربي مبين، واضح الدلالة على المقصود؛ كيلا يقولوا يوم القيامة على سبيل المعذرة ما كنا نفهم لسانك وتبليغك في وليّك، وفي رواية عليٍّ بن إبراهيم أيضاً تصريح بذلك، فإنَّه قال في تفسيره: حدّثني أبي عن حنان عن أبي عبد الله عليه السَّلام في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ قال: «الولاية نزلت لأمير المؤمنين عليه السَّلام يوم الغدير»(٨١).

للقرآن الكريم ظاهر وباطن فظاهره تنزيله وباطنه تأويله فأمر الولاية أمر إلهي فينذر الرسول صلَّى الله عليه وآله كلَّ من يخالف أمره، وهذا تأويل النزول الباطني، أمَّا الظاهري فقد بيّنه عليه السَّلام بأنَّه نزول القرآن الكريم.

عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السَّلام، قال: «لمَّا نزل جبرئيل عليه السَّلام على رسول الله صلَّى الله عليه وآله في حجّة الوداع بإعلان أمر عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾»(٨٢)، إلى آخر الآية، قال: «فمكث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله ثلاثاً حتى أتى الجحفة، فلم يأخذ بيده فرقاً من الناس فلمَّا نزل الجحفة يوم الغدير في مكان يقال له مهيعة نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: من أَولى بكم من أنفسكم؟ قال: فجهروا، فقالوا: الله ورسوله، ثمَّ قال لهم الثانية، فقالوا: الله ورسوله، ثمَّ قال لهم الثالثة، فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد عليٍّ عليه السَّلام فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فإنَّه منِّي وأنا منه، وهو منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»(٨٣).

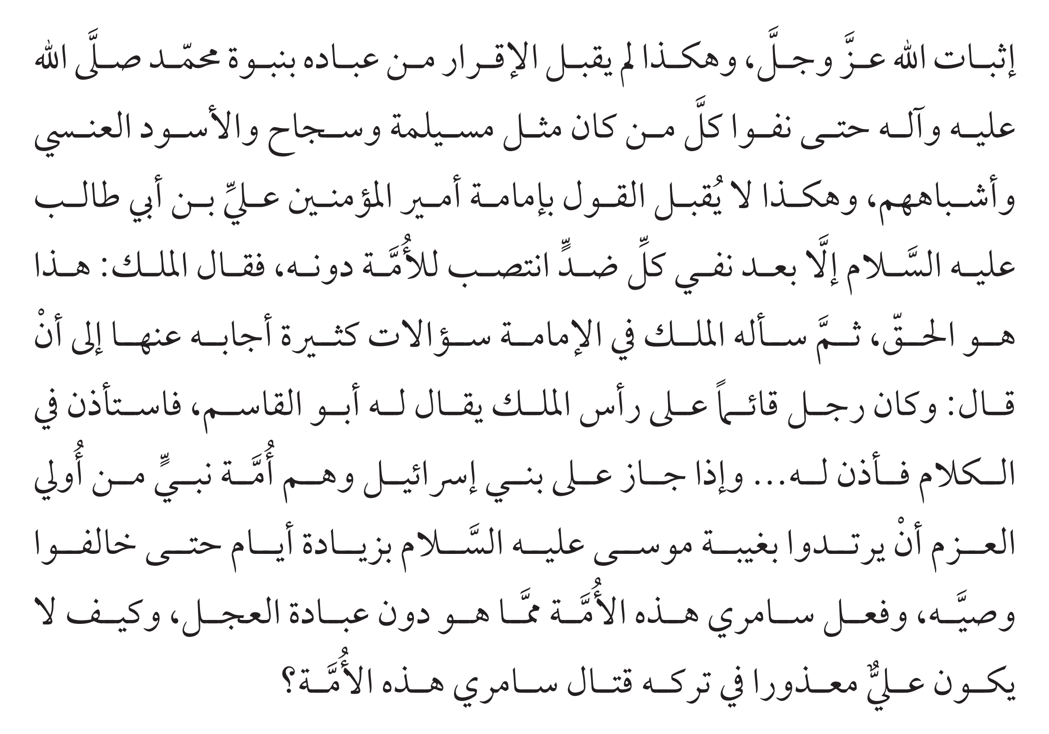
حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، قال حدثنا محمّد بن عليّ

بـن معمّـر، قـال: حدثنـا أحمـد بـن عـليٍّ الرمـلي، قـال: حدثنا محمّـد بن موسـى، قـال: حدثنـا يعقـوب بـن إسـحاق المـروزي قـال: حدثنـا عمـرو بـن منصـور، قـال: حدثنـا إسـماعيل بـن أبـان، عـن يحيـى بـن كثـير عـن أبيـه، عـن أبي هـارون العبـدي، قـال: سـألت جابـر بـن عبـد الله الأنصـاري عـن معنـى قـول النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه لعـليٍّ عليـه السَّـلام: «أنـت منِّـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى إلَّا أنَّـه لا نبـيَّ بعـدي»، قـال: اسـتخلفه بذلـك والله عـلى أُمَّتـه في حياتـه وبعـد وفاتـه، وفـرض عليهـم طاعتـه، فمـن لم يشـهد لـه بعـد هـذا القـول بالخلافـة فهـو مـن الظالمـين(٨٤).

وإذا كان حديـث أئمتنـا حديـث رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وحديـث الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه حديـث جبرئيـل وحديـث جبرئيـل قـول الله عـزَّ وجـلَّ فـأيُّ حديـث بعـد هـذا يتمنـون؟

والاسـتخلاف ليس أمـراً هينـاً أنْ يـترك النبـيّ صـلى الله عليـه وآلـه قيادتـه للأُمَّـة دون أنْ ينصـب لهـا وصيـاً مـن بعـده وهـذا مـا توضحـه المحاجّـة الآتية:

وصـف للملـك ركـن الدولـة ابـن بويـه الديلمـي الشـيخ الأجـل محمّـد بـن بابويـه ومجالسـه وأحاديثـه، فأرسـل إليـه عـلى وجـه الكرامـة، فلـمَّا حـضر قـال لـه: أيُّهـا الشـيخ قـد اختلـف الحـاضرون في القـوم الذيـن يطعـن عليهـم الشـيعة، فقـال بعضهـم: يجـب الطعـن، وقـال بعضهـم: لا يجـوز، فـما عنـدك في هـذا؟ فقـال الشـيخ: أيُّهـا الملـك، إنَّ الله لم يقبـل مـن عبـاده الإقـرار بتوحيـده حتـى ينفـوا كلَّ إلـه وكلَّ صنـم عُبـد مـن دونـه، ألا تـرى أنَّـه أمرهـم أنْ يقولوا: لا إلـه إلَّا الله فــ(لا إلـه) غـيره وهـو نفـيُّ كلِّ إلـه عُبـد دون الله، و- إلَّا الله -


إثبات الله عزَّ وجلَّ، وهكذا لم يقبل الإقرار من عباده بنبوة محمّد صلَّى الله عليه وآله حتى نفوا كلَّ من كان مثل مسيلمة وسجاح والأسود العنسي وأشباههم، وهكذا لا يُقبل القول بإمامة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام إلَّا بعد نفي كلِّ ضدٍّ انتصب للأُمَّة دونه، فقال الملك: هذا هو الحقّ، ثمَّ سأله الملك في الإمامة سؤالات كثيرة أجابه عنها إلى أنْ قال: وكان رجل قائماً على رأس الملك يقال له أبو القاسم، فاستأذن في الكلام فأذن له... وإذا جاز على بني إسرائيل وهم أُمَّة نبيٍّ من أُولي العزم أنْ يرتدوا بغيبة موسى عليه السَّلام بزيادة أيام حتى خالفوا وصيَّه، وفعل سامري هذه الأُمَّة ممَّا هو دون عبادة العجل، وكيف لا يكون عليٌّ معذورا في تركه قتال سامري هذه الأُمَّة؟

وإنَّما عليٌّ عليه السَّلام من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعده، فاستحسن الملك كلامه فقال الشيخ: أيُّها الملك زعم القائلون بإمامة سامري هذه الأُمَّة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لا يستخلف، واستخلفوا رجلاً وأقاموه، فإنْ كان ما فعله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله على زعمهم من ترك الاستخلاف حقاً، فالذي أتته الأُمَّة من الاستخلاف باطل، وإنْ كان الذي أتته الأُمَّة صواباً، فالذي فعله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله خطأ بمن يلصق الخطأ بهم أَم به؟

فقال الملك: بل بهم فقال الرجل وكيف يجوز أنْ يخرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله من الدنيا ولا يوصي بأمر الأُمَّة؟ ونحن لا نرضى من أكار في قرية إذا مات وخلف مسحاة وفأساً لا يوصي بهما إلى من بعده؟ فاستحسنه

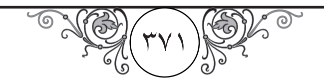
الملك، فقال الشيخ: وهنا كلمة أُخرى: زعموا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يستخلف فخالفوه باستخلافهم؛ لأنَّ الأَوَّل استخلف الثاني، ثمَّ لم يقتد الثاني به ولا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله حتى جعل الأمر شورى في قوم معدودين، وأيُّ بيان أوضح من هذا؟(٨٥).

الخاتمة

١- إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قد صدع بدعوته إلى إمامة إمام المتقين وولايته عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام أمام جمع غفير من المسلمين بآيات كريمة كآية التبليغ والولاية وغيرها وأحاديث جمّة يمثل حديث الغدير قطب الرحى الذي تدور حوله الولاية وقد تواتر ورواه العامَّة والخاصة.

٢- حاول جمع من المنافقين وهم في فسطاطهم الطعن بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله واتهموه بالجنون وقد ردَّ عليهم القرآن ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ومهما تنوعت أساليب أعداء الدين ووسائلهم تبقى ولاية عليٍّ عليه السَّلام أوضح من الشمس في رابعة النهار.

٣- أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله ليد عليٍّ عليه السَّلام حتى بان بياض إبطيهما هو جانبٌ حسيٌّ يضاف إلى الجوانب الأُخرى، فمهما غطي رداء الحقيقة بشؤم المتخاذلين ولؤم والمنافقين تبقى حناجر المخلصين تصدع بالتبليغ مهما كلفها من تضحيات.



٤- لَّمـا نصّب رسـول الله صلَّى الله عليـه وآلـه علياً عليـه السَّـلام هبـط جبرئيـل بآيـة الولايـة، فقـد بينت الآيـة الأوليـاء، حيـث بـدأ الله عـزَّ وجـلَّ بنفسـه ثـمَّ ثنى برسـوله ثـمَّ ثلّـث بالذيـن آمنـوا، فلـمّا علـم سـبحانه أنَّ الأمـر يشـتبه عـلى النـاس وصـف الذيـن آمنـوا بصفـات خاصـة لم يشـترك معهـم بهـا أحـد مـن الخلـق، فقـال جـلَّ مـن قـال: ﴿الَّذِيـنَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَيُؤْتُـونَ الـزَّكَاةَ وَهُـمْ رَاكِعُـونَ﴾، فـلا ضـير يتقدمـه التوحيـد وبعـده النبـوة ثـمَّ الولايـة، حيـث أصبـح ثبـوت الولايـة كثبـوت الرسـالة المحمديّـة، فنفـس عـليٍّ عليـه السَّـلام كنفـس النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، وهـذا مـا أثبتتـه آيـة المباهلـة.

٥- أضـاف نبـيُّ الرحمـة صـلَّى الله عليـه وآلـه شـواهد عـدّة عـلى ولايـة إمـام المتقـين، فلـم يكتـف بتبليغهـم بمـوالاة عـليٍّ عليـه السَّـلام، بـل أمرهـم بالمبايعـة، فبايعـه أبـو بكـر وبعـده عمـر، حيـث قـال مقولتـه المشـهورة: بـخٍ بـخٍ لـك يـا بـن أبي طالـب أصبحـت مـولاي ومـولى كلِّ مؤمـن ومؤمنـة، وإذا عرفنـا أنَّ المـولى هـو الأَولى بالـشيء؛ أصبـح عـليٌّ عليـه السَّـلام مـولى جميـع المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربهـا.

٦- هنالـك مـن أنكـر الولايـة في الحيـاة الدنيـا عنـاداً وتطفلاً فأُصيـب بحجر عـلى رأسـه فقتلـه، وهـذا شـاهد آخـر عـلى ولايـة أمـير المؤمنـين عليـه السَّـلام، حيـث أبـان البـارئ عـزَّ وجـلَّ أنَّ مخالفتـه هـي مخالفـة لله ورسـوله صـلَّى الله عليـه وآلـه؛ لأنَّ طاعتـه مـن طاعـة الله تعـالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سـورة النسـاء: الآيـة ٥٩).

٧- مـن خـلال الجانـب الخطـابي فقـد بـيّن أمـير المؤمنـين عليـه السَّـلام في

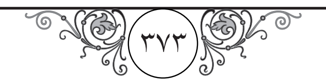
خطبه حقَّ الرعية عليه في النصيحة وتوفير الفيء وتعليمهم وتأديبهم، وأمَّا حقَّه على الرعية فالوفاء بالبيعة والنصيحة بالمشهد والإجابة والطاعة له عليه السَّلام، والحقُّ الأخير ممَّا لم يلتزم به المسلمون، فلو ألتزموا به لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم؛ لأنَّ الولاية نعمة من نعم الله التي منَّ بها على عباده.

٨- لم تكن بيعة أمير المؤمنين عليه السَّلام فلتة فقد أخبرهم أنَّه يريدهم لله وهم يريدونه لأنفسهم، فشتان بين إرادة الله ونعمها الكثيرة وإرادة النفس وآثمها الجسيمة، فمثال من نكث البيعة طلحة والزبير ومن تابعهما فهم في بادئ الأمر كما وصفهم عليه السَّلام اجتهدوا في طلب البيعة ثمَّ نقضوها وهذا ما تحقق فعلاً.

٩- أبان لي البحث أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام قد أخبرهم أنَّه يعمل فيهم بالثقل الأكبر أي كتاب الله العزيز، وخلف فيهم الثقل الأصغر أي ولده من بعده، وهذا ما أشار إليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله في حديث الثقلين الذي يعدُّ من الأحاديث المتواترة والدالَّة على التلازم التام بين الثقلين فهما إخوان مؤتلفان وصاحبان مصطحبان.

١٠- النساء لم يجحف حقهنَّ في بيعة عليٍّ عليه السَّلام، وقد أبان البحث مفصلاً كيفيّة البيعة وقد دافعت السيدة الزهراء عليها السَّلام عنها ضدَّ المتخاذلين والمنافقين وعشاق الدنيا الزائلة الفانية.

١١- التفسير الروائي كان ولا يزال يمثل دوياً يهز عروش الملوك



وأصحاب الترف، فمهما اجتهدوا في إخفائه إلَّا أنَّ الله عزَّ وجلَ أبى إلَّا أنْ يتم نوره ولو كره الكافرون، فلاحظنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله تملّكه تخوفٌ من إعلان تبليغه لولاية عليٍّ عليه السَّلام؛ لأنَّ قومه حديثو عهد بالإسلام فجذور الجاهلية تحتاج جهداً كبيراً لاستئصالها، فبذل كلَّ ما في وسعه حتى جاءه الأمر الإلهي بالعصمة من الناس، فهو مسؤول لتبليغ الرسالة وهم مسؤولون في طاعة الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

١٢- استخدم رسول الله صلَّى الله عليه وآله التكرار عندما قال: «من أَولى بكم من أنفسكم»، فقد كررها ثلاثاً والتكرار لا يأتي إلَّا لأهمية الأمر حيث استعان صلَّى الله عليه وآله بالألفاظ الموحية المثيرة واختار الكلمات الجزلة ومن ثمَّ الإلحاح على النقطة الرئيسة التي هي الموالاة.

هوامش البحث

(١) ظ: علوم القرآن: السّيد محمّد باقر الحكيم، ٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) مدرسة الغدير وأثر الفكر الإسلامي في الحياة، عبد الزهرة عثمان محمّد الشهيد عزّ الدين سليم، ٦٠- ٦٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي، ٣، ٢٧٤ وخصائص الوحي المبين: ابن البطريق، ٩٣.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٧) بصائر الدرجات: محمّد بن الحسن الصفار، ٥٣٥- ٥٣٦.

(٨) ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦، ٢٢١ وظ: تفسير البيضاوي، ٢، ٣٣٩ وتفسير ابن كثير، ابن كثير، ٢، ٧٣ والدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي ٢، ٢٩٣.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٩.

(١٠) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(١١) تفسير الإمام العسكري، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السَّلام، ١١٣.

(١٢) سورة القلم، الآية: ٥١.

(١٣) الوافي، الفيض الكاشاني، ٢، ١٩١.

(١٤) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ١، ٢٣٠.

(١٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

(١٦) معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ٦٧.

(١٧) الدر المنثور: السيوطي، ٢، ٢٥٩، وفي ظلال الغدير، السيد جمال محمد صالح،٣٠ - ٣٢.

(١٨) سورة المائدة، الآية: ٣.



(١٩) سورة الأحزاب، الآية:٦.

(٢٠) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين الأسترابادي، ١٥٠.

(٢١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢٢) خصائص الوحي المبين، ابن البطريق، ٩٢.

(٢٣) مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٨.

(٢٤) سورة البقرة، الآية: ٩.

(٢٥) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين الأسترابادي، ١، ٣٥- ٣٦.

(٢٦) سورة البقرة، الآية: ١١.

(٢٧) سورة البقرة، الآية: ١٢.

(٢٨) سورة البقرة، الآية: ١٢.

(٢٩) تفسير العسكري: ١١٨ - ١١٩.

(٣٠) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(٣١) تفسير العسكري: ١١٢.

(٣٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣٣) الكافي: الكليني، ١، ٢٨٩ والوافي: الفيض الكاشاني، ٢، ٢٧٧.

(٣٤) الأصفى، ١، ٢٨١.

(٣٥) سورة النحل، الآية: ٨٣.

(٣٦) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣٧) الكافي: الكليني، ١، ٤٢٧.

(٣٨) سورة المعارج، الآية: ١.

(٣٩)البرهان في تفسير القرآن: البحراني، ٥، ٤٨٥.

(٤٠) نهج البلاغة: خطب الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ٤، ٢٠.

(٤١) مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي، ٧٥٤ و نور، ٢، ١٦٠.

(٤٢) نور، ٢، ١٦١.

(٤٣) الكافي، ٨، ٢٧٧.

(٤٤) نهج البلاغة: خطب الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ١، ٨٤.

(٤٥) شرح أُصول الكافي، ٥، ٣٠٢.

(٤٦) ميزان الحكمة: الريشهري، ٤، ٢٩٩٦.

(٤٧) نهج البلاغة: خطب الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ٢، ١٩.

(٤٨) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ٣، ١٦٤.

(٤٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٤، ٦.



(٥٠) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ٢، ١١٠.

(٥١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٦، ٣٧٣.

(٥٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١٦، ٤٦٦.

(٥٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٦، ٣٧٩.

(٥٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٦، ٣٨١.

(٥٥) نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١، ٣٠.

(٥٦) نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٩، ٣٨- ٣٩.

(٥٧) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٩، ٣٨.

(٥٨) سورة المائدة، الآية: ١.

(٥٩) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٦٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦، ٤٦٧.

(٦١) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ٣، ١٦٦- ١٦٧.

(٦٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦، ٤٦٧.

(٦٣) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٦٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٨، ٢٦٧- ٢٦٨.

(٦٥) منتدى الكفيل المنتدى الرسمي للعتبة العباسية المقدسة، كيف

كانــت بيعــة النســاء يــوم الغديــر لأمــير المؤمنــين، https://forums. alkafeel. net/showthread. php?t=٧٩١٠٧.

(٦٦) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٦٧) الكافي: الكليني، ١، ٢٨٩.

(٦٨) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٦٩) معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ١، ٣٠١.

(٧٠) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٧١) معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ١، ٣٠٠.

(٧٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٧٣) معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ١، ٣٠١.

(٧٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٧٥) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ١، ١٩٠.

(٧٦) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٧٧) تفسير العياشي، العياشي، ١، ٣٣٢.

(٧٨) ظ: أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر باقر الحسيني، ٧٦٤-٧٦٥.

(٧٩) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤-١٩٥.



(٨٠) الكافي، ١، ٤١٢.

(٨١) شرح أُصول الكافي، محمّد صالح المازندراني، ٧، ٥١.

(٨٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٨٣) البرهان، ٢، ٣٣٧.

(٨٤) الهداية: الشيخ الصدوق، ١٥٧.

(٨٥) الهداية: الشيخ الصدوق، ١٤٣.

المصادر والمراجع

- القرآن خير ما نبتدئ به

١- أساليب البيان في القرآن: السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، ط٢ (١٤٣٢ق ١٣٩٠ ش).

٢- الأصفى، الفيض الكاشاني، تحقيق: محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر التابع لمكتبة الإعلام الإسلامي، قم (١٤١٨هـ).

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (من دون سنة طبع).

٤- البرهان في تفسير القرآن: البحراني منشورات إسماعليان، قم، (من دون سنة طبع).

٥- بصائر الدرجات: الشيخ محمّد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان (من دون سنة طبع).

٦- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين عليّ الحسيني الأستراباديّ، مدرسة الإمام المهدي - الحوزة العلمية - قم المقدسة أمير قم (١٤٠٧- ١٣٦٦ش).

٧- تفسير الإمام العسكري، الإمام الحسن بن عليٍّ عليه السَّلام، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السَّلام، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السَّلام، مطبعة مهر، قم ط١ (١٤٠٩هـ).

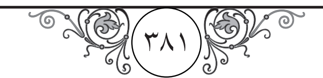
٨- تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر، دار الفكر، بيروت (من دون سنة طبع).

٩- تفسير العياشي، تفسير القرآن الكريم، محمّد بن مسعود السلمي السمرقندي، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طبع ونشر: السيد محمود الكتابيجي (من دون سنة طبع).

١٠- تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تحقيق وتصحيح: السيد هاشم الرسول المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط٤ (١٣٧٠ ش).

١١- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٢- خصائص الوحي المبين، ابن البطريق تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم، نكين، قم، ط١ (١٤١٧).



١٣- الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

١٤- شرح أُصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت - لبنان، (١٤٢١- ٢٠٠٠م).

١٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

١٦- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، تحقيق: عدد من الأفاضل، وقوبل بنسخ عدة موثوق بها، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم- إيران، جابخانه دفتر تبليغات اسلامي تابستان (١٣٦٢ش).

١٧- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبد بن الحذاء، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

١٨- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة شريعت، قم (١٤٢٦هـ).

١٩- في ظلال الغدير، السيد جمال محمد صالح، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم، ط١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٢٠- الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، حيدري (١٣٦٣هـ).

٢١- مجمع البيان، الطبرسي، الفضل بن الحسن، تصحيح: السيد هاشم الرسولي والسيد فاضل الله الطباطبائي، منشورات: شركة المعارف الإسلامية (١٣٣٩هـ).

٢٢- مدرسة الغدير وأثر الفكر الإسلامي في الحياة عبد الزهرة عثمان محمّد الشهيد عز الدين سليم، دار الزهراء للطباعة والتوزيع، بيروت - لبنان زيد للنشر، بغداد - العراق (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).

٢٣- مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، ط١ (١٤١١هـ- ١٩٩١م).

٢٤- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في قم - إيران (١٣٦٦- ١٤٠٥هـ).

٢٥ - معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٢٦- ميزان الحكمة، محمَّد الريشهري، دار الحديث، ط١.

٢٧- نهج البلاغة، خطب الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ابن أبي الحديد، تحقيق: الشيخ محمَّد عبدة، دار الذخائر، قم - إيران، النهضة، قم (١٤١٢- ١٣٧٠ش).

٢٨- الهداية، الشيخ الصدوق، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي عليه السَّلام، مطبعة اعتماد، قم (١٤١٨هـ).

٢٩- الوافي، الفيض الكاشاني، المطبعة الإسلامية بالأفسيت، طهران (١٣٧٥هـ).

آيات الغدير دراسة وتحليل في صحيح تراث الأمة

م. م. رسل صاحب خضير الشمري

الملخص:

الكمال في الدين متمثلاً بالنص القرآني يتجسد في نزول الأحكام الشرعية واحتوائه على نظم العقائد السماوية كاملة فالغرض منه - والحال هذه - مكتمل، أما تمامه فيكمن في النعمة المتمثلة بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فبها لا يحتاج المرء إلى شيء آخر، فهو خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووارث علمه، فقد كان المرشد عند اختلاف الناس وتباينهم في الرأي، فالإمام هو نعمة الله التي أتمّ بها غاية الدين بتحقيق غايته وبيان تفاصيله بكل أجزائها من دون تفرقة هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن وجود الإمام يغني الناس بعدم احتياجهم في دينهم إلى شيء آخر غير الإمام لأنه صنو القران وثقله الأمثل. لخصنا موضوع آية الغدير على مبحثين، تحدثنا في المبحث الأول عما ورد في صحيح التفسير عند الفريقين، وفي المبحث الثاني ما ورد فيها من حديث مرجحين القوي ورادّين السقيم.

المقدمة:

واقعة الغدير كانت محلّ الاهتمام من الله سبحانه، فقد أنزل الحق(جل

جلالـه) ذكـراً يرتلـه المسـلمون آنـاء الليـل وأطـراف النهـار، يتلونـه في خلواتهـم: ﴿يَاأَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّـاسِ﴾[1] فلـما بلـغ الرسـالة يومئـذ بنصّـه عـلى علي بالإمامـة، وعهـده إليـه بالخلافـة، فأنـزل الله سـبحانه عليـه ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْلَامَ دِينـا﴾[2] فـإذا كانـت عنايـة الله (جـل جلالـه) عـلى هـذه الشـكل فـإنّ عنايـة رسـوله صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلِـه لا بـد أن توازيهـا فإنـه لمـا دَنـا أجلُـه، ونُعيـت لـه نفسـه، أمـرَ بأمـرٍ مـن ربّـه عـلى أن ينـادي بولايـة أمـير المؤمنـين في الحـج الأكـبر عـلى رؤوس الأشـهاد فـأذّن في النـاس قبـل الموسـم بأنـه حـاج إلى بيـت الله في هـذا العـام حجـة الـوداع، فتوافـدَ البـشر عليـه مـن كل بقـاع الأرض، فخـرجَ معـه إلى الحـج نحـو مئـة ألـف أو يزيـدون فلـما كان يـوم الموقـف بعرفـات نادي رسـول الله صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلِـه بالنـاس: «عَـلِيٌّ مِنِّـي وَأَنَـا مِنْـهُ، وَلَا يُـؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَـا أَوْ عَـلِيٌّ « وَقَـالَ ابْـنُ أَبِي بُكَـيْرٍ: « لَا يَقْـضِي عَنِّـي دَيْنِـي إِلَّا أَنَـا أَوْ عَـلِيٌّ»[3]

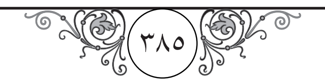
وبإسـناده الى أبي سـعيد الخـدري قـال الواحـدي: نزلـت هـذه الآيـة: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ﴾[4] يـوم غديـر خـم في عـلي بـن أبي

(١) سورة المائدة: من الآية/ ٦٧.

(٢) سورة المائدة: من الآية/ ٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ٢٩/ ٤٩، برقم (١٧٥٠٥)، وابن ماجه في سننه، فَضْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(عليه السلام): ١/ ٤٤، برقم(١١٩) والترمذي في جامعه، مناقب عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(عليه السلام): ٦/ ٧٩، برقم (٣٧١٩)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سورة المائدة: من الآية/ ٦٧.





طالب عليه السلام، وذكر إنهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت فيكون الغرض من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإنكم مسؤولون تهديد أهل الخلاف لوليه ووصيه[1]

منهج البحث:

اتبعت منهجاً استقرائياً مقارناً ترجيحياً فقمتُ باستخراج الأحاديث والروايات من مظانّها وقارنتُ بينها ورجحت ما بدا لي راجحا وفق أقوال أهل العلم.

خطة البحث:

اقتضى الموضوع أن يُقَسّم على ثلاثة مباحث، في المبحث الأول أثبتُّ واقعة الغدير وما ترمي إليه من تفاسير الفريقين.

وفي المبحث الثاني بيّنتُ الأحاديث والآثار والمرويات من كتب الفريقين حول واقعة الغدير مشيراً الى بعض الشروحات.

وفي المبحث طرحتُ الشبهات وقمتُ بالرد عليها مشيراً الى حجج كل فريق مرجحاً ما ثبت ترجيحه.

ثم الخاتمة وقد لخصت فيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول

في التراث التفسيري

(١) أسباب النزول، للواحدي: ص/ ٢٠٤.



وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عند الإمامية

المطلب الثاني: عند أهل السنة

المطلب الأول: عند الإمامية

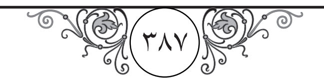
البحث في أسباب النزول وإعادة التدقيق فيها من شأنه أن يحدث تحولاً علماً يكشف لنا الكثير من الحقائق، بل وسيبطل ما كان مسلّماً لقرون مضت وعُدّ من الثوابت..

إن البشرية لم ترَ بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه من قال: سلوني، ولم يعين أحداً لما يسأل عنه في الأرض ولا في السماء ! فهذا الشخص فقط يستطيع أن يفسر كتاب الله الذي فيه تبياناً كلّ شيء.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.. لأنا إن اكتفينا بتنزيل الكتاب عليكم، ولم نجعل له مفسراً له بعد رسولنا، فقد جعلنا الكتاب خزائن مقفلة! ولكم مَنْ يستخرج منها ما تحتاجه عقول البشر في كل جيل، فالنعمة العلمية على البشر لا تتم إلا بمفسر للكتاب الإلهي.

ومن هنا كانت حاجتنا لمن يحل لنا معضل القرآن، فأدلى كل الصحابة بدلوِهم فاختلفوا..

فقد تجد خمسة أسباب نزول أو أكثر لآيةٍ واحدة تختلف كلٌ منها عن الأخرى في تحديد تاريخ وسبب نزول الآية، فلا يمكن - والحال هذه-





أن نقبل كل هذه الروايات من باب «أَصْحَابِي كالنُجُوم، بأَيِّهِم اقتَدَيْتم اهْتَدَيْتم»(١)، وإذن فلابدّ أن يكون السببُ واحداً، والباقي غير صحيح، وبما أن سبب النزول هو ما يحسم تفسير الآية فآية إكمال الدين وآية الولاية(آية الغدير) من الآيات التي اختلف فيها الفريقان (السنة والشيعة) تبعاً لما ورد فيها من تأويلات.

يكاد يتفق المفسرون أنّ سورة المائدة آخر ما نزل من سور القرآن، ثم اختلفوا في آخر ما نزل من آي القرآن الى أقوال كثيرة منها آية إكمال الدين ولكنها نزلت بعد إكمال نزول جميع الفرائض.

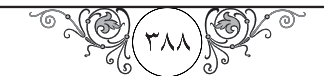
والرأي عند أهل البيت أنّ سورة المائدة هي آخر ما نزل من القرآن وأنها لا ينسخها شيء بل هي تنسخ غيرها.(٢)

وآية الغدير واحدة من الآيات التي نزلت في حقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد اتفقت الإمامية عن بكرة أبيهم على نزول هذه الآية

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس: ٤/ ١٦٠، برقم (٦٤٩٧)، وابن بطة في الابانة الكبرى: ٢/ ٢٢٠، برقم (٧٠٩)

(٢) روى العياشي في تفسيره: ٢/ ٨٢: « عن علي (عليه السلام) قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه بآخره فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء لقد نزلت عليه وهو على بغلة الشهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض وأغمى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحى، ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وعملنا»



الكريمة حول نصّ الغدير على التنصيص بولاية أمير المؤمنين بألفاظ صريحة محكمة، فتضمّن نصاً جلياً عرفته الصحابة وفهمته العرب فاحتجّ به من بلغه الخبر.

ف (اليوم) الوارد في الآية لا يُراد به يوماً بعينه، بل معناه الآن يئس الكافرين من دينكم، يريد أن الله تعالى حول الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم إليهم ويئسوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قولِه ليظهره على الدين كله، ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وتراجعوا منه إلى الشرك، وقد يكون المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الإسلام.

ففي ذلك اليوم لم يُرَ إلا مسلماً موحداً ولم يُرَ مشركاً.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُم﴾ خطاب للمؤمنين نهاهم الله أن يخشوا ويخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم.

﴿واخْشَوْنِ﴾ أي ولكن اخشوني، أي خافوني إن خالفتم أمري وارتكبتم معصيتي .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ﴾ قيل فيه أقوال:

القول الأول: إنّ كمال الدين بولاية علي عليه السلام، عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: «آخر فريضة أنزلها الله الولاية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينا﴾



فلم ينزل من الفرائض شيءٌ بعدها حتى قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه، وعن جعفر بن محمد الخزاعى عن أبيه قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: لما نزل رسول الله صلى الله عليه واله عرفات يوم الجمعة أتاه جبرئيل عليه السلامفقال له: يا محمد ان الله يقرؤك السلام ويقول لك: قل لامتك ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ولست أنزل عليكم بعد هذا، قد أنزلت عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة، ولست أقبل هذه الأربعة إلا بها.[١]

القول الثاني: إنّ المراد به إكمال الدين بنزول بقايا الحلال والحرام في هذا اليوم في سورة المائدة، فلا حلال بعده ولا حرام، وبإكمال الدين استولى اليأس على قلوب الكفار، ولاحت آثاره على وجوههم[٢]، ويردّ هذا القول بأنّنا يجب أن نتبصر في تمييز هؤلاء الكفار الذين عبر عنهم في الآية بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على هذا التقدير وأنهم من هم؟ فإن أريد بهم كفار العرب فقد كان الإسلام عمهم يومئذ ولم يكن فيهم من يتظاهر بغير الإسلام وهو الإسلام حقيقة، فمن هم الكفار الآيسون، وإن أريد بهم الكفار من غيرهم كسائر العرب من الأمم والأجيال فقد عرفت آنفا أنهم لم يكونوا آيسين يومئذ من الظهور على المسلمين.[٣]

(١) هذان الأثران ذكرهما العياشي في تفسيره: ٢/ ٩٢.

(٢) تفسير الطباطبائي: ٣١/ ٢٩٢.

(٣) تفسير الطباطبائي: ٣١/ ٢٩٢.



القول الثالث: خلوص البيت للمسلمين دون غيرهم وهو ما حدث لما أردف علياًعليه السلام خلف أبي بكر ليقرأ على الناس سورة براءة[1]، ويردّ هذا القول أنه قد كان صفا الأمر للمسلمين فيما ذكر قبل ذلك بسنة، فما معنى تقييده باليوم في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وأيَّ معنى لتسمية خلوص البيت إكمالا للدين، وليس الدين إلا مجموعة من عقائد وأحكام، وليس إكماله إلا أن يضاف إلى عدد أجزائِها وأبعاضِها عدد؟ وأما صفاء الجو لاجرائها، وارتفاع الموانع والمزاحمات عن العمل بها فليس يسمى إكمالا للدين البتة. على أن إشكال يأس الكفار عن الدين على حاله[2]

أما قوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فإنّ الله تعالى يخاطب المؤمنين بأنه أتم النعمة عليهم بإظهارهم على عدوهم المشركين، ونفيهم إياهم عن بلادهم، وقطعه طمعهم من رجوع المؤمنين، وعودهم إلى ملة الكفر، وانفراد المؤمنين بالحج البلد الحرام،[3] وقيل معناه أتممت عليكم نعمتي بأن أعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا أمة، وقيل إن تمام النعمة دخول الجنة.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي رضيت لكم الإسلام لأمري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده و فرائضه ومعالمه دينا

---

(١) تفسير العياشي: ٣/ ١٤٤.

(٢) تفسير الطباطبائي: ٣١/ ٢٩٢-٢٩٤.

(٣) التبيان، للطوسي: ٧/ ٧٨.



أي طاعة منكم لي والفائدة في هذا إن الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى أكمل لهم شرائعه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي انتم عليها اليوم فألزموها ولا تفارقوها.(١)

المطلب الثاني: عند أهل السنة

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لهم فيها أقوال:

القول الأول: يعني أكملت فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي ولم ينزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه من الفرائض من تحليل ولا تحريم وهذا قول ابن عباس والسدي.

القول الثاني: يعني اليوم أكملت لكم حجتكم أن تحجوا البيت الحرام ولا يحج معكم مشرك وهذا قول قتادة وسعيد ابن جبير.(٢)

ولو اعترض معترض هل كان الدين ناقصاً، فيجاب بأن الدين ما كان ناقصا البتة، بل كان أبدا كاملا، يعني كانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت، إلا أنه تعالى كان عالما في أول وقت المبعث بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه، فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم، وأما في آخر زمان المبعث فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة،

---

(١) التبيان، للطوسي: ٧/ ٧٨.

(٢) تفسير الماوردي(النكت والعيون): ٢/ ١٣.

فالشرع أبدا كان كاملا، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة[1]

الترجيح:

لفظة (يوم) في بداية النص الكريم تمثل موضع خلاف واختلاف بين علماء التفسير القرآني بين الفريقين إذ تباينت زوايا النظر في تحديد هذا اليوم وتعددت الآراء فيه، ولكن تعريفه ب (ال) في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ﴾ تقتضي التعريف التخصيصي العهدي فالمراد بذلك اليوم يوم معين، وإذا لم يرد سبحانه يوما مخصصا لجاز أن نقول إن هذا اليوم ينطبق على جميع الزمان بما في ذلك الزمان الذي سبق نزول الرسالة (النص القرآني) وهذا محال عقلا وزمنا، فضلا عن أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ يدل دلالة قطعية على أن هذا اليوم هم يوم زمني محدد وإلا لم ييأس الكافرون إلا بعد أن أثبت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه ركائز الإسلام ووثقها بولاية الإمام علي عليه السلام.

ولهذا تعد أرجح الأراء في تحديد لفظة اليوم في الآية هو أنه غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة؛ حيث بويع الإمام علي عليه السلام وليا للمسلمين كافة ويسند ذلك تمامية النص، إذ يقول سبحانه (أليوم أكملت لكم دينكم وأنت عليك شي ورضيت لكم الإسلام دينا) فيوم يأس الكافرون هو ذات اليوم الذي اكتمل فيه الدين وتمت فيه النعمة

(١) مفاتيح الغيب، للرازي: ١١/ ٢٨٧.



التي هي ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).[١]

فعليٌ عليه السلام ولايته هي كمال الدين وهي تمام النعمة؛لأنه خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه ووارث علمه في الكتاب المقدس، فما من موضع يقع فيه الناس في اختلاف أو يداخلهم تباين وتحير إلا وكان له الحكم الفصل، من هنا كان الإمام هو نعمة الله التي أتم بها غاية الدين وذلك من حيث تحقيق غايته بتطبيق تفاصيله بكل أجزائها من دون تفرقة هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن وجود الإمام يغني الناس بعدم احتياجهم في دينهم إلى شيء أخر غير الإمام لأنه صنو القران وتقله الأمثل.[٢]

المبحث الثاني

في السنة والأثر والرواية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عند الإمامية

المطلب الثاني: عند أهل السنة

المطلب الأول: عند الإمامية

الحديث الأول: «عن الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) تفسير الصافي: ٢/ ١٠.

(٢) تحليل سورة المائدة: ص/ ١٧

قال: قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن أعظمهما وأشرفهما، قلت وأي يوم هو؟ قال هو يوم نصب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيه علما للناس، قلت: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصومه يا حسن وتكثر الصلاة على محمد وآله وتبرأ إلى الله ممن ظلمهم فإنّ الأنبياءَ صلواتُ الله عليهم كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً.

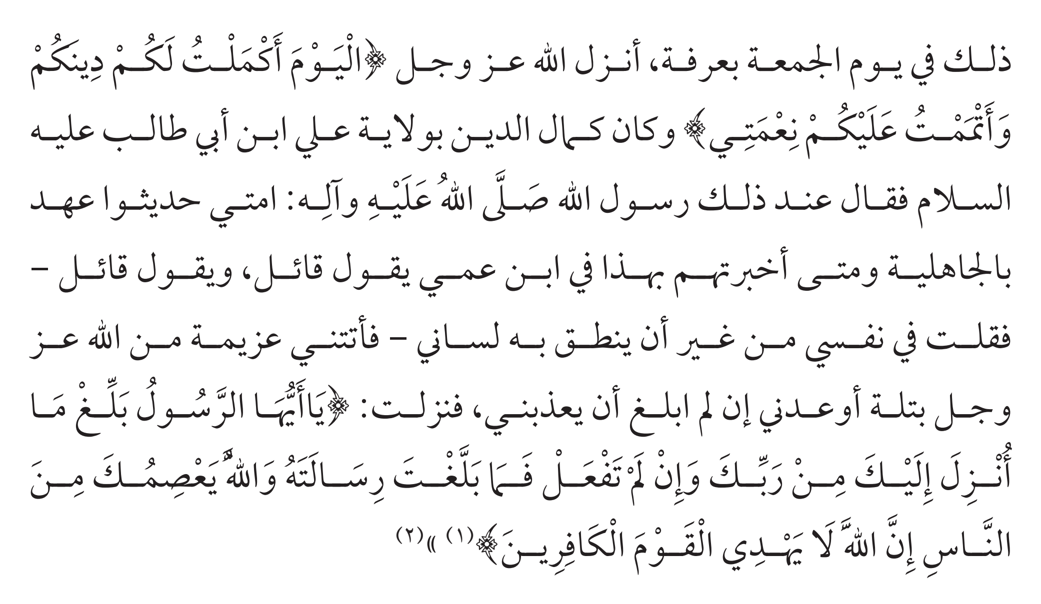
قال قلت: فما لمن صامه؟ قال: صيام ستين شهراً، ولا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد صلى الله عليه وآله وثوابه مثل ستين شهراً لكم»[1]

الحديث الثاني: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فرض الله (جل جلاله) على العباد خمسا، أخذوا أربعا وتركوا واحدا، قلت: أتسميهن لي جعلت فداك؟ فقال: الصلاة وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم، ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم، ثم نزل الصوم فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه إذا كان يوم عاشورا بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال، ثم نزل الحج فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم، ثم نزلت الولاية وإنما أتاه

(١) الكافي: ٤/ ١٤٨، ونحوه في من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٧٩.







ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وكان كمال الدين بولاية علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه: امتي حديثوا عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل، ويقول قائل - فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني - فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة أوعدني إن لم ابلغ أن يعذبني، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(1) »(2)

الحديث الثالث: «عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال كنت عنده جالسا، فقال له رجل: حدثني عن ولاية علي، أمن الله أو من رسوله؟ فغضب ثم قال: ويحك كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه أخوف من أن يقول ما لم يأمره به الله، بل افترضه كما افترض الله الصلاة والزكاة والصوم والحج»(3)

وقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وغيرهما أن حقيقة النعمة هي الولاية وهي كونه تعالى هو القائم بأمر عبده.(4)

المطلب الثاني: عند أهل السنة

---

(1) سورة المائدة: الآية/ ٦٧.

(2) الكافي: ٢/ ١٨٠.

(3) المصدر نفسه.

(4) تفسير الطباطبائي: ١٧/ ١٦٥.

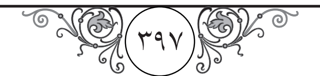


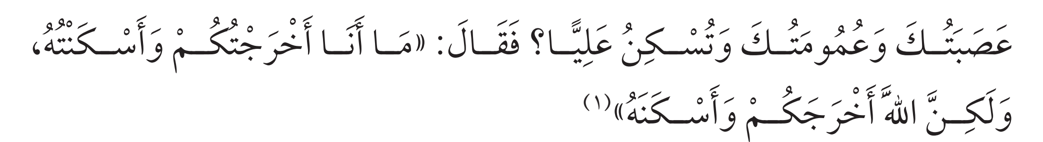
الأحاديث التي تؤكد حادثة الغدير ونزولها في علي عليه السلام أكثر من أن تحصى نذكر قسماً منها:

الحديث الأول: «عَنْ زَيْدِ بْنِ يُثَيْعٍ، قَالا: نَشَدَ عَلِيٌّ النَّاسَ فِي الرَّحَبَةِ: مَنْ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ إِلا قَامَ، قَالَ: فَقَامَ مِنْ قِبَلِ سَعِيدٍ سِتَّةٌ، وَمِنْ قِبَلِ زَيْدٍ سِتَّةٌ، فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه يَقُولُ لِعَلِيٍّ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: « أَلَيْسَ اللهُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ؟ « قَالُوا: بَلَى قَالَ: « اللهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[1]

الحديث الثاني: « عَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّ عَلِيًّا يَقَعُ فِيكَ إِنَّكَ تَخَلَّفْتَ عَنْهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللهِ إِنَّهُ لَرَأْيٌ رَأَيْتُهُ، وَأَخْطَأَ رَأْيِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أُعْطِيَ ثَلَاثًا لِأَنْ أَكُونَ أُعْطِيتُ إِحْدَاهُنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ: «هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» وَجِيءَ بِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَهُوَ أَرْمَدُ مَا يُبْصِرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْمَدُ، فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَلَمْ يَرْمَدْ حَتَّى قُتِلَ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ خَيْبَرُ وَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه عَمَّهُ الْعَبَّاسَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: تُخْرِجُنَا وَنَحْنُ

(١) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٢٦٢، برقم (٩٥٠)، وابن ماجه في سننه، فَضْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام): ١/ ٤٣، برقم (١١٦)،





عَصَبَتُكَ وَعُمُومَتُكَ وَتُسْكِنُ عَلِيًّا؟ فَقَالَ: «مَا أَنَا أَخْرَجْتُكُمْ وَأَسْكَنْتُهُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَخْرَجَكُمْ وَأَسْكَنَهُ»[1]

الحديث الثالث: روى أبو هريرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه أن صيامه يعدل عند الله عبادة ستين سنة ![2]

الحديث الرابع: عن عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، يَقُولُ: وَقَفَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَائِلٌ، وَهُوَ رَاكِعٌ فِي تَطَوُّعٍ فَنَزَعَ خَاتَمَهُ، فَأَعْطَاهُ السَّائِلَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهَّ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3]، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ

---

(١) الحاكم في المستدرك على الصحيحين:٣/ ١٢٦، برقم (٤٦٠١).

(٢) رواه الصدوق رحمه الله في الأمالي ص٥٠: (حدثنا الحسن بن محمد بن الحسن بن إسماعيل السكوني في منزله بالكوفة قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري قال: حدثنا أبو جعفر ابن السري وأبو نصر بن موسى بن أيوب الخلال قال: حدثنا علي بن سعيد قال: حدثنا ضمرة بن شوذب، عن مطر، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة، كتب الله له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب وقال: يا أيها الناس، ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال له عمر: بخ بخ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

(٣) سورة المائدة:الآية/ ٥٥.

عَـادَاهُ»[1]

الحديـث الخامـس: عَـنْ سَـعْدٍ قَـالَ: كُنَّـا مَـعَ رَسُـولِ الله صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلِـه بِطَرِيـقِ مَكَّـةَ، وَهُـوَ مُوَجِّـهٌ إِلَيْهَـا، فَلَـمَّا بَلَـغَ غَدِيـرَ خُـمٍّ وَقَـفَ النَّـاسُ، ثُـمَّ رَدَّ مَـنْ مَـضَى، وَلَحِقَـهُ مَـنْ تَخَلَّـفَ، فَلَـمَّا اجْتَمَـعَ النَّـاسُ إِلَيْـهِ قَـالَ: «أَيُّهَـا النَّـاسُ هَـلْ بَلَّغْـتُ؟» قَالُـوا: نَعَـمْ قَـالَ: «اللهُـمَّ اشْـهَدْ» ثَـلَاثَ مَـرَّاتٍ يَقُولُهَـا، ثُـمَّ قَـالَ: «أَيُّهَـا النَّـاسُ مَـنْ وَلِيُّكُـمْ؟» قَالُـوا: اللهُ وَرَسُـولُهُ ثَلَاثًـا، ثُـمَّ أَخَـذَ بِيَـدِ عَـلِيٍّ، فَأَقَامَـهُ ثُـمَّ قَـالَ: «مَـنْ كَانَ اللهُ وَرَسُـولُهُ وَلِيَّـهُ، فَهَـذَا وَلِيُّـهُ، اللهُـمَّ وَالِ مَـنْ وَالَاهُ، وَعَـادِ مَـنْ عَـادَاهُ»[2]

ومـن هنـا قـال الإمـام أحمـد: مـا جـاء في أحـد مـن الفضائـل مـا جـاء في عـلي، وقـال النيسـابوري: لم يـرد في حـق أحـد مـن الصحابـة بالأحاديـث الحسـان مـا ورد في حـق عـلي عليـه السـلام «[3]

الخاتمة:

توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نجملها على النحو التالي:

١- ولايـة الله سـبحانه وتعـالى لا تتـمّ إلا بولايـة رسـوله - أي تدبـير بالديـن الأمـور العبـاد - ولا ولايـة رسـوله إلا بولايـة وليـه مـن بعـده وهـي تدبيرهـم

(١) الطبراني في الأوسط: ٦/ ٢١٨، برقم (٦٢٣٢).

(٢) السنن الكبرى للنسائي، باب التَّرْغِيبُ فِي مُوَالَاةِ عَلِيٍّ (عليه السلام): ٧/ ٤٤٣، برقم (٨٤٢٧).

(٣) فيض القدير، للمناوي: ٤/ ٤٦٨.



لأمـور الأمـة الدينيـة.

٢- يـأس الكفـار وتمامـه إنـما كان يتحقـق عـن الاعتبـار الصحيـح بـأن ينصـب رب العـزة لهـذا الأمـر مـن يقـوم مقـام النبـي صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلِـه في حفظـه وتدبـير أمـره وإرشـاد الأمـة الإسـلامية نحـو الصـواب فيتعقـب ذلـك يـأس الذيـن كفـروا مـن ديـن المسـلمين.

٣- لغـة الآيـة ولهجتهـا هـو المسـتند الأسـاسي الـذي يعتمـده الفكر الشـيعي في الاسـتدلال عـلى أهميـة المسـألة وهـي تتسـاءل عـن الموضـع الـذي يرتفـع إلى مسـتوى يكـون فيـه مكمـلا لديـن الله متمـما لنعمتـه إلا وهـي مسـالة الولايـة.

٤ - إن كـمال الديـن مـن جهـة أحكامـه ومعارفـه وان بلـغ مـا بلـغ لا يقـوى بنفسـه عـلى حفـظ نفسـه أي خـروج الديـن مـن مرحلـة القيـام بالحامـل الشـخصي (الرسـول) إلى مرحلـة القيـام بالحامـل النوعـي (الإمـام) فيكـون ذلـك إكـمالا للديـن بتحويلـه مـن صفـة الحـدوث إلى صفـة البقـاء.

٥- ضيـاع الأمـة وتعطيـل الحـدود والأحـكام وإحيـاء أمـر الجاهليـة هـو في رحيـل النبـي صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلِـه دون اسـتخلاف أحـد لمهمـة حفـظ الإسـلام تشـترط عصمـة وعلمـه بكامـل مضمـون القـرآن؛ لـذا فـان النبـي لم يمـت حتـى ورث علمـه وصيـا يقـوم مقامـه لئـلا يكـون للنـاس عـلى الله حجـة.

وصـلى الله عـلى محمـد وآلـه الطيبـين الطاهريـن.

المصادر والمراجع:

بعد كتاب الله عز وجل

١ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لإبن بطة-أبي عبد الله عبيدالله بن محمد بن بطة(ت سنة ٣٨٧هـ) تحقيق د. عثمان الأثيوبي، دار الراية، الرياض ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

٢- أسباب نزول القرآن، للواحدي- أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

٣- الأصول من الكافي، للكليني- أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق(ت:٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

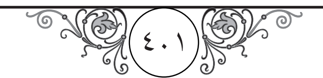
٤- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي- أبي جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٥- تحليل سورة المائدة، سيروان عبد الزهرة- محاضرات ألقيت على طلبة المرحلة الرابعة، كلية الآداب، جامعة الكوفة.

٦- تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي(ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية، طهران

٧- الجامع الكبير، سنن الترمذي- أبو عيسى محمد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

٨- سنن ابن ماجه، للقزويني- أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت: ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.



٩- السنن الكبرى، للنسائي- أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

١٠- التفسير الصافي، للفيض الكاشاني (ت: ١٩١هـ)، حققه وعلق عليه: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، قم، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

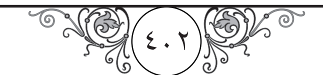
١١- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي- شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

١٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي- عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي(ت: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١

١٣- من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق- أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ) منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، ط٢

١٤- المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري- أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م

١٥- مسند أحمد، الشيباني- أبو عبد الله أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.



١٦- المعجم الأوسط، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

١٧- مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

١٨- الميزان في تفسير القران العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ) منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة

١٩- النكت والعيون(تفسير الماوردي) أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحتويات

